آسِفي

وما إليه قديمًا وحديثًا

تأليف
محمد بن أحمد العبدي الكانوني
١٩٣٨ م

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
1433هـ-2012
حقوق الطبع محفوظة للناشر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد – القاهرة
25938411-25922620 / فاكس: 25936277
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الكاتونى ، محمد بن احمد العبدى ،1893-1938
اسقى وما اليه :قديما وحديثا -تاليف: محمد بن احمد العبدى الكاتونى
ط-1 القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ،2012
208 ص ، 24 سم
تدمك : 978-977-341-580-0
ا- المغرب- تاريخ

ديوى: 964

رقم الايداع: 2012-14337

بسم الله
الرحمن
الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

نحمدك اللهم على ما أودعت فى تصرفاتك من حكمة بالغة وجعلت فى تقلبات الأيام والليالى من عظة نافعة ونصلى ونسلم على سيدنا محمد بن عبد الله النبى العربى الذى هديت به بعد الضلالة وعلمت به بعد الجهالة فازدان به نظام الكون واستضاءت أرجاؤه وعلى آله وأصحابه الممثلين سيرته المثى ناشرين آيات شرائعه التى لا تزال على مر الأحقاب تتلى.

أما بعد فإن للسلف على الخلف من الحقوق مالا يسعه إلا الشكر وحسن القضاء وللوطن على المرء من الواجبات مالا يجوز فى حقه الإعراض عنه أو الإغضاء إذ للأول فضيلة السبقية لتمهيد طريق الحياة والسبب فى الوجود وللثانى مزية المثوى فيه والتمتع منه بكل موجود وما أحسن قول الحكماء: إن من علامة وفاء المرء ودوام عهده حنينه إلى إخوانه وشوقه إلى أوطانه، وإن من علامة الرشد أن تكون النفوس إلى مولدها مشتاقة وإلى مسقط رأسها تواقة.

وحيث كانت آسفى وما إليها هى بلادى وموضع طارفى وتلادى

بلاد بها نيطت على تمائمى وأول أرض مس جلدى ترابها

جمعت ما عثرت عليه من تاريخها ونسقت ما وقفت عليه من درر آثارها قيامًا بذلك الواجب الأقدس وأداء لبعض الحق المفترض شاكرًا مساعى السادات الأجلاء الذين آزرونى فى العمل ومدوا لى يد المساعدة بكل ما لديهم من معونة.

تقسيم الكتاب

سيكون الكتاب بحول الله منقسمًا إلى ثلاثة أقسام:

١ - فى تاريخ آسفى التأسيسى وأطواره قبل الإسلام وبعده وأسواره ومحارسه ومساجده ورباطاته ومستشفياته وآثاره الخيرية وبناءاته القديمة وبيوتات أهله وأحوالهم العلمية والمدارس والمكاتب والحالة الأخلاقية والاقتصادية وغير ذلك.

٢ - تاريخه السياسى وما إليه من الحوادث.

٣ - تاريخ حياة رجاله من أهل العلم والصلاح والسياسة وغيرهم من ذوى الحيثيات النابغين فيه أو حوله والداخلين إليه من غير أهله يضم هذا القسم نحو سبعمائة ترجمة فأكثر.

* * *

تمهيد

قبل الشروع فى المقصود نتناول الكلام على الموقع الجغرافى للمغرب الأقصى ونسب سكانه ثم حدود بلاد المصامدة أهل الجنوب المغربى وأنسابهم ومواطنهم ومدنهم يكون هذا التمهيد مدخلاً لتاريخ آسفى وما إليه لأن قطر آسفى الموضوع برسمه الكتاب قسم كبير من الجنوب المغربى.

جاء موقع المغرب الأقصى الجغرافى فى الشمال الغربى من قارة أفريقية بين الدرج الثامن والعشرين والدرج السادس والثلاثين للعرض شمالاً من خط الاستواء وممر الخط السادس والثلاثين فى بوغاز جبل طارق أما ممر الخط الثامن والعشرين فجنوبًا من وادى درعة.

يحدث شرقًا قطر الجزائر وغربًا المحيط الأطلانطيقى وشمالاً البحر الأبيض المتوسط وجنوبًا الصحراء الكبرى.

وعلى هذا الحد من هذه الجهة مشى البعض من المؤرخين والجغرافيين، والذى حققه أحمد الأمين وأقام عليه الأدلة فى كتابه الوسيط فى أدباء شنجيط أن الصحراء التى هى قطر شنجيط معدودة من المغرب.

وهذا هو الحقيقة فقد كان هذ القطر الصحراوى معدوداً من المغرب سياسيًا وجغرافيًا واقتصاديًا وكانت دول المغرب فى إبان عظمتها تضم إليها الصحراء كالدولة اللمتونية والمدينية فى أيام أبى الحسن والسعدية فى أيام أحمد المنصور والعلوية فى أيام المولى إسماعيل كلهم كانت الصحرا فى حكمهم إما فعلاً أو اسمًا.

نسب الأمة البربرية

اتفق علماء النسب على أن أمة البربر يجمعها أصلان عظيمان وهما برنس ومادغيس ويلقب مادغيس بالأبتر فيقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب البرنس البرانس، ويجمع شعوب البرانس سبعة أصول وهى ازداجة والمصامدة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة وأوريغة، وشعوب البتر يجمعها أربعة أصول أداسة ونفوسة وضريسة وبنو لو الأكبر.

هل هما لأب واحد وإلى من يرجع نسبهما؟

اختلف الناس هل هما لأب واحد وهو ما نقله ابن حزم عن أيوب بن يزيد أو لغيراب وهو قول أكابر نسابة البربر كسابق بن سليمان المطماطى وهانىء بن بكور الضريسى وكهلان بن أبى لو وغيرهم من نسابة البربر ونقلوه أيضًا عن أيوب بن أبى يزيد قائلين أن البرانس من ولد مازيغ بن كنعان بن حامك والبتر من ذرية بر بن قيس بن عيلان بن مضر من ذرية سام.

قال أبو عمر بن عبد البر أن طوائف من البربر ينتسبون إلى قيس وفى ذلك يقول شاعرهم:

قبائل من بر بن قيس وخندف وذى يمن فى عزها المتطاول

قال ابن خلدون وغيره وقد أنشد علماء البربر لعبيدة بن قيس العقيلى:

ألا أياها الساعى لفرقة بيننا توقف هداك سبل الأطايب

فاقسمُ أنا والبرابر إخوة نمانا وهم جد كبير المناصب

أبونا أبوهم قيس عيلان فى الورى ... وفى حومة يشفى غليل المحارب

فنحن وهم ركن منيع وإخوة ... على رغم أعداء لئام المناقب

فإن لبر ما بقى الناس ناصرا ... وبر لنا ركن منيع المناكب

تعد لمن عادى شواذه حمرا ... وبيض تقص الهام يوم التضارب

وبر بن قيس عصبة مضرية ... وفى الفرع من أحسابها والذوائب

وقيس قوام الدين فى كل بلدة ... وخير معد عند حفظ المناقب

وقيس لها المجد الذى يقتدى به ... وقيس لها سيف حديد المضارب

وينشد أيضًا ليزيد بن خالد يمدح البربر قوله:

أيها السائل عنا أصلنا ... قيس عيلان بنى العز الأول

نحن ما نحن بنو بر القوى ... عرف المجد وفى المجد دخل

وابتنى المجد فأورى زنده ... وكفانا كل خطب ذى جلل

إن قيسًا يعتزى بر لها ... ولبر يعتزى قيس الأجل

ولنا الفخر بقيس أنه ... جدنا الأكبر فكاك الكبل

إن قيسًا قيس عيلان هم ... معدن الحق على الخير دلل

حسبك البربر قومى إنهم ... ملكوا الأرض بأطراف الأسل

ونبيض نضرب لهام بها ... هام من كان عن الحق نكل

أبلغوا البربر عنى مدحا ... حيك من جوهر حيك منتحل

سبب انخراط بر بن قيس فى سلك البربر

قال ابن أبى زرع فى القرطاس وابن خلدون فى التاريخ ناقلاً عن نسابة البربر وحكاه البكرى وغيره واللفظ للأول ذكر علماء التاريخ وأهل المعرفة بالأنساب وأيام الناس أن مضر بن نزار كان له ولدان إلياس وعيلان أمهما لرباب بنت جندة بن عمرو بن معد بن عدنان فولد عيلان بن مضر ولدين قيس ودهمان، فأما دهمان فولده قليل، وأما قيس بن عيلان فولد أربعة رجال وجارية وهم سعد وعمرو وخصفة أمهم مزنة بنت أسد.

وبر وأخته تماضر أمهما يريغ بنت مجدول البربرى المجدولى وكانت قبائل البربر إذ ذاك يسكنون الشام ويجاورون العرب فى المساكن والأسواق والمراعى ويشاركونهم فى المياه والمسارح ويصاهر بعضهم بعضًا وكانت البهاء بنت دهمان بن عيلان من أجمل نساء زمانها وأكملهن ظرفًا وحسنًا فكثر خطابها من كل قبيلة من العرب فقال بنو عمها قيس وعم عمرو وسعد وبر وخصفة لا يتزوج ابنة عمنا إلا أحدنا ولا تخرج منا إلى غيرنا فخيروها فيمن شاءت منهم فاختارت برا وكان أصغرهم سنًا وأكملهم شبابًا فتزوجته دون أخوته فحسدوه عليها وهموا بقتله من أجلها وكانت أمه من دهاة النساء فخافت على ولدها من إخوته فبعثت إلى البهاء بنت دهمان الخبر وتوطأت معها على الخروج إلى بلد إخوتها من البربر مع ولدها حيث تأمن عليها، ثم بعثت إلى قومها فأتوها سرًا فسارت معهم هى وولدها والبهاء بنت دهمان فلحقوا ببلاد البربر فنزل بر بن أخواله وأعرس بابنة عمه البهاء واعتز وامتنع ممن أراده بسوء فولدت له هنالك ولدين علوان ومادغيس ابنى بر بن قيس بن عيلان، فأما علوان فمات صغيرًا ولم يعقب، وأما دغيس فكان يلقب بالأبتر وهو أبو الأبتر من البربر وإليه يرفعون أنسابهم.

قال أبو عمر بن عبد البر وابن خلدون وابن أبى زرع، وفى ذلك تقول أخته تماضر ترثيه:

لتبكى كل باكية أخاها ... كما أبكى على بر بن قيس

تحمل عن عشيرته فأضحى ... ودون لقائه انضاء عيس

ولها:

وشطت ببر داره عن بلادنا ... وطوح بر نفسه حيث يمما

وأزرت ببر لكنة أعجمية ... وما كان ب فى الحجاز بأعجما

كانا وبرا لم تقف بجيادنا ... بنجد ولم نقسم نهابا ومغنما

وقد انتقد ابن حزم وأبو عمر وابن خلدون كون قيس كان له ابن يسمى برا، ونحن نقول إزاءه أنه لا يعنينا كثيرًا هذا النقد بعد ما أثبت علماء التاريخ والأنساب وجوده فهؤلاء علماء النسب من البربر وغيرهم مثل الطبرى والبكرى صرحوا بوجوده، وهذا العلامة ابن أبى زرع فى قرطاسه نقلو وجوده عن علماء التاريخ والأنساب وأيام الناس، وهو من الثقة والمعرفة بالمكان الذى أثنى عليه به ابن خلدون بل أن هذا القول بلغ من الشهرة الحد الذى تغنى به شعراء الفريقين فى أشعارهم مدحًا ورثاءً فما علينا بعد هذا إلا أن نقول أن المنكرين لوجوده لم يعلموه فصرحوا منكرين بعدم علمهم، وأن المثبتين علموه فصرحوا بوجوده وزادوا القضية إيضاحًا ببيان سبب خروجه من بين أهله وغاية ما يقال فى مثل هذا أن من علم حجة على من لم يعلم ومن أثبت مقدم على من نفى.

فاستبان من هذا التحقيق والتمحيص أن البتر عرب مضر وأما البرانس فإن فيهم أغلبية ساحقة من عرب اليمن القحطانية ذلك أن قبيلتى صنهاجة وكتامة من العرب القحطانية عند جمهور المؤرخين والنسابين.

أما صنهاجة فقد بلغت من الكثرة الشىء الذى دعا الكثيرين أن يحدوها بثلث البربر وأحصوا لها سبعين بطنًا قلما يخلو قطر من أقطار المغرب من قبائلها وبطونها، وأما كتامة فقد كانت من الكثرة بحيث ملأت دواخل القطر الجزائرى من بونة إلى بجاية وشغلت دواخل الوطن الجزائرى إلى جبل أوراس وذكر لها ابن خلدون ثمانية عشر بطنًا فأكثر وناهيك بعظمتها التى قامت على عاتقها الدولة الفاطمية التى دوخت العالم.

فإن قيل أن ابن حزم قد انتقد كون صنهاجة وكتامة من حمير كما انتقد دخول أفريقش اليمنى المغرب، نقول أن إنكاره نسبتهم الحميرية محجوج فيها بالرأى العام من المؤرخين والنسابين الذين صرحوا بنسبتهم إلى عرب اليمن مثل الطبرى والجرجانى والمسعودى وابن الكلبى والسهيلى. وقال ابن خلدون أنه المشهور عند نسابة العرب وآخر من حجه بالرأى العام فى حق صنهاجة علامتا المغرب فى الأنساب والتاريخ وهما العلامة القادرى فى النشر والعلامة النقيب العلمى فى البدور الضاوية.

قال الأول صنهاجة قبيلة من حمير عند جمهور المؤرخين وذكر ابن حزم إياها فى عداد قبائل البربر فيه نظر لما أطبق عليه من قبله ومن بعده من أنهم من حمير كأبى محمد الرشاطى فى اقتباس الأنوار وعبد الحق فى اختصاره وابن خلكان والهمدانى وابن الكلبى وإمام اللغة أبى عبيد القاسم بن سلام والزبير بن بكار علامة قريش وصاحبى القرطاس والقاموس فكلامهم صريح فى مخالفة ابن حزم فلينظره من أراده.

وقال الثانى صنهاجة من عرب حمير يتصل نسبهم بهم من طريق عبد شمس بن وائ بن الغوث هذا هو النسب المعروف لصنهاجة الذى سلك الحفاظ فى القديم منهاجه وأطبق عليه النسابون فى جماهير الأنساب والمؤرخون فى تراجم الأعيان كأبى الحسن الهمدانى وأبى المنذر بن الكلبى وأبى محمد الرشاطى وعبد الحق الأشبيلى وابن سماك العامرى فى الحلل الموشية والمجد الفيروزأبادى وعبد الغنى الإمام وأبى القاسم بن جزى وأبى سعد السمعانى وأبى الحسن ابن الأثير فى جماعة من غيرهم خلفًا عن سلف.

وقول أبى محمد ابن حزم فى جمهرته بخلاف هذا فى نسب صنهاجة كأنه خرق للإجماع هـ.

وعبارة أبى محمد الرشاطى: فشرف صنهاجة أصيل ومجدهم أثيل ورياستهم قديمة ونسبتهم إلى حمير معلومة هـ.

وأما نقده دخول أفريقش اليمنى إلى المغرب مصرحًا بأنه من أكاذيب مؤرخى اليمن فإنه على الرغم من كون ابن خلدون أوضح هذه النظرية بكونه لا يتيسر له المرور إلا من طريق مصر كان بها دول لا تسمح له بالمرور ببلدها فإنا نجيب عن هذه النظرية بأنها مسلمة فى نفسها فقط ولا تنطبق على هذه المسألة إلا لو تتبعنا أدوار تاريخ الدول المتعاقبة على مصر واستوضحنا حالتهم من قوة وضعف وكشفنا عما كان بينهم وبين تابعة اليمن من حرب أ حلف وحيث إن التاريخ لقدمه وإبهامه لم يسمح لنا لحد الآن عن تلك الأدوار الغابرة بتصوير الحالة التى تجعلها أصلاً لهدم ما بناه المؤرخون ونقله الثقات فمن أجل ذلك كله يمكننا أن نقول أن طريق اتصال بالمغرب لا يمنعه عقل ولا

عادة، إذ يمكن اتصاله بالمغرب فى بعض الفترات أو المحالفات الدولية أو غير ذلك مما لم ينقله التاريخ وكم لذلك من نظير فى تاريخ الدول والشعوب.

ثم إن ابن خلدون على الرغم من كونه تبع ابن حزم وبسط نظرية عدم دخوله المغرب فى المقدمة فإنه صرح فى التاريخ بدخوله إياه وأنه ترك به صنهاجة وكتامة قال (ص ٩٧ ج٦) المشهور أن صنهاجة وكتامة من اليمن وأن أفريقش لما غزا المغرب أنزلهم بها ثم قال وعندى أنهم منهم هـ. وقال (ص ١٠٦) اتفق المؤرخون على غزو أفريقش بن صيفى من التبابعة المغرب كما يكرناه فى أخبار الروم وقال (ص ١٤٨) لدى كلامه على كتامة أن نسابة العرب يقولون أنهم حمير هـ.

وممن ذكر غزوه المغرب المسعودى والجرجانى وابن قتيبة والطبرى والسهلى وأبو حنيفة الدينورى وابن الكلبى وغيرهم من أعلام التاريخ والأنساب.

تأييد غزوه المغرب بالآثار

يدل لدخول أفريقش المغرب ما ذكره أبو عبيد لبكرى فى كتاب المسالك وذكره أيضًا صاحب الاستبصار عن الثقات عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقى قال كنت أنا وغلام مع عمى بقرطاجنة نمشى فى آثارها ونعتبر بعجائبها فإذا بقبر مكتوب عليه بالحميرية.

وذكر الشيخ مبارك الميلى فى بعض تعاليقه على تاريخ الجزائر (ص ٧٦ جـ) أن مما يثبت غز أفريقش لليبية (المغرب) ما ذكره أبو يعلى فى تاريخ

الزواوة (ص ٨٢) أنه رأى فى المجلة الآسيوية أن علماء الأثر اكتشفوا الخط الحميرى منقوشًا على حجر فى بعض قرى إفريقية هـ.

وقد قيل أن البربر من ولد حام وقيل من ولد إبراهيم وقيل غير ذلك، وقد انتقد ابن خلدون الجميع وبين مرجوحيتها وانحط على القول بأنهم حاميون فرجحه وقد علمت ما فى نقده القول بعربيتهم.

الخلاصة

خلاصة ما بسطناه أن الأمة المغربية جلها عرب ما بين عدنانية وقحطانية لأن البتر الذين هم أحد قسمى البربر من عرب مضر وصنهاجة وكتامة فى عداد البرانس وهما من الكثرة بالمكانة السابقة من عرب قحطان.

هذا قبل الإسلام أما بعد الإسلام فقد أمته موجات عديدة من العرب، وقد قدرت موجة الهلاليين وحلفائهم بما يربو على مليون نسمة، فكيف يغيرها فغمرت قبائل العرب السامية بكثرتها قبائل البربر الحامية، بحيث صارت الثانية أقلية ضئيلة وامتزجت الجنسيتان امتزاجًا غريبًا من قديم الزمان، وعاشتا متحدتى العوائد والأخلاق والأزياء وتأثر كل فريق بالآخر وصارت أمة واحدة لها وحدتها ومميزاتها وسياستها من بين الأمم والشعوب.

ما لهذا الجيل قديماً وحديثاً من الفضائل الإنسانية والخصائص الشريفة الراقية بهم إلى مراقى العز والسلطان

يقول العلامة الناقد ابن خلدون تحت هذا العنوان: قد ذكرنا ما كان من أمر هذا الجيل من البربر ووفور عدده وكثرة قبائلهم وأجيالهم وما سواه من مغالبة الملوك ومزاحمة الدول عدة آلاف من السنين مما تشهد أخباره كلها بأنه جيل عزيز على الأيام وأنهم قوم مرهوب جانبهم شديد بأسهم كثير جمعهم مظاهرون لأمم العالم وأجياله من العرب والفرس واليونان والروم.

ثم يقول وأما تخلقهم بالفضائل الإنسانية وتنافسهم فى الخلال الحميدة وما جبلوا عليه من الخلق الكريم مرقاة الشرف والرفعة بين الأمم ومراعاة المدح والثناء من الخلق وعز الجوار وحماية النزيل ورعى الأذمة والوسائل والوفاء بالقول والعهد والصبر على المكاره والثبات فى الشدائد وحسن الملكة والإغضاء عن العيوب والتجافى عن الانتقام ورحمة المسكين وبر الكبير وتوفير أهل العلم وحمل الكل وكسب المدعوم وقرى الضيف والإعانة على النوائب وعلو الهمة وإباية الضيم ومشاقة الدول ومقارعة الخطوب وغلاب الملوك وبيع النفوس من الله فى نصر دينه فلهم فى ذلك آثار نقلها الخلف عن السلف لو كانت مسطورة لحفظ منها ما يكون أسوة لمتبعيه من الأمم وحسبك ما اكتسبوه من حميدها واتصفوا به من شريفها أن قادتهم إلى مراقى العز وأوفت بهم على ثنايا الملك حتى علت على الأيدى أيديهم ومضت فى الخلق بالقبض والبسط أحكامهم وكان مشاهيرهم بذلك من أهل الطبقة الأولى فليكن بن زيرى لصنهاجى ومحمد بن خزر والخير ابنه وعروبة بن يوسف الكتامى ويوسف بن تاشفين ملك لمتونة وعبد المؤمن بن على شيخ الموحدين، وكان

عظماؤهم من أهل الطبقة الثانية لسابقون إلى الراية بين دولهم يعقوب بن عبد الحق سلطان بنى مرين ويغمراسن بن زيان سلطان بنى عبد الواد وغيرهم، فكانوا من أرسخهم فى تلك الخلال قدمًا وأطولهم فيها يدًا وأكثرهم لها جمعًا طارت عنهم فى ذلك قبل الملك وبعده أخبار عنى بنقلها الإثبات من البربر وغيرهم وبلغت من الصحة والشهرة مبلغ التواتر. وأما إقامتهم لمراسم لشريعة وأخذهم بأحكام الملة ونصرهم لدين الله فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين كتاب الله لصبيانهم والاستفتاء فى فروض أعيانهم واقتفاء الأئمة للصلوات فى بواديهم وتدارس القرآن بين أحيائهم وتحكيم حملة الفقه فى نوازلهم وقضاياهم وصاغيتهم إلى أهل الخير والدين من أهل مصرهم للبركة فى آثارهم وبيعهم النفوس من الله فى سبيله ما يدل على رسوخ إيمانهم وصحة معتقداتهم ومتين ديانتهم التى كانت ملاكًا لعزهم ومقادًا إلى سلطانهم وملكهم وكان المبرز منهم فى هذا المنتحل يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن على وبنوهم ثم يعقوب بن عبد الحق من بعدهم وبنوه، فقد كان لهم فى الهتمام بالعلم وتشييد المدارس واختطاط الزوايا والربط وسد الثغور وبذل النفس فى ذات الله وإنفاق الأموال فى سبيل الخيرات ثم مخالطة أهل العلم وترفيع مكانهم فى مجالستهم ومفاوضتهم فى الاقتداء بالشريعة والانقياد لإشاراتهم فى الوقائع والأحكام ومطلعة سير الأنبياء وأخبار الأولياء وقراءتها بين أيديهم من دواوين ملكهم ومجالس أحكامهم وقصور عزهم والتعرض بالمعاقل لسماع شكوى المتظلمين وإنصاف الرعايا من العمال والضرب على يد أهل الجور واتخاذ المساجد بصحن دورهم يعمرونها بالصلوات والتسبيحات والقراء المرتبين لتلاوة كتاب الله أحزابً بالعشى والإشراق على الأيام وتحصين ثغور المسلمين بالبنيان المشيد والكتائب المجهزة وإفاق الأموال العريضة شهدت لهم بذلك آثار تخلفوها بعدهم.

وأما وقوع الخوارق فيهم وظهور الكاملين فى النوع الإنسانى من شخاصهم فقد كان فيهم من الأولياء المحدثين أهل النفوس القدسية والعلوم الموهوبة ومن حملة العلم عن التابعين ومن بعدهم من الأئمة، والكهان المفطورين على المطلع للأسرار المغيبة ومن الغرائب التى خرقت العادة وأوضحت أدلة القدرة ما يدل على عظيم عناية الله بذلك الجيل وكرامته لهم بما آتاهم من جماع الخير وآثرهم به من مذاهب الكمال وجمع لهم من متفرق خواص الإنسان. ثم ذكر من هذا النوع أفرادًا وقال إنها ل انصرفت إليها عناية الناقلين لملأت الدواوين ولم يزل هذا دأبهم وحالهم إلى أن مهدوا من الدول وأثلوا من الملك ما نحن بسبيل ذكره هـ.

وهذه الشهادة من هذا الإمام الناقد المعلوم بعدم المحاباة فى نقده حتى على بنى ملته وجنسه، ندفع بها فى صدور المغرضين الذين يتنقضون هذه الأمة: كياقوت الحموى وغيره والله سبحانه الموفق.

المصامدة بالجنوب المغربى (أهل الحوز)

المصامدة من البرانس نسبة إلى مصمود بن يونس وهم من أكثر قبائل البربر وأوفرهم عددًا كان لهم التقدم والدولة قبل الإسلام وبعده ولم نزل مواطنهم بجنوب المغرب الأقصى منذ الأحقاب المتطاولة.

تحد بلاد المصامدة كما للمراكشى فى المعجب: عرضا من النهر الأعظم أم الربيع وآخر بلادهم الصحراء، وطولاً من جبل درن (الأطلس) إلى البحر المحيط.

ثم إن المصامدة ينقسمون إلى مصامدة السهل وهم ما دون الجبل الأطلس إلى المحيط حيث آسفى على شاطئه وسط قبائل دكالة، ومصامدة الجبل وهم سكان الجبل الأطلس.

مواطن مصامدة السهل

دكالة: قال المجد فى القاموس: دكالة كرمانة وقال الصغانى وياقوت الحموى وعبد الحى بن العماد فى الشذرات بفتح الدال لكنه أى الفتح مهجور فى الاستعمال فلا يوجد من يستعمله.

قال ابن خلدون أن دكالة فى ساحة الجبل (الأطلس) من جانب الجوف مما يلى مراكش إلى البحر من جانب الغرب وهناك رباط آسفى المعروف ببنى ماكر من بطونهم هـ.

تحد دكالة شمالاً بوادى أم الربيع وجنوبًا بوادى تانسيفت وشرقًا مراكش وغربًا المحيط الذى عليه مرسى آسفى.

قال العلامة القسنطينى فى كتاب أنس الفقير يصف بلاد دكالة لما كان قاضيًا بها سنة ٧٦٩ - هى أرض مستوية طولها مسيرة أربعة أيام وكذلك عرضها ووجدت بها خمسة وعشرين مدرسًا وبلغت أزواج حراثتها زمان ورودى عليها عشرة آلاف زوج (هذا لنوع من الأزواج أو لناحية فقط بدليل ما بعده) وبعض حيوان فيها من إنسان وغيره زائد على مثله فى قدره وليس فيها نهر ولا عين (أى بداخلها وإلا فهى تحد بالواديين السابقين) إلا آبار طيبة دخلها القاضى أبو بكر بن العربى رضى الله عنه بعد رجوعه من العراق وعجب من قلة مائها وكثرة خيرها، وقال رأيتها أنبتت ثانى يوم المطر هـ.

وقال أبو القاسم الزيانى فى الترجمانة الكبرى ناقلاً عنه أيضًا: أرض دكالة طولها وعرضها خمس مراجل وليس بها أنهار ولا عيون إلا الآبار العذبة وليس بها شعاب ولا خنادق إلا البسائط المستوية والزروع والضروع وبها زيادة على عشرة آلاف قرية عامرة غير مدن السواحل ومدينتها العظمى فى وسطها وبها خمسة وعشرون مدرسة معمورة بطلبة البربر من صنهاجة دخلها القاضى أبو بكر بن العربى وتعجب من قلة مائها وكثرة ثمارها وخيراتها ورخص أسعارها وطيب زروعها وقد بلغ عدد سككها أزيد من مائة ألف سكة هـ.

مشاهير بيوتاتها

بيت بنى آمغار

هذا البيت عظيم القدر غزير الفضل وافر الجلالة كثير العلماء نبغ منه عدد من الأئمة والشيوخ المرشدين وكان واسطة عقدهم الشيخ الإمام أبو عبد الله سيدى محمد بن أبى جعفر بن إسماعيل الحسنى الإدريسى المدعو آمغار الكبير من أهل القرن السادس الهجرى، وكان له أولاد سبعة تسنموا مراتب العلم والعمل واتصفوا بالولاية والعرفان وقد تناسل من ذرياتهم مالا يحصى من العلماء المرشدين ظلوا حاملين راية العلم والهداية وكانت زاوية تيط مركزهم الوحيد للعلم والدين قصدت من الآفاق وشدت إليها الرحلة الرفاق وغمرت قاصديها بالعلوم والمعارف الربانية الشىء الذى خلد لهذا البيت جميل الذكر وحسن الأحدوثة وحسبك دليلاً على ذلك مقالة الإمام القسنطينى تلك المقالة الوجيزة التى تنم عن خير كثير وفضل غزير درج فى هذا البيت ألا

وهى قوله: أكبر بيت فى المغرب فى الصلاح بين بنى آمغار لأنهم يتوارثونهم كما يتوارث الناس المال.

قال الصومعى وما زالوا كذلك إلى الآن يتوارثونه والغالب أنهم أعلام إما فى الصلاح والعلم أو فى الصلاح ولا تجد من له نسبة حقيقية بهم إلا وتجد فيه خلة من الصلاة هـ.

لا أريد الإطالة بتعداد رجال هذا البيت النبوى وذكر مزاياهم وخدماتهم الجليلة للإسلام، فقد أفردهم الأئمة المتقدمون بالتآليف العديدة منهم التادلى صاحب التشوق والتجيبى ومحمد بن عياض وغيرهم كما فى دوحة الناش لابن عسكر وإنى أنا الأخير لما لم نظفر بتلك التآليف التقطت درر جواهرهم فى مؤلف سميته تنوير بصائر الأبرار بتاريخ زاوية تيط وآل أبى عبد الله آمغار.

وقد امتدت فروع هذا البيت حوالى القرن التاسع إلى هنتيفة وتامصلوحت وغيرها من آفاق المغرب وحواضره.

بيت البوعنانيين الحسنيين

هذا البيت عظيم القدر شهير الذكر وافر الحرمة كان أول نازل منهم بدكالة حوالى القرن الخامس الهجرى الشريف الهمام سيدى أحمد بن ثابت ومنه تناسلت الذرية ويعرفون الآن بدكالة بالرونيين.

وقد امتدت فروع هذا البيت الطيب إلى فاس ومراكش وآسفى وغيرها وتسنموا مراتب المجد العالية وتولوا الولايات كالقضاء والتدريس بحاضرة فاس وغيرها.

بيت المشترائيين

بيت قديم المجد تعدد فيها الرجال والعظماء والشيوخ المرشدون كالشيخ أبى بيور عبد بن وكريس المشترائى صاحب الضريح لشهير وسط صفح دكالة والشيخ الإمام أبى إسحاق إبراهيم بن هلال المشترائى دفين شاطئ البحر والشيخ أبو وازغار دفين أولاد عمران من دكالة وكلهم من أهل القرن السادس الهجرى - والشيخ أبى الحسن على بن قاسم بأبى سجدة من أهل العاشر - وحفيده لزعيم أبى الفداء إسماعيل بن سعيد القاسمى صاحب الزاوية على مقربة من الجديدة كان ممن انضوى تحت لواء الزعيم أبى عبد الله سيدى محمد العياشى فى حرب برتغال ثغر الجديدة ولما ارتحل أبو عبد الله العياشى عن هذه البلاد تركه قائمًا بأعباء تلك المهمة وكانت وفاته أواخر المائة الحادية عشر للهجرة.

والأستاذ المقرئ مولاى الطاهر القاسمى ذو المدرسة الشهيرة فى القراءات التى قامت بواجب عظيم فى بابها وكانت وفاته صدر هذا القرن الهجرى.

وقد امتدت فروع هذا البيت حوالى القرن التاسع الهجرى إلى فاس حيث ارتحل الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى المشترائى عن دكالة قاصداً بيت الله الحرام فمر بحاضرة فاس فاتصل به السلطان أبو سعيد عثمان بن أبى العباس المرينى فبالغ فى إكرامه وندبه للجلوس بفاس لنشر العلم فأجابه إلى ذلك.

وقد ترك بفاس ذرية طيبة عرفوا بأولاد ابن إبراهيم المشترائيين تسلسل فيهم العلم والفضل من ذلك الحين إلى قريب من عصرنا تحتل بفضائلهم الطروس وتزينت بمزاياهم المجالس والدروس حتى شبههم الشيخ زروق ببيت المرازقة بتلمسان وأثنى عليهم غير واحد من الأئمة ثناء عاطراً.

وبرسمهم وضع العلامة أبو العباس أحمد بن إبراهيم المشترائى الفاسى من نسبهم كتابه سلسلة الذهب المنقود فى ذكر أعلام من الأسلاف والجدود ولم يكمله فأتمه أخوه.

وتوجد فرقة أخرى بفاس وافقتهم فى الاسم والنسب عرفوا بأولاد ابن إبراهيم المشترائيين فيهم علماء وعدول ولكن ليس لهم من المزايا ما للأولين.

بيت صنهاجة

بيت صنهاجة بدكالة نبيه المكانة جليل القدر نبغ منه عدة رجال فى العلم والسياسة كالشيخ الإمام المرشد أبى الحسن ابن يونس المحبوبى الصنهاجى من أهل القرن الثامن - ورجل الكرم والسياسة والوجاهة ولرياسة ابن بطان الصنهاجى والى صنهاجة آذمور وما إليها فى دولة أبى الحسن المرينى وفى دول بنيه لقيه ابن الخطيب السلمانى سنة ٧٦١ - وفيه يقول:

لله درك يا ابن بطان فمـــا ... لشهير جودك فى البسيطة جاحد

إن كان فى الدنيا كريم واحد ... يزن الجميع فأنت ذاك الواحد

أجريت فضلم جعفرا يحيى به ... ما كان من مجد فذكرك خالد

فالقوم منك تجمعوا فى مفرد ... ولد كما شاء العلاء ووالد

وهى الليالى لا تزال صروفها ... يشقى بموقعها الكريم الماجد

وبمستعين الله يصلح منك ما ... قد كان أفسده الزمان الفاسد

ولهذا البيت فرع طيب وافر الجلالة بفاس وهم بنو المليلى انتقل جدهم الشيخ الفقيه الصالح أبو زيد السيد عبد الرحمن الصنهاجى عن صنهاجة

آزمور مغاضبًا لسلطان عصره من آخر الموحدين فنزل مليلية من بلاد لريف ثم نقله إلى فاس سلطانها أبو يحيى بن عبد الحق المرينى فتناسل منه فقهاء أجلة ووجهاء.

بيت بنى دغوغ

بيتهم عظيم القدر نبيه المنزلة تعدد فيه الرجال العظام والشيوخ المرشدين، ولهم رباطات كانت مراكز للعلم والقرآن والدين - وموضوع تجل واحترام من ملوك الإسلام والمسلمين كالشيخ الإمام أبى حفص عمر الدغوغى والشيخ الواعظ الخطيب ابن محمد مليجى بن موسى الدغوغى والشيخ ابن مهدى الدغوغى والشيخ أبى الأنوار والشيخ الفقيه الإام أبى محمد عبد الخالق ابن ياسين كلهم من أهل القرن السادس ويوجد غيرهم من الرجال الذين تقر بهم عين الإسلام.

بيت رجراجة

هذا البيت غنى عن التعريف بكثرة رجاله العظماء من المتقمدين والمتأخرين وسيأتى ذكرهم فيما بعد بقريب لكن لا بأس بالإشارة إلى الفروع التى توجد بدكالة كالفرع الذكى المعروف بأولاد ابن الشاوى حفدة سيدى إبراهيم الشاوى لقبا القرمودى الرجراجى نسبًا نبغ فيهم عدة رجال كانوا مثال الفضل والعلم والدين كالإمام المقرىء النحوى محشى المكودى أبى عبد الله سيد بن محمد بن المؤذن المتوفى سنة ١٢٨٩ - والفقيه العلامة النحوى الملقب

سيبويه أبو العباسى أحمد بن الجيلالى المتوفى سنة ١٣١٥هـ والفقيه العلامة السيد عبد الله بن الجيلالى المتوفى سنة ١٣١٠ والفقيه الإمام السيد عبد الله ابن على المتوفى سنة ١٣٤٤هـ - والفقيه الإمام السيد الحسانى المتوفى سنة ١٢٩٩. وغيرهم الأعلام. هذه الحلبة المباركة لعبت دورًا عظيمًا فى نشر العم وبثه فى هذا الصقع وكانت لهم مدرسة من قديم لكنهم لما نشأوا بها رقوها لأعلى مراتبها وأدخلوا عليها علومًا حوالى المنتصف القرن الماضى الهجرى وجلسوا بأنفسهم لإفادة الطالبين للعلوم فكانت تلك المدرسة موردًا معينًا لأهل العلم تخرج بها ما لا يحصى منهم ولا تزال إلى الآن فيها البركة صانها الله ووجد فروع أخرى حوالى آسفى كالزاوية الغنبورية والجدعانية وغيرها.

بيت بنى ماكر

هذا البيت جليل القدر عظيم المنزلة غنى بكثرة رجاله وعظمائه وناهيك بيت أنجب مثل الشيخ أبى محمد صالح الماكرى صاحب رباط آسفى الشهير المتوفى سنة ٦٣١. وأولاده الشيوخ الأجلاء والفقيه الإمام الخطيب الورع أبو القاسم بن إبراهيم الماجرى ثم الأزمورى من أهل السابعة والأستاذ المعّربى المفسر أبو القاسم بن محمد الماجرى الأزمورى ثم الفاسى نزيلها المتوفى بها سنة ٩١١. والفقيه القاضى أبى عبد الله محمد بن الطيب الماجرى العبدى قاضى آسفى وعبده صدر القرن الماضى والأستاذ الفقيه الصالح النفاع الحاج محمد بن رحال الماجرى النجاوى العامرى ذو المدرسة الشهيرة والنفع العميم المتوفى سنة ١٣٣٤ وولديه الفقيهين الفاضلين أبى عبد الله السيد محمد الكبير وأبى عبد الله السيد محمد الصغير حفظهما الله.

وقد نأى عن هذا القبيل الدكالى جماعة وافرة من الأعلام الذين خلدوا للبيت الدكالى جميل الذكر وحسن الأحدوثة كالإمام أبى مهدى عيسى الدكالى بفاس وبسبتة قديمًا الإمام الأصولى النظار أبى زكريا يحيى الدكالى بفاس وبسبتة قديمًا الإمام الأصولى النظار أبى زكريا يحيى الدكالى. وبتونس الإمام علم الأعلام أبى عبد الله محمد بن شعيب الدكالى مجدد سند العلوم الإسلامية بها حوالى القرن السابع كما لابن خلدون فى المقدمة والعلامة الإمام سحنون الدكالى نزيل الإسكندرية والإمام المفسر النحوى الشهير أبو أمامة النقاش محمد بن على بن عبد الواحد الدكالى المصرى المتوفى سنة ٧٦٣. وغيرهم ممن نزلوا الشام والحرمين الشريفين الشىء الذى يدل على حسن منبت هذا القبيل الدكالى وطيب عنصره وكرم محتده وناهيك بكون الإمام البوصيرى انتسب لدكالة نسبة حب حيث قال فى قصيدته التى امتدح بها الشيخ أبا محمد صالحًا وأولاده:

وما أنا من دكالة غير أننى ... نسبت إليهم نسبة الصدق فى الحب

كنسبة سلمان لبيت نبيه ... وما كان فى قبيل منهم ولا شعب

جزا الله خيرا ملة أخرجتهم ... من الناس إخراج الحبوب من اللب

ثم إن دكالة لما دخلها العرب من موجة الهلاليين وأحلافهم حوالى السادس والسابع من الهجرة. انقسمت إلى قسمين دكالة الحمراء وهى عبدة الجنوبية التى تحيط باسفى وتبلغ وادى تانسيفت جنوبًا. ودكالة البيضاء وهى الشمالية التى تحفظ اسم (دكالة) تمتد رقعتها من وادى أم الربيع إلى مغربة من آسفى وهؤلاء العرب قد لبسوا جلدة القبيلة القديمة وحلوا محلها وانتسبوا نسبتها حيث إنها كانت أواسط القرن الخامس الهجرى قد تعصبت للدولة

اللمتونية وقوضت أركانه على حين شبابه لذلك اجتهد السلطان عبد المؤمن للموحدى وأنباؤه فى تجهيز الجيوش لها فقاتلوه وهزموه ثم كانت له ولأولاده من بعده عليهم الكرة فاجتهدوا فى إبادتها تارة بالسيف وتارة بتفريقها فى آفاق المغرب.

رجراجة

مواطنهم على عدوة وادى تانسيفت الجنوبية. وهذه القبيلة كانت لها فضيلة السبقية لتلقى الإسلام بالمغرب نبغ فيها رجال سبعة لهم ذكر فى اعتناق الإسلام والذب عن حوزته. ورئيسهم السيد واسمين دفين جبل الحديد. والسيد أبو بكر أشماس بزاوية قرمود بسفح الجبل من جهة البحر. وولده السيد صالح بن أبو بكر ببلاد حويرة على مقربة من والده. والسيد عبد الله أدناس، عليه قبة وادى تانسيفت من الجنوب. والسيد عيسى بوخابية على وادى تانسيفت أيضًا والسيد سعيد بن يبقى المدعو السابق - بموضع تمزت. والسيد يعلى دفين رباط شاكر. كانوا متظاهرين للإسلام ناشرين شرائعه مدافعين عن حوزته وبالأخص عد ظهور برغواطة المتنبئين بتامسنا كانت بينهم حروب استمات فيها رجراجة على الإسلام وباعوا أنفسهم من الله بل قال جماعة من العلماء أنهم صحابة شدوا الرحلة إلى النبى ﷺ بمكة فى أول ظهوره وكلموه باللغة البربرية فأجابهم بها وأسلموا ورجعوا للمغرب وهم أول من أدخل الإسلام للمغرب، ذكر ذلك التلمسانى فى كتاب المنهل الأصفى فى شرح كتاب الشفا فى فصل بلاغته ﷺ عن ابن سيدى الحسن عن أبى ذكرياء أنه كان يحدث به عن شيخه منصور بن على البجائى عن أبيه وغيره من

شيوخه ونقله عنه الشهاب الخفاجي في نسيم الرياض مستغربًا له. وتصدى لنصرة ذلك الإمام أبو عبد الله السيد محمد بن سعيد المرغيثي مستدلاً على ذلك بالشهرة والاستفاضة التي نقلها الخلف عن السلف من أهل بلادهم وغيره، قائلاً أن صحبتهم قد اشتهرت بين الخاص والعام شهرة بأبى عبد الله أن تكون باطلة.

ونقلها عن جماعة من شيوخه وغيرهم كالإمام الحافظ سيدى عبد الله ابن على ابن طاهر العلوى والإمام المحدث المفتى سيدى عبد الواحد بن أحمد العلوى وأستاذ المغرب سيدى محمد الترغى والإمام سيدى محمد الكفيف وشيخ الشيوخ سيدى عبد الله بن أحمد الرجراجي وقال إن له في صحبتهم كلامًا مفيداً. وعن الشيخ أبى بكر بن يوسف وعن جماعة السكتانى وافرة من أهل درعة وتلمسان وفاسى وغيرها وقال إن بعض العلماء نقل صحبتهم وحررها مما طالعته من كتب غير واحد إلا أنه طال عهدى به وعزب عن حفظى لاشتغالى بغير ذلك من المعارف.

وقال العلامة الأديب المؤرخ أبو الربيع سليمان الحوات، في الروضة المقصودة، وقد تصدى لتصحيح عددهم ووفودهم على النبى ﷺ بلغتهم وجوبه لهم بمثلها وعينوا مدافنهم وأسماءهم وأنهم هم المعروفون الآن برجال رجراجة ونسبة الصحبة إليهم شائعة ذائعة على ألسنة الناس خصوصًا عند أهل بلاد رجراجة وعمومًا عند غيرهم اهـ.

وقال الفقيه السيد الكبير بن عبد الكريم المراكشى الشاوى المعروف بابن حريدة أن صحبتهم اشتهرت عند الناس وتواطئوا على الإخبار بها لشيوعها

واستفاضتها على ألسنة أهل العدالة وغيرهم من قديم الزمان وذكره الخلف عن السلف اهـ.

وقد أبى ذلك عن جماعة وقالوا أنه لم يدخل المغرب صحابى وأول من أدخل الإسلام للمغرب عقبة بن نافع الفهرى. وقد جمع بين القولين بعض الأئمة بأن رجراجة أول من أدخل الإسلام للمغرب ولكنهم لم يحملوا الناس عليه بالقوة وأ عقبة بن نافع هو أول من أظهر الدين وحمل الناس عليه بالقوة. والذى يظهر لى بعد التروى فى المسألة أن إثبات الصحبة يحتاج لأدلة أمتن وأصح من الأدلة التى أقامها المرغيثى وغيره لأن الشهرة المذكورة ليست بقديمة العهد حسبما يظهر من كون العلماء القائلين بصحبتهم إنما هم من أهل القرن الثامن فما بعده، كما أن هذا القول بالصحبة لا يهمل ولا يطرح بل يحفظ ويذكر مع بيان رتبته عسى أن يوجد ما يعضده فإن الذين ألفوا فى الصحابة لم يستوعبوهم بل لم يذكروا عشر معشارهم فقد ذكر الحافظ أبو زرعة الرازى أن النبى ﷺ توفى ومن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف إنسان من رجل وامرأة قال ذلك فى جوب من سأله عن الرواة فكيف بمن لم يرو عنه وسبب خفاء الكثير منهم أنهم جلهم من أهل البوادى أسلموا وذهبوا لبلادهم ولم يهتد الباحثون للتنقيب عنهم فى ذلك الحين. وأول من صنف فى أسمائهم الإمام سيدى محمد بن إسماعيل البخارى صدر القرن الثالث بعدما ذهبت طبقة الصحابة والتابعين وتنوسيت كثير من أخبارهم فجعل يلتفظهم من الأحاديث المحفوظ عنهم ثم تلاه الأئمة فى ذلك وجلهم من أهل المشرق فلم يدخل أحد منهم المغرب الأقصى، وكان أبو عمر بن عبد البر من الذين ألفوا فيهم ولكنه بالأندلس ولم يقطع بر العدوة ويباحث أهلها وآخر

من ألف فيهم وجمع ما تفرق فى تصانيف من قبله. وزاد الحافظ المطلع الشهاب بن حجر ومع ذلك أقر بالعجز عن بلوغه عشر معشارهم كما فى طالعة كتابه الإصابة. هذا مع كون المغاربة أكثر الناس إهمالاً للتاريخ حتى توجع لذلك غير واحد من الأئمة وكيف لا يتوجع لذلك وقد ضاعت بسببه رجال وانطمست محاسنهم واندثرت آثارهم، وكيف لا ينفطر القلب وتذوب النفس حسرات على ذلك التراث الذى ضيعه أهله والكنز الثمين الذى أهمله ذووه. وأنكر من ذلك وأمر هو كفران الخلف بالبقية الباقية من ذلك الأثر الضئيل المتخلف عن السلف فيعمدون إلى نفيه جزافًا من غير إمعان نظر ولا إجالة فكر ولا سعة اطلاع إما بالاستبعاد وإما بعدم ذكر فلان وفلان ولو أقر ذلك الذاكر بالعجز عن الاستيعاب فإنهم يأبون إلا أن يجعلوا عدم ذكره حجة على العدم.

ولعل النافى أو المستبعد لم يطلع على نسبه فضلاً عن أن يطلع على خبر بلده أو قطره ولعله لم يفارق بلده ومن اهتدى للبحث والتنقيب عن عيون أخبار السلف ورحل وبحث. أقل من القليل وليته يسلم من جهلة الذين يرون التاريخ شيئًا فريًا ويرمونه وراءهم ظهريًا. نعم المتحقق من أحد هؤلاء الرجال السبعة أنهم كانوا مظهرين للإسلام ومدافعين عنه، فقد ذكر عنهم صاحب التشوق أن يعلى أحد الرجال السبعة كان يجاهد كفار برغواطة وغزاهم مرات، وإن طبلة باق برباط شاكر اهـ. يعنى فى عصره صدر القرن السابع الهجرى. وكان ظهور برغواطة سنة ١٢٤. فى دولة هشام بن عبد الملك، وقيل قبل ذلك محاكاة للنبى ﷺ، وكان انقراضهم بمرة صدر المائة الخامسة للهجرة. ومسألة الصحبة توجد مفصلة فى كتابنا الياقوتة الوهاجة فى

مفاخر رجراجة فقد استوعبناها بما لها وما عليها وذكرنا فيه من تراجم البيت الرجراجي مائة وخمسين ترجمة فأكثر. فالبيت الرجراجي من أغنى البيوتات رجالاً كالإمام العلامة الأصولي أبي الحسن علي بن سعيد الرجراجي صاحب كتاب مناهج التحصيل فيما على المدونة من التأويل من أهل السادس الهجري. والإمام الأستاذ المقرئي النظار أبي علي حسين بن طلحة الرجراجي الواصلي صاحب كشف النقاب عن تنقيح الشهاب في الأوصل وري العطشان على مورد الظمآن في رسم القرآن من أهل التاسع. والإمام المتفنن أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن الرجراجي السكتاني قاضي الجماعة بسوس ثم مراكش وصاحب الحواشي على صغرى السنوسي المتوفى سنة ١٠٦٢. والإمام المتفنن أبي الحسن علي بن أحمد الرجراجي التمنوتي صاحب شرح ألفية ابن مالك والجمل وشرحي الكبرى والصغرى وغير ذلك من الأوضاع المتوفى سنة ١٠٤٩، والفقيه العلامة أبي العباس أحمد ابن علي الرجراجي ثم الهشتوكي صاحب كتاب الإيضاح في شرح الرسالة والفتاوى وغيرها المتوفى سنة ٩٦٥، والإمام المشارك أبي عبد الله محمد ابن عبد الله الرجراجي قاضي تادلا عهد إليه أحمد المنصور السعدي في اختصار الكشاف والكلام معه في مواضع سقطه. رحمه الله. والفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الخراص الرجراجي شارح لامية الزقاق من أهل الثاني عشر للهجرة والأستاذ الإمام المقرىء المتفنن أبي محمد عبد الله ابن علي الرجراجي السكياطي كان رحالة إمامًا رحل لمراكش وفاس ومصر والحرمين الشريفين ومكث بمصر سنة واستغرقت مدة رحلته عشر سنين ورجع بعلم غزير بثه في صدور الرجال، وتوفي سنة ١٢٤٤ - وتلميذه الإمام أبي حفص عمر بن أبو جمعة الرجراجي السكياطي صاحب المدرسة الشهيرة وقاضي الصويرة والشياظمة العادل في سيرته المتوفى

سنة ١٢٦٦ . والإمام القاضى محيى رسوم العدل أبو الحسن على بن عبد الصادق الرجراجى قاضى الصويرة وما إليها ومدرسها وأمامها الكثير الخشية من الله الموتفى سنة ١٣٠٨ وغيرهم من الأعلام.

وهذه القبيلة قد انتفقت فى القاصية وتلاشت فى القبائل فبعضها بسوس وبالسراغنة ولم يبق بموطنهم المذكور إلا أولاد الرجال السبعة وذرياتهم ومن هو من ذويهم فى رباطاتهم موضوع تجلة واحترام من الملوك والمسلمين رعيا لسلفهم ومالهم من خدمات وسوابق فى الإسلام كانت هذه الرباطات معقل العلم والدين ومورداً معيناً لأهل العلم فكم تخرج من رباطاتهم من الأئمة العظام الذين طابت بأعمالهم الأيام ولا تزال فيها البركة وإن كان لحقها من الفتور ما لحق الأمة الإسلامية والله سبحانه الموفق.

حاحة

موطنها يتصل برجراجة فى بسط ينعطف ما بين ساحل البحر والجبل الأطلس يفضى ذلك البسيط إلى السوس الأقصى وفى التاريخ العام المغربى يطلق اسم حاحة على كامل بلاد رجراجة مما وراء تانسيفت من الجنوب.

جزولة وهشتوكة

مواطنهم بسوس الأقصى إلى وادى نون (وادى نول) قد خالطهم عرب المعقل وكاثروهم.

وحول مراكش قبائل هزميرة وهيلانة وهزرجة ومتوكة وسكتانة ومسفيوة

وغيرها مما يقطن البسائط وسفح الجبل الأطلس. وزاد ابن خلدون فى المصامدة برغواطة أهل تامسنا. وبنو حسان وغمارة شمال سلا إلى إذغار وأصيلا وبلاد الهبط وقد زاحمتهم عرب رياح وغيرها فى هذه البسائط.

مصامدة جبل درة (الأطلس)

هذا الجبل من أعظم جبال الدنيا يبلغ أعلاه حول مراكش ٤٠٧٠ متراً. قال ابن خلدون هذه الجبال بقاصية من أعظم جبال العمور بما أعرق فى الثرى أصلها وذهبت فى السماء فروعها ومدت فى الجو هياكلها ومثلت سياجًا على ريف المغرب سطورها تبتدئ من ساحل البحر عند آسفى وما إليه وتذهب فى المشرق إلى غير نهاية ويقال إنها تنتهى إلى أرض برقة تفجرت فيها الأنهار وجلل الأرض حمراء الشعر وتطابقت فيها ظلال الأرواح وزكت فيها مواد الزرع والضرع وانفسحت مسارح الحيوان ومراتع الصيد وطابت مناسبت الشجر ودرت أفاويق الجباية بعمرها من قبائل المصامدة أمم لا يحصيهم إلا خالقهم قد اتخذوا المعاقل والحصون وشيدوا المبانى والقصور واستغنوا بقطرهم عن سائر أقطار العالم ورحل إليهم التجر من الآفاق واختلفت إليهم أهل النواحى والأمصار اهـ.

أما هسكورة فكان جبلهم الذى أوطنوه من حاله دون القنة منها والذروة واعتصموا منه بالافق الفدد واليفاع الأشم والطود الشاهق قد لمس الأفلاك بيده ونظم النجوم فى مفرقه وتلفع بالسحاب فى مروطه وآوى الرياح الدجوة وألى إلى خبر السماء بإذنه وأطل على البحر الأخضر بشماريخه واستدبر القفر من بلاد السوس بظهره وأقام سائر جبال درة (الأطلس) فى حجره.

مواطنهم منه متصلة مـن درن إلى تادلا من جانب الشرق إلى درعة من جانب القبلة صنهاجة، يعرفـون بزناكة بإشمام صاده زايا وإبدال الجيم بالكاف المتـوسطة المخرج عند الـعرب لهـذا العهـد بي الكاف والقـاف أو بين الكاف والجيم وهى مـعربة النطق كـما لابن خلدون. ويطلق هذا الاسم على قـبائل زينب ومرموش ويدراس وقبائل مـالو وزدك ومكدول وتروك ويسرى وغيرهم يقطنون بجل فازازا من الأطلس بالجانب الشرقى منه ما بين تازا وتادلا ومعدن بنى فازان حيث الثنية المفضية إلى أكرسلوا.

قال ابن خلدون ويتصل بهم من جـهة المغرب على ساحل قبـيلة بناحية آذمور، وهى التى قـدمناها فى بيوتات دكـالة، وأخرى ببـلاد الريف قال ابن خلدون ولغتهم فى الأكثر عربية.

هرغة

قبـيلة المهدى بن تومرت مؤسس دولة الموحـدين موطنها بالجـبل لكنها تلاشت واندثرت.

تينمل

أصحاب دعوة المهدى. هذه القبيلة قبلة مراكش كانوا من أخلص الناس للمهدى فتـحيز إليهم وبنى حصنه بهم فى محل أمـنع من عقاب الجو لو أراد أربعة من الرجـال أن يحفظوه من أهل الأإض حفظوه لحـصانته ومناعتـه وقد تلاشى هذا الحصن بكرور الأزمنة وامتداد الأيدى العادية إأليه حتى لم تبق منه

إلا إطلال ورسوم ويوجد به الآن الحفر والتنقيب عن آثاره العتيقة، ولا تزال به عدة قبور للمهدى وعبد المؤمن ويوسف ولده والونشريسى.

وقد دثرت هذه القبيلة شأن التى قبلها.

هنتانة

موطنهم الجبل المتاخم لمراكش المطل عليه، وكانت فيهم الرياسة فى الدولة الموحدية والمدينية وغيرها.

كدميوة وسكسيوة

موطنهم بصدف جبل هنتانة.

وريكة

مجاورون لهنتانة.

موجة العرب الداخلة للمغرب الأقصى فى القرن السادس

أمة العرب الموجودة تنقسم إلى قحطانية وهم عرب اليمن، وإلى عدنانية وهم الإسماعيلية عرب الحجاز، ومن العدنانية عرب مضر الذين دخلوا المغرب وهم عرب جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس بن عيلان بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان،

وهلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وسليم بن منصور ابن عكرمة بن خصفة، ورياح بن أبى ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، جماعهم منصور بن عكرمة.

فهؤلاء الذين دخلوا المغرب وبلغوا شمال أفريقية سنة ٤٤٣هـ. ولما دالت الدولة للسلطان عبد المؤمن بن على وعلت سطوته على من بالمغرب نقل للمغرب الأقصى (جنوب أفريقيا) ألفًا من كل قبيلة بعيالهم وأبنائهم سنة ٥٥٥ انتهى كما فى القرطاس. وفى الكامل لابن الأثير (ص ٧٠ ج١١) فى سياق حوادث ٥٥٠ فى هذه السنة فى صفر كانت الحرب بين عسكر عبد المؤمن والعرب فانجلت المعركة عن انهزام العرب وتركوا جميع مالهم من أهل ومال فأخذ الموجدون جميع ذلك فقسم عبد المؤمن الأموال على عسكره وترك النساء والأولاد وأمر بصيانتهم فلما وصلوا لمراكش أنزلهم فى المساكن الفسيحة وأجرى لهم النفقات الواسعة وأمر ابنه محمد أن يكاتب أمراء العرب فسارعوا إلى مراكش فأعطاهم نساءهم وأولادهم وأموالاً جزيلة فاسترق قلوبهم بذلك وكان بهم حفيًا فأقاموا عنده واستعان بهم على ولاية ولده محمد للعهد وكان هؤلاء العرب من هلال وزغبة وعدى وقرة ورياح وغيرهم اهـ.

وفى دولة حفيده السلطان يعقوب المنصور لما أوقع بعرب أفريقيا الشمالية نقل جمهورهم إلى دواخل أفريقيا الجنوبية (المغرب الأقصى) فأنزل عرب جشم وما أضيف إليهم بتامسنا ودكالة البسيط الأفيح ما بين سلا ومراكش وآسفى وما إليه وأنزل رياحًا ببلاد الهبط فيما بين القصر وآذغار إلى البحر البسيط الأفيح ولم ينقل بنى سليم بن منصور لأنهم لم يقاتلوه وذلك سنة ٥٨٤. ويسمى الناس هذين السبيطين الأول بالحوز والثانى بالمغرب.

مواطن هؤلاء العرب على التفصيل

عرب دكالة - قال الإمام أبو زيد عبد الرحمن الفاسى فى كتاب الأقنوم فى مبادئ العلوم.

فصل وفى دكالة بنو هلال أولاد عمران وعبدة يقال

أولاد بو عزيز الشرقية أولاد سبطة كذا الغربية

وهكذا العونات أولاد فرج سيدنا المذوب منهم خرج

وانضاف ذا الزمان أولاد دليم مع المنابهة كنا بهم عليم

أولاد عمرو ثم آل عامر كذا الشياظمة كل صائر

عرب دكالة ينقسمون إلى قسمين - دكالة البيضاء وهى الشمالية التى تحفظ هذا الاسم (دكالة) عند الإطلاق الخاص - ودكالة الحمراء وهى الجنوبية المحيطة بناسفى التى تحفظ اسم عبدة فى الإطلاق الخاص وفى التاريخ العام المغربى يتناول الإطلاق القبيلتين.

ثم إن قبيلة عبدة لها ثلاث عمايز - الربيعة - البحاترة - وآل عامر فالربيعة لها أربعة بطون - البخاتى - الشهالى - الأضالعة - سحيم - فالبحاترة لها ستة بطون - آل غياث - أولاد سلمان - دربالة - تمرة - أولاد زيد الجحوش وأشجع (الزع) - وآل عامر لها ثلاثة بطون الجرامنة - المويسات آل حسين - وكل بطن تحته أفخاذ وفصائل - وغالبها من عرب الحجاز وقد كان حول آسفى عرب سفيان من جشم. قال ابن خلدون كان سفيان هؤلاء أحياء حلولا بأطراف تامسنا مما يلى آسفى وكان صاحب رئاستهم فى دولة الرشيد الموحدى.. جرمون بن عيسى وهلك سنة ٦٥٩ - ثم كان ولده كانون

بن جرمون وعلا كعبه عند السعيد ثم أخوه يعقوب بن جرمون - واتصلت الرياسة على سفيان فى بنى جرمون إلى عهدنا وأدركت شيخًا لعهد السلطان أبى عنان - وهو يعقوب بن على بن منصور بن عيسى بن يعقوب بن جرمون ابن عيسى اهـ.

ويوجد الآن من بطون آل عامر من عبدة - الجرامنة - ولعلهم منهم كان صاحب رياستهم فى الدولة الإسماعيلية العلوية القائد علال المخزنى ثم ابن أخيه القائد عبد الرحمن بن ناصر كان ذا شهرة فى عالم السياسة فى الدولة المحمدية ثم فى أيام المولى هشام كانت إليه إدارة دفة سياسة الحوز وخلد آثارًا جليلة بآسفى وتوفى سنة ١٢١٤ - واستقرت فيهم الرياسة إلى أواخر القرن الماضى ثم دار عليهم الزمان بدورته والبقاء لله.

وقد ذكر الفقيه أبو عبد الله محمد العياشى فى كتاب زهر البستان أن سفيان كانوا فى دولة السعديين حلولا بأطراف مدينة آزمور بدكالة فكان قبيلة أولاد أبى عزيز الآن وكان السلطان أحمد المنصور قد أنزل أولاد أبى عزيز الآن بطرف آذغار على وادى بهت وكانت حللهم منتشرة هناك إلى عين الشقا حتى مات أحمد المنصور (سنة ١٠١٢) فانتقل أولاد أبى عزيز لبلادهم حذاء آزمور وارتحل سفيان من دكالة للغرب فألفوا قبيلة مختار قد استولوا على الحوض فزاحموهم فيه بالمناكب وما زالوا يختصمون عليه إلى الآن اهـ.

وهم الآن شمال وادى سبو بقبيلة الغرب مع بنى مالك من عرب سويد وكان صاحب رئاستهم بآزمور فى الدولة السعدية القائد إبراهيم ابن عمر السفيانى من أكبر قواد المنصور الذهبى بل كان معدودًا من وزرائه ولاه أمر مدينة آزمور وما إليها فاستناب ولده عليها القائد محمد بن إبراهيم وكان هو

المتولى ضبط حلة سفيان بدكالة مدة إقامة والده بفاس وكان إلى نظره حرب برتغال الجديدة. قال صاحب زهر البستان نقلاً عن رحلة الشهاب أحمد الحجرى المعروف بأفوغاى أن القائد محمد بن إبراهيم حضر مع المنصور عيد الأضحى فى ألف فارس من سفيان الذين كانوا بدكالة جنداً للمنصور ولما مات المنصور رجع سفيان للغرب وتوفى القائد محمد بعد رجوعه هناك وتوفى والده بفاس وبقى أولاده هناك رحمهم الله.

عدد أهالى عبدة يوجد بها من النسمات ١٤٢٥١٩ من المسلمين، ١١٧٤ من الأورباوين، ٩ من اليهود.

عبدة بالصحراء

توجد عبدة بالساقية الحمراء مع عرب الركيبات.

عبدة بالحجاز

قال فؤاد حمزة فى كتاب قلب جزيرة العرب - عبدة هى إحدى القبائل الأربع التى يطلق عليا شمّر وهى: سِنجارة، وتُومان، وأسلم، وعبدة، ثم ذكر بطون عبدة، وقال أنها تملك آبار ليبنة والخضراء وزرود والثعلبية والأجفر، وتمتد منالها من أجا إلى ما وراء ليبنة - ومن عبدة آل ابن على حكام الحائل - ثم آل الرشيد حكام حائل بعد آل ابن على، وكان مؤسس رئاستهم بها أولا عبد الله ابن على الرشيد أوائل القرن الثالث عشر للهجرة فى بلاد شمر من عشيرة الجعفر من فخذ الربيعية من عبدة وتداول الإمارة

بعده أولاده حتى قضى عليها الأمير عـبد العزيز آل سعود سلطان الحجاز الآن وفقه الله.

عرب حمير

موطنهم يتصل بعبدة من جـهة مراكش هم فى عداد دكالة عند الإطلاق العام ويختصمون بعبدة ويظهر أنها من عرب المعقل الحميرية.

وقد ذكر أبو القاسم الزيانى فى الترجمانة الكبرى أن عرب اليمن دخلوا بعد المضرية لبرقة فوجدوا المضرية أمامـهم بإفريقية والمغرب فتنكبوهم وقصدوا بلاد الصحـراء خلف درن وأموا المغرب على ودان وفـزان وتوات ودرعة إلى وادى نول (نون) من أقصى سوس ومنهـا دخلوا لنواحى مراكش إلى أن دخل الخلط وسفيان من المضرية أمامهم فاقصروا بأحواز مراكش إلى آسفى اهـ.

الشياظمة

موطنهم على الشـفة الجنوبية لوادى تانسيفت إلـى مرسى الصويرة وهى من العرب المضرية كالحرث وغيرهم من عرب المعقل كما يوجد فيها من البربر مسكالة ورجراجـة ويوجد فريق من الشياظمة شـمال وادى أم الربيع فى عداد دكالة البيضاء.

أولاد مطاوع أخوة الحرث

يقطنون أحواز مراكش.

أولاد وليم

مواطنهم فيما بين مراكش ودكالة ويـجاورهم الرحامنة وخمير من عرب المعقل الأولى شمالها والثانية جنوبها.

عرب السراغنة

موطنهم قبلة مراكش.

عرب الشاوية أهل تامسنا

هم أخلاط من العرب والبـربر نسبوا إلى الشاء لقيـام عرب سويد منهم على رعاية شاء وإبل الدولة المرينية.

وفيهم من العرب - المقدم والعـاصم وقرة والأصبج من الهلاليين دخلوا فى غـمـار جشم فـى الدولة الموحـدية، ثم دخل سـويد من رياح فى الدولة المرينية سنة ٧٧٠، وفيهم من اليمنية أولاد أبو عطية، ومن البربر زاتة ومديونه ومزاب. وكان بسيط تامسنا موطن برغواطة ثم لما تلاشت دولتهم حل محلهم العرب.

عرب الخلط

كان موطنهم تامسنا ثم تطورت بهم الحوادث فاستقروا ببلاد الهبط وكان دخولهم فى عدا جشم لكن المعروف أنهم من بنى المنتفق.

عرب تادلا

منهم بنو موسى والأعشاش والمطارفة والرزين ويعقوب وبنو عنان وحميان وسكدال وبنو مسكين وبنو عمير وعكارة والسوالم.

بنو جابر

فى عداد جشم لكن قال ابن خلدون يقال إنهم من سدراته إحدى فرق زناتة أو لواتة، ويزعم كثير من الناس أن ورديغة من بنى جابر اهـ.

عرب المعقل القحطانية

كون هؤلاء العرب من القحطانية هو ما صححه ابن خلدون وأبطل نسبتهم الجعفرية وباحثه فى ذلك العلامة أبو العباس الناصرى وصحح نسبتهم الجعفرية وكتب فيها كتابه طلعة المشترى فى تحقيق النسب الجعفرى طبع بفاس فلينظر.

قال ابن خلدون أنهم من عرب المعقل دخلوا المغرب مع الهلاليين فى عدد قليل يقال إنهم لم يبلغوا المائتين وإنما كثروا بمن انضاف إليهم من القبائل من غير نسبهم فإن فيهم من مسلم - سعد بن رياج والعمور من الأثبج - وفيهم من فزارة وأشجع أحياء كثيرة - وفيهم الشظة من كرفة والمهاية من عياض والشعراء من حصين - والصباح من الأخضر ومن بنى سليم وغيرهم ونموا نمو الأكفاء له.

وهم ثلاثة بطون:

(١) ذوو عبيد الله - مواطنهم ما بين تلمسان إلى وجد إلى مصب وادى ملوية فى البحر ومنبعث وادى مامن القبلة إلى قصور توات وتنطيت.

(٢) ذوو منصور بن محمد بن معقل وهم معظم هؤلاء العرب - وينقسم هذا البطن إلى أربعة بطون - أولاد حسين - وأولاد أبى الحسين وهما شقيقان - والعمارنة والمنباة أولاد منبا وهما يضًا شقيقان ويقال لهذين البطنين جميعًا الأحلام - قال الزيانى أن معقلا جد الأحلاف وسقومه وأولاد عبد الله وأولاد نهار وأولاد جرار والودايا والمغافرة والبرابيش وأولاد دليم والشبانة وزرارة وأولاد حسان وأولاد أبى السبع.

أما أولاد أبى الحسين فإنهم عجزوا عن الظعن ونزلوا قصورًا اتخذوها بين تافيلالت وتيكرارين.

كانت مواطن العمارية والمنبات مجاورة لأولاد حسين من ناحية الشرق وفى مجالاتهم بالتفر تافيلالت وصحراؤها وتل ماوية وقصور وطاط وتازا وبطيوة وغساسة.

وكانت المنباة مع بنى عبد الواد فأنزلوهم بسجلماسة جندًا لهم ولما تغلب بنو مرين على بنو عبد الواد أوقعوا بالمنبات فى مجالاتهم بالقفر فتناقص عددهم.

ومن العمارنة كما فى زهر البستان - القبيلة التى بين سلا ومكناسة الزيتون والقبيلة التى فى طرف دكالة مما يلى مراكش اهـ. وهم أولاد عمران الذين فى عداد دكالة البيضاء الآن.

(٣) ذوو حسان - من بنى مختار بن محمد بن معقل - مواطنهم ما بين درعة إلى البحر وينزل شيوخهم بلاد نول (وادى نون) قاعدة السوس قديمًا ويستولون على السوس وما إليه ويتنجعون الرمال إلى مواطن الملثمين من كدالة ومسوفة ولمتونة كما فى ابن خلدون.

وسكان إقليم وادى نون هم قبيلة تكنة من عرب حسان وهى قبيلة ذات كثرة وعدد تبلغ اثنى عشر بطنًا لها قصور ومدن على حفافى وادى نون منها اكليميم يقطنه أولاد عبيد الله وسالم أصحاب رئاستهم من قديم وقضاتها من أولاد الولى الصالح سيدى أحمد الفلالى كان انتقل قديمًا من بلده ونزل على أولاد عبيد الله وترك ذرية كان منهم والقضاة وآخرهم العلامة القاضى السيد عبد الباقى ابن أبو بكر قاضيهم على ما بلغنا الآن.

وهذا الإقليم هو آخر السوس الأقصى وهو أخصب ههذ النواحى وأكثرها مياه وزراعة وغراسة ونخيلاً يكون سفيها من ماء وادى صياه المسمى وادى نون.

وما وراءه صحراء الساقية الحمراء بينها وبين وادى نون أربعون مرحلة بسير الإبل المثقلة ينتجع صحراءها عرب الرقيبات وعبدة والعروسيون وأولاد دليم وأولاد أبى السبع وهذه الصحراء تعرف بالصحراء الصغرى وما وراءها إلى إقليم شنجيط يعرف بالصحراء الكبرى.

وقد انتقلت عدة قبائل من عرب المعقل إلى داخل المغرب ويظهر أن انتقالها كان تدريجيًا فى أزمنة متباينة وخصوصًا فى لدولة السعدية التى كانت تجلب بهم على البرتغال فجاء المتطوعون من أقصى سوس وأطراف الصحراء فيوجد بقبيلة عبدة البعض منهم كقبيلة حمير المتصلة بعبدة مما يلى مراكش ولا

يزال إخوان حمير بهـورة سوس - وكذلك حول مراكش وأولاد دليم وهربيل وتكنة وذو بلال والودايا.

قبيلة الثراردة

مؤلفة من زرارة والشبانة وتكنة كانت حول مراكش فنقل السلطان المولى إسماعيل بعض الشـبانات منهم سنة ١٠٩٠ بسبب انتزاء كبـيرهم عبد الكريم على مراكش وقتلـه آخر ملوك السعديين فأنزلهم وجـدة وضيق بهم على بنى يزناس شيعـة الترك إذ ذاك وبقى جمهورهم حـول مراكش إلى أن وقع بينهم وبين السلطان المولى سليمـان سوء التفاهم فاتصل ذلـك إلى دولة المولى عبد الرحمن بعده فأوقع بهم سنة ١٢٤٤ ثم نقلهم إلى آزغار.

قبيلة الرحامنة

هذه القبيلة من عرب معقل من أوفر القـبائل وأكثرها ذات شوكة وشدة كثيرة الثورات على الملك لكثرتها وعصبـيتها ورئاستها من الدولة الحفيظية إلى الآن فى يد القائد الشهير الطائر الصيت السيـد العيادى بن الهاشمى الرحمانى أحد مـشاهير قـواد المغرب حسنت حـالته أخيـرًا فاشتـهر بكثـير من المكارم الإسلامية والمحاسن الإنسانية إلى ديانة مـتينة ومحبة فى العلم وأهله حتى أنه يحضر مجالس العلم ويبالغ فى إكرام العلماء أثابه الله على قصده ووفقه.

وقد صـرح الزيانى فى الترجمـان المعرب بأن بالمغرب من عـرب اليمن الحياينة حوزفاس وبنى حسن وأولاد أبو عطيـة بتامسنا وأولاد حسين بن عمرو

- والنصف من زمـراه والنصف الآخـر من الخـزرج - وموطن زمـران قـبلة مراكش والله الموفق.

المدن والمراسى بهذا القطر الجنوبى المصمودى

مدينة قنط (كنتان) موقـعها شمال آسفى على بعد نحـوو ٣٤ كيلو متر بشاطئ البحر.

قال الحـسن بن الوزان الغرناطى المدعـو ليون الأفريقى، بناها الأفـارقة الأقدمون، ثم حكى قولاً بأن بانيها الغوط.

وقال مرمول بناها القوط وقت استيلائهم على منطقة طنجة.

وكانت قبل اليوم كثيرة العمارة رائجة التجارة لكن حضر بها العرب أيام طارق لما ذهب لفتح الأندلس وما بقيمنهـا أتم البرتغال تخريبه ويرى الآن بعد جدراتها مما بقى من الخراب وعرب الغربية هم الذين يتولون حكمها.

قال الحسن هى مديـنة فلاحية ذات خصب وأهلها أهل ديانة واسـتقامة وشجاعة لكثرة محاربتهم البرتغال اهـ.

وهى الآن لا أثر لها وفى مـوقعهـا الآن المنارة الشهـيرة المعروفـة (كاب كنتاب) أسست فى الدولة اليوسفية وهى من أهم منائر المغرب.

قصبة إيِّر

هذه القصبة إحدى المحارس البحرية الإسلامية موقعها شمال آسفى على لسان داخل فى البحـر لها بابان أحدهما للبـحر وعليه برج كبيـر والآخر للبر

وعليه برج كبير أيضًا وبخارج هذا الباب مسجد عتيق يحتوى على عشرين سارية له باب بحرى كتب عليه من داخل - فتح هذا الباب لجهة البحر منذ ١٢٠٠ - وله منار ومدرسة محتوية على عدة بيوت يدل ذلك على ما كان لأهلها من عناية بالقرآن والعلم والدين.

لم نطلع على تاريخ تأسيس هذه القصبة إلا أنها كانت موجودة فى اقرن الثامن الهجرى وتعرف فى التواريخ الفرنجية بـ (كاب إير) - وهى إحدى النقط التى كان احتلها البرتغال - وكانت لرجل برتغالى بها دار لصيد السمك فاشتراها من سلطان البرتغال وبنى بها برجًا سماع سانَتْ كَسْروى (الصليب المقدس) وكان هذا البرج مركز الجنوب البرتغال الذين يذهبون للجنوب (آسفى) بقصد الاستطلاع والانقضاض.

وفى سنة ١٥١٧م موافق سنة ٩٢٢هـ توجه إليها الشريف أبو عبد الله محمد السعدى فشق البلاد حتى بلغ إليها وحاصرها فكان من حسن حظه أن انفجر برميل بارود بداخلها فانهدت بسببها بعض الأسوار فاختل نظام البرتغاليين وأسلموا أنفسهم أسارى للشريف.

يسكنها الآن قوم من صنهاجة وغيرهم كانوا محل إجلال من ملوك الإسلام لقيامهم بحراسة البحر وهى الآن آخذة فى التلاشى على رغم وفرة سكانها وفقهم الله.

قصبة الوليدية

موقعها على شاطئ البحر على مقربة من إيّر وهى مربعة الشكل على أطراف سورها المتلاشى أبراج.

قال أبو القاسم الزياني في الترجمان المعرب: إن الوليد بن زيدان السعدي هو الذي بناها بساحل دكالة على البحر ومرساها من أحسن المراسي كالصندوق هـ.

وكان هذا المرسى مفتوحًا في الدولة السعدية. ونسبت للوليد لكونه والله أعلم بناها على الصفة الموجودة، وإلا فهي أقدم من ذلك فقد نقل الزياني نفسه عن العلامة القسنطيني صاحب أنس الفقير أنه دخل في سياحته قصبة الوليدية سنة ٧٦٣.

وقد شملها احتلال البرتغال ولعله لما انجلى عنها خربت فبناها الوليد، ويؤيد ذلك وجود أثر سور قديم بأحد جهات القصبة من الخارج.

يسكنها قوم من دكالة من بينهم عائلة سملالية من سوس الأقصى درج فيهم علماء ووجهاء ولا زال أعقابهم بها ولعل سلفهم نزلوها في الدولة السعدية النابغة من سوس فكان أنصارهم من سوس دخلوا معهم متجندين ومتطوعين وكان الذي يتولى إدارة أحكامها من مراكش يستنيبه باشاها ولا تزال أطلال داره موجودة بها وبخارجها زاوية الفقيه الصالح الرحالة سيدي عبد السلام الغواص اليمني كان بكل من الزاوية والقصبة مدرسة ومسجد حازتا شهرة ونبغ منهما عدة علماء لكن تدهور ذلك الآن تدهورًا كليًا والبقاء لله سبحانه.

مدينة الغربية

هي على بعد نحو ٢٠ كيلو متر من الوليدية قبلة منها في بسيط من الأرض مربعة الشكل متسعة الأرجاء واسعة المساحة يوجد لها الآن ثلاثة

أبواب: باب مراكش، باب آسفى، باب الوليدية، وعلى كل باب منها برج وفى كل ربع ثلاثة أبراج الجميع ١٨ برجًا.

أسسها قبائل دكالة قبل الإسلام أو فى صدره ثم خربت سنة ٦٦٧، فأسسها أبو عنان المرينى ثم خربت سنة ٩٢١، ثم عمرت ثم خربت الخراب الأخير إلى الآن وإليك كلام المؤرخين فى أطوارها.

قال مرمول فى الجزء الثانى من تاريخه أنها بناها الأفارقة الأقدمون فى بسيط من الأرض أفيح حسن المنظر ما بين آسفى وآزمور ولها سور وأبراج كانت فى القديم ذات رفاهية وعمران وهى عاصمة تلك الناحية ولم يكن فى مدن المغرب أخصب من ناحيتها ولما كانت تحت سلطة البرتغاليين توجه إليها أخو سلطان فاس فأبادها إلا أنها تجددت عمارتها بعد ذلك إلى أن كانت مجاعة سنة ٥٢١ فخربت.

وفى كتاب اكتاسام اكتروم عدد ٥٦١ من الفصل الثالث أن مولاى الناصر أبو على بن محمد الشيخ الوطاسى الذى كان يدعى بصاحب مكناسة وتادلا وسلا توجه إلى دكالة فى أبريل سنة خمسة عشر مائة م (موافق سنة ٩١٩هـ) بحكم النيابة عن أخيه ملك فاس محمد بن محمد الشيخ الوطاسى وهدم المدينة بها وهى الغربية اهـ.

وقال الحسن بن الوزان: هى عاصمة دكالة والنواحى المجاورة لها وكانت هى المدينة الوحيدة فى هذه الناحية لباس أهلها الصوف ولهم شجاعة وإقدم وولوع بركوب الخيل وكسبها وكان سلطان فاس أرسل لكبرائها بعدما سقطت فى يد البرتغال وأمرهم بشق العصا عن البرتغال ونهاهم عن أداء الجزية له فأبى كبيرهم فأمر السلطان بجلده وأخذ ماله فشفعوا فيه فقبل شفاعتهم وأخليت المدينة امتثالاً لأمره سنة ٩٢١هـ.

وقال أبو العباس أحمد بن إبراهيم المشتراءى[1] فى كتاب سلسلة الذهب المنقود فى ذكر أعلام من الأسلاف والجدود من جواب للفقيه السيد الكبير ابن عبد الكريم الشاوى المراكشى: إن قبيلة مشتراية كان سكناها بالمدينة التى يقال لها مشتراءة سميت باسمهم من تسمية المحل باسم الحال فيه ويقال أنها من بنائهم بنوها فى أول الإسلام وتحصنوا بها حين تضايق البربر مع الإفرنج.

ومن غريب الاتفاق ما قيل أن هذه المدينة على شكل مدينة المصطفى ﷺ ولم يبق منها إلا الآثار ورسوم الديار بالبلاد الغربية من وسط صقع بلاد دكالة واتصل سكنى قبيلة مشتراءة بها إلى أن اندرست عمارتها فى المائة السابعة أوائل دولة بنى مرين وبها مات الواثق المعروف بأبى دبوس آخر ملوك الموحدين سنة ست وستين وستمائة فتفرقوا حينئذ فى أقطار الأرض، وانتقل أكثرهم إلى مراكش وتحضروا بها وما زال بها الجم الغفير من أعيانها من العلماء والصلحاء والولياء وأهل الخير رحمهم الله اهـ.

ثم اختطها ثانيًا السلطان أبو عنان المرينى المتوفى سنة ٧٥٩.

قال لسان الدين محمد بن الخطيب فى كتاب نفاضة الجراب لما مر بسور موسى على مقربة منها سنة ٧٦١، وقد رفع إلى السلطان المغرى بتخليد الآثار

---

(١) قد وقع للإمام سيدى محمد بن جعفر ضبط هذه النسبة بالشين المثلثة ثم النون ثم الزاى وعزاه لابن إبراهيم هذا والذى عندى أنها بالتاء المثناة فوق بعد الشين ثم الراء المهملة لأ البلاد بلاد علم من قديم ولا يوجد من ينطق بها إلا بالتاء وسألنا من لهم معرفة منهم فانكروا الأول ولا شك أن تداولهم لها كذلك خلفًا عن سلف أولى من ضبط غيرهم على بعدهم على أن كتاب ابن إبراهيم بين أيدينا ولا يوجد فيها ما عزى إليه، ولعل الناقل اتكل على بعض التقاييد وقد رأيتها بالتاء مرسومة فى نسخة عتيقة من التشوف والله أعلم.

أبى عنان المرينى رحمه الله خبر ما عليه الناس من إخافة عدوهم واهتضام عرصتهم فمر بارتياد محل لتأسيس مدينة فاختبر على غلوات منهم (أهل سور موسى) محل أرضه صخر منطبق على تراب يتأتى فيه اتخاذ الخندق غير متلوم السفا بعيد العوى يبنى السور بما يخرج من الثرى ويصون الأطباق المعد للاختزان عن أضرار السماء ويكون سطح الأرض على خمس قامات من منبع الماء فشرع فى البناء ومثلث الأبواب العديدة والأبرج المشيدة وعاز عن إتمامها هجوم حمامه وانصرام أيامه فرغب أهله فى التنبيه على تكميل نقيصته واحتياز حسنته اهـ.

ثم خربت لما استولى عليها البرتغال فى العاشر الهجرى الموافق للقرن الخامس عشر المسيحى ولم يعد إليها عمرانها ولا تزال بها أسوار وأطلال عادية وبها دار القائد الشهير محمد بن حميدة الغربى قائد الغربية الآن مع جملة من السكان.

مدينة تينطنفطر (تيط)

موقعها بجنوب ثغر الجديدة على مقربة منها وهى إحدى المراسى العتيقة، قال الحسن بن الوزان: بناها الأفارقة الأقدمون، وقال أبو القاسم الزيانى أسسها أمراء صنهاجة لما استقر البربر بالمغرب اهـ. نزلها شرفاء بنى آمغار من الأدارسة وبهم اشتهرت وقصدت من الآفاق وكثر عمرانها وصارت معقل العلم والدين وسراج الهدى للمهتدين وظلت موردًا معينًا لأهل العلم والدين طيلة أربعة قرون فأزيد.

قال الحسن كانت فى القديم كثيرة العمارة ذات خصب وافر ولما احتل

البرتغاليون آزمور (سنة ٩١٤) سقطت فى أيديهم وأدى أهلها الجزية للبرتغال لكن مولاى الناصر أحو السلطان الوطاسى لما ذهب إلى تلك الناحية لإنقاذ المسلمين من قيد النصارى فقبض الجبايا على يد أمين بيت المال البرتغالى ويهودى أعانه على ذلك فحمل أهل هذه الناحية إلى قرية تقرب من فاس أرضها صحراء تبعد عن فاس بنحو ثلاثة فراسخ ومن ذلك العهد لم يعد إليها عمرانها.

ونقل صاحب زهر البستان عن رحلة الشهاب أحمد الحجرى المعروف بأفوغاى أنه مر بها ليلاً آخر القرن العاشر أو فاتح الحادى عشر فرأى صومعتها وهى خالية من أهلها اهـ، وذكر أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم العبدونى فى كتاب العقود الوسطى أنه بمر بها سنة ١١٦٥هـ فما وجد بها حسيسًا إلا من يرد عليها من الزوار وبها آثار بناء قديم ومساجد وصوامع وعمارات اهـ.

نعم قد انتعشت عمارتها صدر القرن الثالث عشر الهجرى لما استوطنها القائد محمد بن العروصى الدكالى الهللى فاستبد بمرساها وسرح منها الوسق فكانت تردها البواخر التجارية كما استبد أخوه القائد الحاج الهاشمى بمرسى الجديدة وكانت إمارة دكالة نقسمة بينهما قسمين وربما استبد بها أحدهما دون الآخر وكانت وفاتهما سنة ١٢١٤هـ، ومن حينئذ أسرع إليها الخراب وأجفاها السكان وتمادى بها الحال حتى لم يبق بها الآن إلا صومعتها البارزة والبرج المشيد فى واجهة البحر مع القبب المشيدة على عظماء هذا البيت كالشيخ أبى الفداء إسماعيل والشيخ أبى عبد الله آمغار والشيخ أبى يوسف يعقوب بن أبى عبد الله آمغار وغيرهم.

ولشاعر الملحون أبى عسرية البوفى اغربى الدكالى قصيدة فى رثاء هذه

المدينة وأهلها تقصى فيها ذكر المساجد والصوامع والمدارس والأسواق وما كان بها من وفور العمارة وآثار الحضارة والعلوم والصنائع وغير ذلك والبقاء لله.

مدينة ثغر الجديدة

تبعد عن آسفى بـ ١٥٠ كيلو متراً شمالاً منه فى مستوى من الأرض معتدلة المناخ طيبة الهواء تقصد كثيراً للاصطياف وكانت تسمى أولاً البريجة ثم سميت المهدومة، ثم سميت الجديدة بحسب أطوار حياتها.

كانت أوليتها برجًا متخذاً لحراسة البحر ومن أجله سميت بالبريجة.

وفى سنة ٩٠٧هـ موافق سنة ١٥٠٢م خرج أسطول برتغالى للإغارة على تاركة - مرساة على بعد ٣٥ كيلو متراً من تطوان - فجاءت عاصة شتت شمله إلا مركب الرئيس فألجأته العاصفة إلى البريجة فنزل إليها فيمن معه وحصنوا برجها لئلا يغار عليهم المسلمون فأعجبهم مناخها، ووجدوا فيها ملجأ عظيمًا ولما أرادوا الرجوع تركوا بها اثنى عشر رجلاً معهم الكفاية من العدة والمؤونة ولما بلغوا لشبونة مثلوا بين يدى ملكهم منويل وطلبوا منه الإذن فى بناء برج هناك فأذن لهم وزودهم بما يحتاجون إليه من المواد فأخذوا فى البناء لكن عاجلهم المسلمون ومنعوهم من البناء فأقلعوا راجعين.

لكن ما أسرع ما نام المسلمون نومتهم الطويلة عن ولئك الناس الذين أقلعوا وفى قلوبهم من أمرها ما فيها، فإنهم أقلعوا ريثما غفل المسلمون ورجعوا فى سربال الخفاء مستغلين فرصة الغفلة فانبثوا فى تلك البقعة الجميلة التى كانت باب ولوجهم لهذه البلاد فانقضوا عليها وكان ما سنسطره فى القسم السياسى.

نعم فى سنة ٩١١هـ موافق ١٥٠٦م اهتم مـانويل بالأمر نفسـه، فأوفد العملة والبـنائين وأصحبـهم كميـة من رجال الدفاع فـصادفوا غـفلة المسلمين وشرعوا فى البناء ليـلاً ونهارًا وبنوا حصنًا مربعًا أحد أركانه الـبريجة القديمة، ثم اتخذوا فى وسط الحصن مـاجلا عظيمًا مربعًا لحبس المـاء مساحة كل ربع منه ٣٦ خطوة، وقبوه من الحجر المنحوت مرفوعًا على ٢٥ سارية فى وسطه، و٢٠ سارية بجـوانبه. وقد رأيت كتـابة على لوح ببابه متـرجمة بالعـربية بما لفظه: هذا المحل ديوان الحـصن الأول الذى بناه البـرتغـاليـون فى نحو عـام ١٥٠٩م مطفية بعـدما كملوا بناء سور المدينة فى عـام ١٥٤١م، ثم لما أكملوا الماجل المذكور شرعوا فى بناء سور المدينة فعمـدوا إلى بقعة مربعة مساحة كل ربع ٣٥٦ خطوة، وجعلوا مـركزها الحصن الأول وأداروا بها سـورين عاديين عرض الخارج منهـا ١٥ شبرًا، والداخل نحو الثلثين منه، ثم ردموا مـا بينهما حتى صـار السوران سـورًا واحدًا فى عرض ٥٠ شبر على غـاية من الإتقان والأحكام.

ثم أداروا بالسور خندقًا بعـيد العمق يقدر بـ ١٤ شبرًا يفيض فـيه البحر فيملأه وجـعلوا لها ثلاثة أبواب أحدها للبحر، وقد كـان أغلقه المسلمون بعد رجوعها إليهم، ثم رأيت العمل فى فتحه سنة ١٣٥٠هـ، واثنان للبر وجعلوا أمامهما قنطرتين فوق الخندق يخفضان ويرفـعان، واستمر البرتغاليون بها إلى سنة ١١٨٢ فحـاصرها السلطان سيـدى محمد بن عـبد الله العلوى بجيـوشه وشدد عليهـا الحصار وصب عليها وابلاً من الكور والبنب وبعـد عجزهم عن مقاومته أخلوها له لكنهم لما عجـزوا عن الحرب علانية لم يعجزوا عن حرب الخداع والمكر فـتركوا فى كل حـومة مينـاء بارود وتركوا رجلاً أوقـدها عندما دخل إليها المسلمون فمات بها نحو خمسة آلاف مسلم.

وقال العلامة القادرى فى النشر أن السلطان المذكور أطلق عليها الكور والبنب حتى أخرجهم منها وهدمها وهو الذى سماها المهدومة اهـ.

وقال صديقنا العلامة الأديب المؤرخ النقيب أبو زيد مولاى عبد الرحمن ابن زيدان حفظه الله فى كتاب إتحاف أعلام الناس، نقلاً عن المولى عبد السلام بن السلطان سيدى محمد بن عبد الله أن من مآثر والده بناء مدينة تيط (الجديدة) وأنه لما فتحها سنة ١١٨٢ خربها ثم أمر بتجديد غمارتها سنة ١٢٠١هـ، واتخذ بها ألفًا من العسكر من جنود الوصفان وأدار سورها وعظم بها العمران فصارت إحدى مدن المغرب يقصدها التجار من الآفاق وتردد إليها القوافل والرفاق وترسوا بها السفن الجهادية والتجارية، فجاءت من أحسن الحسنات وأعظم الآثار اهـ.

ويخالفه ما جاء فى كتاب الاستقصا من أن الشريف سيدى محمد بن الطيب العلوى لما ولى السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام تامسنا ودكالة وأعمالها، فاحتل الجديدة وكانت يومئذ خربة لا زالت على الهيئة التى فتحت عليها أيام السلطان سيدى محمد رحمه الله، وكانت تسمى قبل الفتح بالبريجة فلما فتحت وتهدم سورها بالميناء صار الناس يسمونها المهدومة، فأمر سيدى محمد بن الطيب ببناء سورها وترميم ما انثلم منها وسماها الجديدة وتهدد من يسميها بغير ذلك، فسميت الجديدة من يومئذ وهو الذى بنى القبيبة الصغرى المقابلة لباب المسجد الجامع بها اهـ.

والظاهر أن صاحب الاستقصا لما بلغه اعتناء سيدى محمد بن الطيب بها فهم من ذلك أو قيل له أنها كانت لا تزال على حالتها يوم الفتح والحقيقة أن فاتحها اعنى بإصلاحها وإدارة سورها ولعله وقع التفريط فيها بعد ذلك حتى خيل للناس أنها كذلك من يوم الفتح.

وقد دخلتها عـدة إصلاحات فى دولتى السلطان سيدى محـمد بن عبد الرحمن وولده المولـى الحسن غالبـها فى دولة الثانى بواسطـة عامليهـا القائد الأنجد أبى عبد الله محمد بن إدريس والقائد محمد بن الحمدونية.

مساجدها

يوجد بهـا أربعة مـساجد أقـدمها المسـجد الذى بداخل السـور القديم وأعظمهـا مسجد ابن الحـمدونية خارجـه كان قد ابتـدأ تأسيسه القـائد الحاج الهاشـمى بن العروصى الهـلالى الدكالى صاحب ريـاسة دكالة صـدر القرن الثلث عشر هجريًا، ولما رفع بعض أسواره عاقته عوائق عن إتمامه فبقى مهملاً إلى أن تولى أمر الجـديدة القائد محـمد بن يحيى بن الحـمدونية البـوعزيزى الحسانى الدكالى فالتفت إليه وأكمله على أحسن حال.

مسجد البـحر من تأسيس المحسنين وتبرعاتهم وبالأخص المثـرى الشهير الحاج عمر التازى وأخيه السيد عـبد اللطيف وغيرهم وكان ابتداء تأسيسه سنة ١٣٢٨ - وتمامه سنة ١٣٣٠.

ويوجد بهـا غيرها ممن لا تـقام فيـها الجمـعة كمـا كان بها على عـهد البرتغال أربع كنائس لست على علم الآن من أمرها كـما تأسست بها مدرسة للحكومة على الطرز الحديث ومستشفى عصرى ومدرسة وطنية تأسست أخيراً سنة ١٣٥٢.

وكان بهـا من الآثار الخيـرية للقائد ابن الحمـدونية مـحل لإيواء الغرباء المنقطعين يقوم بمؤنتهم ويزودهم لبلادهم أو حيث يريدون.

وقد زخرت عمارتها فى العصر الحاضر وكثرت بها الأبنية الأنيقة وانتشرت بنواحيها وقصدها التجار وهى مورد حاصلات قبيلة دكالة الغنية بمنتوجاتها الزراعية ولحسن موقعها وطيب هواها يهرع إليها الناس كثيراً للاصطياف بها حتى صارت من أعمر المراسى وقد بلغ عدد نسمات أهلها ٢٨٣٤ - أهليا - ٢١٣٥ - أوربيا.

مدينة آزمور

موقعها على ضفة وادى أم الربيع الجنوبية على مقربة من البحر تبعد عن الجديدة بـ ١٧ كيلو متر.

وهى مدينة عتيقة يرجع تأسيسها إلى ما قبل الميلاد المسيحى ولها ذكر فى المدن الموجودة على عهد الفينيقيين. وقال أبو القاسم الزيانى أنها أسسها أمراء صنهاجة لما استقر البربر بالمغرب.

وعنها يقول ابن الخطيب السلمانى فى كتاب الاختيار فى ذكر المعاهد والديار - آزمور جار وادرديف وعروس ربيع وخريف وذو وضع شريف اطلعت على واديه المنازة والمراقب كأنها النجوم الثواقب وجلت من خصبه المناقب وضمن المرافق نهره وبحره المصاقب بلد يخزن الأقوات ويملأ اللهوات باطنه الخير وإدامة السمك والطير وساكنه رفية ولباسه يتخذ فيه ومسكنه نبيه وحوته الشابل ليس له شبيه لكن أهله إنما حرثهم وحصادهم اقتصادهم فلا يعرفون أرضاخًا[1] ولا وردًا نضاحًا اهـ.

(١) الأرضاخ العطاء وقد ساقه ابن الخطيب من مساويهم لكنه فى الواقع مدح لأن الاعتماد على الحرف الحرة أعم نفعًا وأفضل من أرضاخ السلطان لأن الأرضاخ ليس بمورد طبيعى للرزق ولأنه غالبًا سم قاتل وقد زاد ابن الخطيب من مبالغاته فى الذم ما تركت ذكره صونًا لقلمى عن فحش القول والله يغفر لنا وله.

وفى سنة ٩١٤هـ استولى عليها البرتغال ولم ينجل عنها إلا بعد أن خربها أيام السلطان أبى العباس الأعرج الزيدانى السعدى اهـ.

كان لها فى القديم شأن فى العلم والدين والرياسة والعمران تخرج منها الأئمة الأعلام كانوا نجوم هدى للأنام وهى قبل كل شىء مدينة فلاحية صارتها الحبوب من دكالة بجنوبها والحناء الهشتوكية من شمالها والحوت الشابل من واديها.

نعم قد تقهقرت عمارتها العلمية والعمرانية لما استولى عليها البرتغال فانجلى عنها أهلها فأباد معالمها وآثارها، ولما انجلى عنها كان نصيبها منهم التخريب أيضًا وكان انجلاؤهم سنة ٩٤٤ للهجرة فعمرها الملوك السعديون لكن لم تعد لحالتها السالفة وزاد الطين بلة وجود جارتيها الدار البيضاء بشمالها والجديدة بجنوبها فنفس ذلك ؛له عمرانها. وأهلها إلى الآن أهل مسكنة وديانة وفلاحة لا يخلون من أهل العلم والفضل.

مساجدها

يوجد به سبعة مساجد تقام الجمعة فى خمسة أعتقها مسجد القصبة وكان تأسيس الجميع بعد انجلاء البرتغال فما بعده.

مدارسها

كانت بها مدرسة للسلطان ابن الحسن المرينى أواسط القرن الثامن الهجرى وهى مما أباده البرتغال ويوجد بها الآن آثار مدرسة يقال أن لها نحو

مائتى سنة قيل أن بناءها مع مسجد المدينة وقد سقط سقفها ولم يبق إلا حيطانها.

مدرسة الزاوية المختارية - كانت هذه المدرسة يدرس فيها الفقيه العلامة المرشد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن دخ الآزمورى المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٢٨٤ - وهى الآن مهملة وتقام فيها بعض الصلوات الخمس ولها أوقاف تقوم بأودها ويوجد بها الآن مدرسة عصرية للحكومة.

عدد أهاليها ٨٧٠٨ أهليا - ١٢٧ أوربيا.

قصبة أبى الأعوان

هى مسورة على الضفة الجنوبية من وادى أم الربيع من قبيلة دكالة تبعد عن البحر بنحو مسيرة يوم فأكثر. قال الحسن بن الوزان أسسها السلطان عبد المؤمن بن على الموحدى وكان فيها خمسمائة بيت من بيوتات الأشراف والأفاضل يحترفون بكسب الأنعام والفلاحة لخصوبة أرض دكالة ورغد عيشها وكان أقلهم يملك مائة من البقر أما الحبوب فكان البعض يملك ما بين الألف والثلاث آلاف عبرة من الحبوب، وبها كانت دار الأضياف يأكلون ويشربون على نفقة الجماعة اهـ.

وقد شملها احتلال البرتغال ثم انجلى عنها وبقيت مهملة فبناها السلطان المولى إسماعيل وجعلها أحد الملاجئ العسكرية وكان لولده عبد الله با دار كان نازلاً بها سنة ١١٥٧ فى مطاردته أخاه المولى المستضىء فمكث بها سنة ولا تزال الآن أسوارها ماثلة يسكنها بعض المعمرين الأورباويين ومن انحاش إليهم.

الصويرة التى على وادى تانسيفت

موقعهـا جنوب آسفى على مصب وادى تانسيفت من العـدوة الشمالية تبعد عن آسفى بـ٣٨ كيلو متر وهـى إحدى المراكز البرتغالية وسورها لا يزال محفـوظًا خاليًا من السكان وكـان مرساها يعرف قـديمًا بأكوز. قال أبو عـبيد البكرى فى المسالك رباط فرز على الـبحر المحيط وفيه تنزل السـفن من جميع البلاد ولا تـخرج إلا فى زمان الأمـطار وتكدر الهواء واغـبرار الجـو فحينـئذ تصدف لهم الرياح البـرية، فإن تمادى ذلك سلموا، وإن أصحى الجـو وصفا الهواء هبت عليهم الرياح من الغرب فيهيج عليهم البحر ويقذفهم فى البرارى فقل ما يسلمون اهـ.

وقال فى مـوضع آخر رباط فوز يعمـره الصالحون وهو ساحل أغـمات اهـ. وهو إحدى رباطات رجراجة القديمة.

قصبة ابن حميدوش

موقعها على العدوة الجنوبية من وادى تانسيفت على مقربة من الصويرة المذكورة مـسورة فى بسـيط من الأرض بسور مـتين واسع عليه ثمـانية أبراج توجد مدافـعها ساقطة على الأرض، وفى وسطهـا دار كبيرة يحـيط بها سور عظيم كان بها مـسجد ومنار هدما بعد سنة ١٣٣٠ - وحملت أنقـاضهما إلى ما جاورهما من البلاد وبين السوريـن عدة مخازن وأصرية منحوتة فى الأرض مرفوعة على أبنية عظيمة يصعد إليها بمدارج.

لست على علم من مؤسسـها إلا أنها كان يسكنها عمـال الشياظمة من أولاد ابن حميدوش الذى يقربها.

تربع خمسة منهم على منصة رياسة هذه القبية فى الدولة السعدية والعلوية آخرهم القائد علال بن حميدوش الذى كان واليًا على القبيلة سنة ١١٥٧ - ويظهر أنها من تأسيس الدولة السعدية وهى اليوم وقبله خالية تبكى حوادث الدهر وصروفه والبقاء لله.

الصويرة الجديدة

إحدى مراسى الجنوب تبعد عن آسفى بـ ١٣٠ كيلو متر أسسها السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى رحمه الله سنة ١١٨٢، وكان مرساها قديمًا يعرف بمرسى امقدول. قال عنه البكرى فى المسالك أنه مرسى مشتى مأمون اهـ. ولكونه كذلك بنى السلطان المذكور به هذه المدينة ليتأتى لسفنه وقراصينه الدخول للبحر والخروج منه فى كل فصل من فصول السنة، وقد بالغ رحمه الله فى حسن وضعها والتأنق فى بنائها وهندستها حتى جاءت من حيث الهندسة والشكل من أحسن مدن المغرب، ولما أكملها ندب الناس لعمارتها فبنى بها القواد والعمال الدور وجلب إليها العدول والفقهاء المدرسين والقاضى والصناع من فاس، فكانوا يتناوبون سكناها مدة من الزمان ويبدلون بغيرهم وغيرهم، وعطل لأجلها مرسى أكادير وآسفى ريثما اشتهرت بين الناس فهى قبل اليوم مورد الواردات على اختلافها من سهول سوس وجبالها وقبائل الشياظمة ودكالة وغيرها.

نعم لما فتحت مرسى أكادير منذ خمسة أعوام نفست عنها، وكذلك تسريح الوسق من آسفى قبل ذلك بمدة طويلة.

وتوجد بها معامل التجارة فما شئت من صناديق وموائد وغيرها من آلة

البيوت على أشكال متنوعة بالغة الغاية فى الإتقان والإبداع وقد تأسست بها مدرسة للتجارة على النمط العصرى وأخرى للحدادة.

مساجدها

يوجد بها أزيد من خمسة مساجد تقام الجمعة فى ثلاثة منها.

مدارسها

يوجد بها خمس مدارس مهملة وربما انقلب بضها إلى غير ما أنشئ له وخزانة كتب من آثار السلطان سيدى محمد بن عبد الله كغالب آثارها، وقد أسست بها الحكومة مدرسة ابتدائية على النمط الحديث ومستشفى عظيم الأهمية يحتوى على جميع اللوازم من جملتها معاهد دينية لأهل كل دين من مسلمين ونصارى ويهود ليتأتى للجميع أداء طقوس دينهم ودراسة معلوماتهم وتعليم الولدان الذين يأتون هناك وهذا عمل جليل القيمة.

كما تأسست بها جمعية خيرية إسلامية على رأسها الباشا العامل المخلص السيد محمد المجبود، فقامت بواجب عظيم فى جانب الضعفا والمعوزين الذين تقطعت بهم الأسباب وعضهم الدهر بنابه، جزى الله المحسنين خيراً وقاتل البخل والبخلاء.

عدد أهلها ١٤٦٤٦ أهليا، ١٠٠٥٢ أوربيا.

الصويرة القديمة

تبعد عن الصويرة الجديدة السالفة بنحو ١٧ كيلو متر موقعها على الضفة الشمالية من وادى حاحة المنصب فى المحيط على مقربة من الصويرة الجديدة وهى قصبة مربعة الشكل على غاية من الإتقان والصلابة على رغم خلوها من العمران منذ أزمان لم يعد الدهر على كثير من أسوارها.

يقول أبو القاسم الزيانى أن الصويرة القديمة من تأسيس ملوك حاحة قبل الإسلام - وهذا ينبئ عن قدم العمارة بها ولكن البناية الموجودة الآن من آثار الملوك السعديين ابتدأ ذلك السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ المهدى ثم تممه ولده السلطان أحمد المنصور حيث كانت مركزاً كبيراً لمعامل السكر وزرعة قصبة فى البسائط التى بجانب الوادى وبها كانت الوقعة الشهيرة بين جيش النظام الفرنساوى وبين قبائل حاحة وغيرها على رأسها القائد عبد الرحمن انفلوس سنة ١٣٣٠ استمات فيها الفريقان فانجلت عن موت الكثير من الفريقين.

مرسى أكادير

يبعد عن الصويرة بـ ١٧٥ كيلو متر. قال أبو القاسم الزيانى أن قلعة أكادير من تأسيس ملوك حاحة قبل الإسلام له. وقد استولى عليها البرتغال حوالى سنة ٩١١ ثم أجلاهم عنها السلطان أبو عبد الله الشيخ سنة ٩٤٧ اهـ موافق ١٥٤٢م. ثم اختط به حصنًا حصينًا من السنة المذكورة.

مان هذا المرسى منفذ محصولا سوس ومنتوجاتها الوافرة ومقصد السفن

التجارية من أوروبا وغيرها إلى أواخر القرن الثانى عشر للهجرة، فقضى عليه السلطان سيدى محمد بن عبد الله، حيث إنه كان يستبد به الثوار ويمدون أيديهم لتجارة الأجانب ويجر ذلك ما لا تحمد عقباه - وأسس عوضه مرسى الصويرة، ومن ذلك الحين وهو مهمل إلى أن فتحت فرضته الجميلة فى وجوه البواخر التجارية منذ خمس سنين والتفتت إليه الحكومة بوجه خاص وأرصدت لإصلاح ميناه - ١٨ - مليون من الفرنك فاشتهر وقصده التجار ولا تزال عمارته فى ازدياد - عدد نسماته ٣٨٩٨ من جملتهم ١٦٦٥ أوربيا.

حصن فوتنى

هو حصن على مقربة من مرسى أكادير بأعلى ربوة وبأسفل الربوة قرية وطنية بها مسجد تقام به الجمعة، وهذا الحصن أسسه البرتغاليون لما احتلوا هذا الشاطئ وحصنوه ببرج منيع وبنوا به الدور، ومنه كانت تروج تجارتهم مع أهل سوس وقد اجلوا عنه سنة ٩٤٧هـ - وهو الآن معمور بالسكان.

مدينة تزنيت

موقعها جنوب أكادير على بعد ٩٠ كيلو متر مسورة فى بسيط من الأرض صحراء لى رغم وفوور المياه بها، ولا يزال الإصلاح بها متتابعًا كانت أوليتها مدشرًا كبيرًا غير مسور وحواليه اشبارات لدفاع عادية القبائل. ولما مر بها السلطان المولى الحسن رحمه الله ١٣٠٤ راجعًا من جولته السوسية سنة ١٣٠٣ وقف عليها وأمر بتسويرها وأمر برسم مساحة كبيرة وبالفعل أنفذ لها

المال الكافى وترك من يقف على العمل فيه، بكن بالأسف أن الواقفين عليها تركوا من مادة السور المرسوم كثيرًا ضنًا منها بالمال لأنفسهم على ما قيل فقبح الله الخائنين وقبح صيعهم حيث إنهم عرقلة لكل إصلاح.

وبها ثلاثة مساجد ومدرسة علمية على النمط القديم وأخرى عصرية على النمط الحديث وبها دار الخليفة على سوس من قبل السلطان فى عصرنا هذا، وقبله منذ أيام العزيزية عدد نسمات أهله ٥٠٧٥ أهليا - ٣٨٥ أوربيا.

مدينة تارودانت

موقعها بسفح الجبل الأطلسى بين جنوب وقبلة مراكش على بعد نحو ٨٥ كيلو متر من أكادير - قاعدة السوس الأقصى ومقر خلفاء ملوك المغرب على القطر السوسى قبل عصرنا هذا.

قال أبو القاسم الزيانى أنها من تأسيس أمراء قبائل هشتوكة وجزولة لما استقر البربر بالمغرب اهـ. وكانت مشهورة صدر الإسلام وبلغها الفاتح العظيم عقبة بن نافع الفرى سنة ٦٢هـ - ولعلها اندثرت فاختطها ثانيًا السلطان محمد الشيخ المهدى، فقد ذكر الإمام أبو زيد عبد الرحمن التمنرتى فى كتاب الفوائد الجمة فى إسناد علوم الأمة - إن السلطان المذكور اختط مدينة تارودانت وأذن الناس عامة فى إحيائها والغرس فيها قصدا لعمارتها ورغبة فى استيطانها تحريضًا لهم على الاهتمام بحفظ ذريتهم، وهذا مثل ما صنع الإمام إدريس عند تخطيطه مدينة فاس، وهو أن كل من بنى موضعًا أو غرسه فهو له اهـ - ثم نقل كتابًا للسلطان زيدان مصرحًا بذلك وموصيًا لعامله عليها القائد جرمان بأهلها خيرًا قائلا: وإنا نوصيكم خيرًا بأهل حضرتنا المحمدية حرسها الله

فإنهم ممن يدلى بالخدمة والسبقية والشفوق على غريهم من أهل حواضرنا وحسبهم كونهم سكان حضرة قد اختطها مولانا الجد المهدى قدسه الله، وذلك بأن تسلكوا معهم المسلك الحسن فى مرتفقاتهم من المزدرعات والجنات وجلاب الأرزاق للحاضرة، بحيث لا تمتد إليهم يد بظلم أو يتطرق إليهم الحيف بوجه ولا بحال، وأجرينا أهل تلك الحاضرة مجرى أهل مراكش وفاس فى مواريثهم وحقوقهم الشرعية ولا يجعل السبيل لأهل الشرطة أن يمدوا أيديهم لملك من غاب عن الحاضرة أو قبض الجالبين الأرزاق، فذلك ذريعة للتنفير وقطع المنافع المجتلبة للحاضرة، ولا تؤاخذوا البرآء بذنوب الجناة كل نفس بما كسبت رهينة، ونبالغ لكم فى الإبصار على ارتكاب كل سبب يوجب الائتلاف ويزيح التنفير والاختلاف، ألا وهو الحق وأردعوا من يشتغل بالظلم، فإ ذلك مما لا نرضاه ولا نقبله كمثل فريضة خدمة السواقى التى يفرضها الحاكم ويجحف بالمساكين فيها، فلهذا كان ذلك فى أيدى العدول الثقاة دفعًا للحيف ورفقًا بالمساكين كساقية تارودانت فلا تخرقوا العادة الواصلة فيها للمساكين من عهد أوائلنا قدسهم الله ولابد والسلام وكتب بأواخر شعبان سنة سبع عشرة بعد الألف.

وهى جامعة بين السهول الخصبة المزارع الكثيرة البساتين والفواكه وبين جبال الأطلس الشاهقة التى انبجست منها الأودية والعيون ومرت بتلك المزارع وأعظم نهر بها نهر السوس الكبير الذى يمر على مقربة منها فتسقى منه الأجنة والبساتين وعلى مقربة منها أيضًا معدن النحاس الشهير بجبل تيوت الذى من أجله اشتهرت بصناعة النحاس فتصنع منه الأوانى اللطيفة والمواعين الظريفة وغيرها من آلات البيوت الى يقل نظيرها، كما توجد بها صناعة الحلى

والتفنن فيه، وعلى الجملة فهى المدينة الغنية بمنتوجاتها الوافرة وخيرات قطرها الموفور الحاصلات غير أنها ركدت حركاتها أخيرًا عندما خيمت الأزمة على العالم فأثرت فيها تأثيرًا محسوسًا أكثر من غيرها - وبها عدة مساجد ومدرسة قديمة وأخرى حديثة حكومية - عدد نسمات أهلها ٩٤٧٦ أهليا، ٤٥ أوربيا.

عاصمة مراكش الشهيرة

موقعها فى بسيط من الأرض صحراء بسفح الجبل الأطلس الذى يعدل مزاجها ويخفض من حرارتها الشديدة التى يبلغ ارتفاعها فوق ٤٠ درجة - تبعد عن المحيط الأطلانطيكى من طريق آسفى بنحو ١٥٥ كيلو متر.

هى المدينة الغنية عن التعريف بعظمتها التاريخية[1] وآثارها الغالية الشهيرة بما حوته من حضارة وعلوم وفنون كانت مهد الحضارة وعاصمة الدولة اللمتونية والموحدية والسعدية وبعض ملوك العلوية.

وقد تسربت إليها الحضارة الأندلسية فى الدولتين الأوليين حتى صارت مركز العلوم والفنون وأشرفت بأفقها شمس الحكمة والمعارف وشيدت بها المعاهد الدينية الكبرى والمدارس العلمية والمصانع والقصور والبساتين والرياض الأنيقة تتخللها المياه النميرة.

كان أول من اختطها يوسف بن تاشفين اللمتونى سنة ٤٥٤ فاتخذها دار ملكه ثم سورها ولده أبو الحسن على سنة ٥٢٦ ولما جاءت الدولة الموحدية اتخذتها عاصمتها وصرفت إليها عنايتها وبالأخص واسطة عقدها السلطان

(١) وحسبك دليلاً على عظمتها أن اسمها صار فى العصر الحاضر يطلق على المغرب الأقصى.

يعقوب المنصور فإنه مضرها وضخمها وشيد بها قصبته الشهيرة الذى فرغ منها سنة ٥٩٤ فشيدت بها الدور والقصور بحاشيته فاتسعت عمارة مراكش وزخر عمرانه ونشطت العلوم والمعارف والصناعات وابتهجت بالتمدن العربى الأندلسى لكن لم تلبث أن هدأت تلك الحركة النشيطة بزوال الدولتين حين تحول كرسى الدولة المرينية إلى العاصمة الإدريسية فاس.

لما جاءت الدولة السعدية أعادت له رونقه ومسكت رمقه لأعلى نسبة الحالة السابقة فشيدوا بها المعالم الدينية والعلمية والعمرانية وخصوصًا واسطة عقدهم أحمد المنصور فازدهرت به العلوم والمعارف والصنائع وشيد بها قصره البديع آية فى الإتقان والإبداع وعنوانًا واضحًا على ما للعروبة فى الهندسة والفن لكن لم تهمله صروف الدهر وحوادثه فهذه السلطان المولى إسماعيل بين عشية أو ضحاها وهى حالة مؤسفة للغاية.

ولما مات أحمد المنصور واختل نظام سياسة أولاده انحطت حلل مراكش انحطاطًا بينًا حتى جاء السلطان سيدى محمد بن عبد الله فنقل كرسى الملك لمراكش وشيد بها قصوره وبساتينه وأحيا به سبل المران ومعالم الدين والعلم ومكث عاصمة الدولة العلوية إلى عصرنا الحاضر حيث صارت العاصمة هى رباط الفح - ومن آثار الدولة الموحدية بها سالفًا دار الضيافة المعروفة بدار الكرامة التى يقول فيها الأديب محمد بن محمد البربرى من قصيدة امتدحهم بها:

خير قوم دعوا إلى خير دار ... هى للملك نضرة وكمامه

عالم السبعة الأقاليم فيها ... وهم فى فنائها كالقلامه

مساجدها الدينية

تبلغ مساجدها الآن ١٢٣ مسجداً أعظمها أربعة: مسجد الكتبيين - شيده السلطان عبد المؤمن عندما فتح مراكش كما فى الحلل وكان فتحه إياه سنة ٥٣٧ وله منارة عظيمة تناطح الجوزاء وتصافح القادمين على عدة أميال وتضىء على السائرين ليلاً بأكليل وهاج كان على رأسها ينبثق منه النور بواسطته أشعته الذهبية على تلك الأباطح والسهول الفسيحة والدور والقصور بيد أن ذلك الأكليل انكسف فى عصرنا هذا.

وهذا المنار العجيب من آثار السلطان يعقوب المنصور وكان الفراغ منه سنة ٥٩٤ كما فى القرطاس.

وقال القلقشندى فى صبح الأعشى أنه كان بباب هذا المسجد أى على عهد الدولة الموحدية - ساعة مرتفعة فى الهواء خمسين ذراعًا يرمى فيها عند انقضاء كل صنجة زنتها مائة درم تتحرك لنزولها أجراس تسمع على بعد تسمى عندهم بالنحاتة اهـ، ولم يبق لها أثر الآن.

مسجد القصبة - شيده يعقوب المنصور مع القصبة وأحدث به مقصورة عجيبة (المحل المعد لصلاة الخليفة حذاء المحراب) قد وضعت بحركات هندسية ترتفع لخروجه وتنخفض لدخوله وفيها يقول الكاتب الأديب أبو بكر بن مجير الفهرى يوم الفراغ منها:

طورا تكون بمن حوته محيطة ... فكأنها سور من الأسوار

وتكون طوراً عنهم مخبوة ... فكأنها سر من الأسرار

وكأنما علمت مقادير الورى ... فتصرفت لهم على مقدار

فـإذا أحـست بالإمـام يزورها فى قـومـه قـامـت إلى الزوار

يبـدو فـتـبـدو ثـم تخـفى بعـده كـمـتكون الـهـالات للأقـمـار

وقد ذكـر الشهـاب المقرى فى نفح الطيب أنه وقف عليـها سنة عـشرة وألف معطلة الحركة.

مسجـد على بن يوسف اللمتونى - كان بناؤه إياه لمـا بنى سور مراكش كما فى الحلل الموشية، وذكره قاضى آسفى العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الأندلسى فى كتابه - إرشاد السـائل - ناقلاً عن المصمودى أنه لم يكن فى المغرب الأقصى محراب اشتهر أن الفقهاء اجتمعوا على تصويب قبلته عند بنيانه فيما علمنا إلا مسجـد واحد وهو مسجد على بن يوسف بمراكش جمع على بن يوسف على تصويب قبـلته أربعين فقيهًا فـيهم مالك بن وهيب وأبو الوليد بن رشد صاحب البيان.

قال القاضى وقـد صلينا فيه عام ١١٤٠ فـاختبرته فعـاينت فى محرابه انحرافًا عن السمت وقد ذكر المغيلى أن قبلته حولت بعد ذلك عن البناء الذى بناه على بن يوسف والله أعلم اهـ.

وقـد صرح صـاحب الحلل الموشـيـة بأن عبـد المؤمن لما شـرع فى بناء مسجـده هدم المسجد الذى كان بأسـفل المدينة الذى بناه على بن يوسف اهـ، فيكون قد جدد بعد ذلك.

وقد جدده أيضًا السلطان العـادل أبو الربيع المولى سليمان العلوى صدر القرن الثالث عشر للهجرة وبناه بناء ضـخمًا ونقض منارته وشيد أخرى بديعة رحمه الله وهذا المسجد هو نظير كليـة القرويين بفاس فى الدرجة الثانية منه به

تلقى الدروس العلمية إلا أنها لا تزال على غير نظام وفق الله أولى الأمر لذلك.

مسجد المواسين - أسسه السلطان الغالب عبد الله بن محمد الشيخ السعدى فى عقد السبعين بعد التسعمائة للهجرة.

مدارسها العلمية

يوجد بها الآ ستة مدارس أعظمها أعجبها مدرسة جامع على بن يوسف وهى من حسنات السلطان أبى الحسن المرينى. وقد جددها السلطان الغالب السعدى وكتب اسمه على جدارها وهو تلبيس وقلب للحقائق التاريخية من فاعله.

والباقى من المدارس إما متلاش أو خال مع أن لها أحباسًا موفورة تقوم بأودها وبمؤنة أهل العلم المتغربين فى طلبه جزى الله أولئك السلف، أما الخلف فإنهم ضنوا بتلك الأموال وأودعوها دور الأبناك ومعالم الدين والعلم فى اضمحلال فلو لم يكن لها مال مرصود لكان من الواجب أن نقوم بحفظها من جيوبنا حفظًا لمعالم ديننا وبرورًا بسلفنا نطلب الله أن يوفق أولى الأمر للالتفات إلى هذه الآثار النفيسة فيستدركوا ما بقى منها، وإلا فهى نقطة سوداء فى تاريخ القائمين بإدارة الأحباس والله الموفق للصواب.

المدارس العصرية

يوجد بها عدة مدارس على الطرز الحديث علمية وصناعية أحدثتها الحكومة.

كما توجد بهـا عدة مكاتب وطنية أهمها مكتب الفقـيه العلامة الأديب أبى الصـفاء مـحمـد المختـار السـوسى أحـد أقطاب العلم والأدب والأفكار السلمية المعتدلة.

اتخذ زاوية والده الشـيخ الفقيـه المرشد الحاج على السوسى رحـمه الله مكتبًا تدرس فيه العلوم الإسلامية ورتب معه أساتذة يقوم كل واحد بقسط من التعليم.

وليت أهل الزوايا اقتدوا به فـإن العلم عند الصوفية هو أول قـدم يضعه المريد فى طريق سلوكه ويستنير به فى سيره، كما أن أخاه الفقيه الأديب السيد إبراهيم كـذلك اتخـذ مكتبًـا سائـراً فى طريق الرقى والنجـاح بنظام كـامل الإنتاج، كـما توجد مكاتب أخـرى سائرة على هذا المنهاج أنجح الله مـسعى الجميع.

المستشفيات المعبر عنها قديمًا بالمارستانات

كان السلطان يعقـوب المنصور قد أسس به مستشفى مـن عجائب الدنيا فى نظامه الراقى الدال على علو همة صاحبه وخـدمته للإنسانية وهاءنى نترك العلامة الشيخ عـبد الواحد التميمى المراكشى يحـدثنا عنه ويشنف أسماعنا بما كان لسلفنا من حضارة راقية ومفاخر عالية.

قال فى كتابه المعجب: إن المنصور بنى مراكش بيمارستان (مستشفى) ما أظن أن فى الدنيا مثله، وذلك أنه تخير ساحـة فسيحة بأعدل موضع فى البلد وأمـر البنائين بإتقانه على أحـسن الوجـوه فأتقنوا فـيه من النقـوش البديعـة

والزخاريف المحكمة ما زاد على الاقراح وأمر أن يغرس فيه من جميع الأشجار المشمومات وأجرى فيه مياهاً كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك فى وسطه ثم أمر إليه بالفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم وغيره بما يزيد على الوصف وأجرى له ثلاثين ديناراً فى كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة، خارجاً عما جلب إليه من الأدوية، وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال، وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهار الصيف والشتاء فإذا نقه المريض، فإن كان فقيراً أمر له عند خروجه بمال يعيش به ربما يستقل بنفسه، وإن كان غنياً دفع إليه ماله ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء، بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل إليه وعولج إلى أن يستريح او يموت، وكان فى كل جمعة بعد الصلاته يركب ويدخله يعود المرضى ويسأل عن أهل كل بيت كيف حالكم وكيف القومة عليكم إلى غير ذلك من السؤال، ثم يخرج ولم يزل

مستمراً على ذلك أن مات رحمة الله اهـ

وكان بها المستشفى الذى شيده السلطان الغالب بالله السعدى فى عقد السبعين وتسعمائة وأرصد له أوقافًا عظيمة تقوم بأوده ورتب له الأطباء والصيادلة وجميع ما يحتاج إليه فأوصل به نفعاً جماً لبنى الإنسان جزاه الله خيراً.

وفى العصر تأسست به مستشفيات عامة وخاصة على النمط الغربى.

القسم الأول فى تاريخ آسفى التأسيسى

آسفى واقع غـربى المغرب الأقـصى على شاطئ المحـيط الأطلانطيكى، حيث الطول خمس درج وعـشرون دقيقة والعرض اثنا وثلاثون درجًـا وسبعة عشر دقيقة على ما حققه الآن صاحبنا الميقاتى النبيل الفقيه أبو عبد الله محمد ابن الطيب بن الكاهية الآسفى.

وهى مرسى مراكش أو حاضرة البحر المحيط كما يقول ابن خلدون تبعد عن مراكش بـ ١٥٥ كيلو متر، وعنهـا يقول لسان الدين بن الخطيب السلمانى فى معيار الاختيـار - رباط آسفى لطف خفى ووعد وفى ودين ظاهره مالكى وباطنه حنفى الدماثة والجمال والسـذاجة والجلال قليلة الأحزان، صابرة على الاختزان وافـية المكيال والميزان رافعـة للداء بصحة الهواء بلد مـوصوف برفيع ثياب الصوب، وبه تربة الشيخ أبى محـمد صالح وهو خاتمة المراحل لمسودات ذلك الساحل لكن ماؤه قليل وعزيزه لعادية من يواليه من الأعراب ذليل.

وقال عنه فى كتابه نفاضة الجراب فـيمن جمعنى وإياه الاغتراب. وهذا البلد فسيح طيب الهواء كريم التـربة خصيب الجناب وأهله أول خيرة وجنوح إلى الصلاح وهو لبنة التمام للمسورات بالمغرب (فى عصره) ليس وراءه مدينة جامعية ولا محلة مسورة ودونه أمم تتصل بالسوس الأقصى إلى تخوم الحبشة من وراء الصحراء اهـ.

وهى الآن تنقـسم إلى قسمين الأول قـسم المدينة وهى المسـورة بالسور البرتغالى بين جانبى مسيل الماء الوارد من الناحية الهابط إلى البحر وهى بذلك معـرضة لخطرين أحدهمـا: عبث شيـول الأمطار فيهـا وطالما عبثت السـيول بالأموال والأنفس.

وهذا قد أتقى باستعمال الوادى أمام باب الشعبة أحد أبوابها، حيث يمر ماء السيول شمال السور البرتغالى وينصب فى البحر وكان ابتداء العمل فيه سنة ١٣١٩، ثم أهمل ثم تجدد العمل فيه وتم سنة ١٣٤٧ فأمنت به المدينة من آفات مهلكة للأموال والنفوس، ثانيها: أنها بوجودها بالمسيل المذكور وجانباه مرتفعان عليها غير موافقة للحالة الصحية.

نعم قد خففت وطأة ذلك بفتح الأبواب والمنافذ وإجراء النظافة[1].

الثانى الرباط وهو رباط الشيخ أبى محمد صالح الماجرى، وكان السور القديم يجمعهما والحادث البرتغالى أخرج الرباط.

وهذا القسم كان آهل العمارة وبالأخص فى عصر الشيخ أبى محمد وبعده حيث قصد من الأماكن البعيدة واستوطنه مالا يحصى من أهل العلم والصلاح والعبادة، زيادة على العدد الذى ينتابه للزيارة فقط، وقد مكث كذلك إلى أن احتله البرتغال فانجلى عنه أهله، ثم لما رجعت البلاد للإسلام عادت عمارة الرباط لأعلى نسبة حالته السابقة، وقد كان به حوالى منتصف القرن الحادى عشر هجريًا - ٧٠ دارًا - وبعد سنة ١٢٠٠ - وقع إحصاء دوره رسميًا فبلغ عددهم ٥٧ دارًا.

وفى العصر الحديث لما كثر العمران اتسعت عمارة آسفى وامتدت البناءات بجميع جهاته وخصوصًا ثلاث جهات: أحدها - جنوب رباط آسفى مع البحر وزاد أهمية لهذه الناحية مباشرة الحكومة لأحداث محطة السكة الحديدية للقطار.

---

(١) والموجب لهذين الخطرين هو تسوير البرتغال لها فى ذلك المسيل وإلا فقد كانت قبل استيلائه مرتفعة عن المسيل.

ثانيها - قبلة المدينة فى بسيط اختطت فيه الحكومة مدينة أطلقت عليها المدينة الجديدة وبالفعل بنيت بها دور معتبرة على الطرز الحديث وغالب سكانها الأورباويون.

ثالثها - شمال آسفى بحومة دعيت بياضة امتدت فيها البناءات حتى صارت كالبلد الصغير.

وقد أفاد الحسن بن الوزان أنه كان بآسفى حوالى القرن التاسع الهجرى نحو مائة عائلة من أن اليهود وأربعة آلاف كانوا من المسلمين اهـ.

هذا فى إبان احتلال العمران بها، حيث كانت ترزخ تحت عوامل الدمار - يجذب البرتغال إياها من جهة والسلطان الوطاسى من جهة ورؤسائها المستبدين بها من جهة أخرى يرهقونها ظلمًا وجورًا، وإلا فقد كانت عمارتها أوفر وعدد أهلها أكثر الشىء الذى دعا ابن خلدون لأن يعبر عنها بحاضرة البحر المحيط.

أما فى عصرنا فقد أخبرنى أحد المباشرين لجباية الضرائب سنة ١٣٥١هـ أنه يوجد بها نحو مائة وخمسة آلاف رسم ما بين دار وحانوت وغيرهما ممن تؤدى الضريبة.

عدد نسمات أهله على إحصاء سنة ١٣٤٩هـ موافق ١٩٣١م - المسلمون ٢١٢٥٣، اليهود ٣٢٨٥، الأورباويون ١٥٨٥.

هواؤها

آسفى طيبة الهواء معتدلة المناخ وربما ارتفعت الحرارة فيها إلى نحو ٤٠ درجة لكنها لا تدوم أكثر من أربعة أيام ونحوها وما سوى ذلك، هى معتدلة

مع ميل مـا إلى البرودة وإلى ذلك يشيـر ابن الخطيب أن هواؤها أطيب أهوية البلدان يستدعى الدثار فى القيظ لبرده وطيب مثواه اهـ.

ضبط لفظ آسفى

يقـول الشريف الإدريسى فى نزه المشـتـاق: آسفى بالمد والسين المهـملة مفتوحة وفاء مكسورة، وقال ياقوت فى مـعجم البلدان: آسفى بفتحتين وكسر الفاء بلدة على شاطئ البحر المحيط بأقصى المغرب اهـ.

وقال مـحمـد أمين فى منجم العمـران وجدت فى تقـديم البلدان لأبى الفداء وقد ضبطها عن ابن سعيد بفـتح الهمزة وكسر الفاء آخرها ياء مثناة من تحت اهـ.

وقال مجد الدين الفيروزأبادى فى القاموس: آسفى بفتحتين بلدة بأقصى المغرب اهـ.

وقد فهـمه الشيخ مرتضى على أن المراد بالفـتحتين فتحـتا السين والفاء فانتقده عليـه قائلا هكذا فى سائر النسخ بفتحتين والصـواب فى ضبطه بكسر الفاء كما فى المعجم لياقوت اهـ.

وفهمه الشيخ نصر الهورينى على أنهما فتحتا الألف والسين، فقال على قوله بفتحتين أى مع كسر الفاء اهـ. وكتب على الأخير صاحبنا اعلامة السيد المدنى بن الحسن زاد الله فى معناه: أنه المتـبادر ابتداء وتعرف الحقيـقة بتبادرها اهـ.

فتـحصـل أنها تارة تكون مـهمـوزة وتارة ممدودة وكلاهمـا قد قـيل به واستعمل.

وجه تسمية المدينة باسفى

قال الشريف الإدريسى فى نزهة المشتاق طبع ليدن وأبو الثناء محمود الصفاقسى فى كتاب نزهة الأنظار فى علم التاريخ والأخبار: أن من مدينة لشبونة (عاصمة البرتغال الآن) من غربى الأندلس كان خروج المغرورين فى ركوب بحر الظلمات وذلك أنه إذا اجتمع ثمانية نفر كلهم أبناء عم وأنشأوا مركبًا وأدخلوا فيه الزاد والماء ما يكفيهم شهورًا، ثم أنزلوا البحر فى أول طاروس الريح الشرقية فجروا بهذا الريح اثنى عشر يومًا فوصلا إلى بحر غليظ الموج كدر الروايح كثير التروش قليل الضوء فأيقنوا بالتلف فردوا قلاعهم وجروا فى البحر فى ناحية الجنوب اثنى عشر يومًا فخرجا إلى جزيرة الغنم[1] فوجدوا فيها من الغنم ما لا يأخذه عد وهى سارحة لا ناظر لها ولا

---

(١) جزيرة الغنم هى إحدى جزر الأنتيل على ضفاف القارة الأمريكية والملك الذى ردهم بعدما سألهم هو ملك تلك الجزر - وهذه المرة الأولى التى حاول المسلمون المغاربة اكتشاف القارة الأمريكية، والمرة الثانية أواخر القرن السابع الهجرى، فقد ذكر ابن فضل الله العمرى فى مسالكه نقلاً عن والى مصر ابن أمير حاجب أن منسا بن موسى سلطان التكرور من السودان المغربى لما حج سنة ٧٢٤هـ سأله والى مصر عن انتقال الملك إليه، فقال إن الذى كان قبلى كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك فجهز مئيس من سفنه وشحنها بالرجال والأزواد التى تكفيهم سنين وأمر من فيها أن لا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته أو تنفذ أزوادهم فغابوا مدة طويلة ثم عادت منهم سفينة واحدة وحضر مقدمها فسأله عن أمرهم، فقال سارت السفن زمانًا طويلاً حتى عرض لها فى البحر فى وسط اللجة وأدله جرية عظيمة فابتلع تلك المراكب وكنت آخر القوم فرجعت بسفينتى فلم يصدقه فجهزوا ألفى سفينة ألفًا للرجال وألفًا للأزواد واستخلفنى وسار بنفسه فكان آخر العهد به ومن معه اهـ.

وهكذا ذهب هذا الملك ومن معه ضحية محاولة اكتشافهم ما وراء المحيط وهم وإن لم يفلحوا فى اكتشاف القارة الأمريكية فقد دل صنيعهم على ما كان لهم من عظمة فى=

راعى فنزلوا الجزيرة فوجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة تين فأخذوا من تلك الغنم فوجدوها مرة لا يقدر أحدٌ على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثنى عشر يومًا إلى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها إلى عمارة وحرث فقصدوها ليروا ما فيها فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم فى زوارق هناك، فأخذوا وحملوا فى مركبهم إلى مدينة على ساحل البحر فأنزلوا بها فى دار فرأوا بها رجالاً شقرًا زعرًا وهم طوال القدود ولنسائهم جمال عجيب فاعتقلوا منه فى بيت ثلاثة أيام، ثم دخل عليهم فى اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربى فسألهم عن حالهم، وفيما جاءوا وأين بلدهم، فأخبروه

=الأعمال البحرية وما لهم من همم عوال ونفوس تواقة للمعالى والتضحية فى سبيلها بكل عزيز غال.

نعم إن المسلمين المغاربة لم تذهب كل محاولاتهم سدى فقد اكتشفوا من جزر المحيط جزيرة تناريف التى سموها الخيزران بالقرب من القارة الأمريكية - واكتشفوا غيرها - منافسة لإخوانهم الشرقيين الذين تغلغلوا فى المحيط الهندى واستعملوا سواحل شرق أفريقية والهند وشبه جزيرة مالقة وإندونيسيا وجزر بحر الصين - فهم القدوة لغيرهم من الأمم الراقية.

وقد اكتشف فى العصر الحاضر قبيلة مكسيكية فى إحدى مقاطعات المكسيك بمنطقة ايسولتان تحافظ على تقاليدها العربية وتتكلم باللسان العربى ولا تختلط بمن حولها من الأقوام تسكن هناك منذ أربعمائة سنة - ونشرت جريدة الأهرام المصرية خبرها نقلاً عن جريدة الهدى الأمريكية عن طائفة من تجار الأتراك فى تجوالهم هناك وعلق الكتاب على هذا النبأ، باحتمال أن يكونوا من سلالة أحد أولئك العرب الذين خرجوا من لشبونة إذ لعل أحدهم بقى هناك، ثم بعد ذلك هاجر إلى مكسيكا التى تقع تجاه تلك الجزر غربًا لا يفصلها عنها غير الخليج المعروف بخليج مكسيكا - والذى يظهر لى وهو أولى أن يكونوا من هذه البعثة التى لم ترجع بالمرة فلعل البعض منهم أوكلهم نجوا فاستوطنوا تلك البلاد والله أعلم.

بحقيقة الحال فوعدهم خيراً وأعلمهم أنه ترجمان الملك فلما كان فى اليوم الثانى من ذلك اليوم أحضروا بين يدى الملك فسألهم عما سألهم عنه ترجمانه فأخبروه بما أخبروا به الترجمان به الترجمان بالأمس من أنهم اقتحموا البحر ليروا ما به من العجائب ويقفوا على نهايته. فلما علم الملك بذلك ضحك وقال للترجمان أخبر القوم إن أبى أمر قومًا من عبيده بركوب هذا البحر، وأنهم ساروا فى عرضه شهراً إلى أن انقطع عنهم الضوأ وانصرفوا من غير حاجة ولا فائدة، ثم أمر الترجمان أن يعدهم خيراً ففعل ثم صرفوا إلى مكانهم الأوّل وما زالوا به حتى خرجت الريح الغربية فأنزلوا فى زورق وعصبت أعينهم وسير بهم فى البحر مدة من الزمان. قال القوم قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها حتى جيء بنا إلى البر فأخرجنا وكتفنا إلى خلف وتركنا بالساحل إلى أن تضاحى النهار وطلعت الشمس ونحن فى ضنك وسوء حال من شدة الكتاف حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحنا بأجمعنا فأقبل القوم إلينا فوجدونا بتلك الحالة السيئة فحلونا من وثاقنا وسألونا فأخبرناهم بخبرنا وكانوا بربراً، فقال لنا أحدهم هل تعلمون كم بينكم وبين بلدكم، فقلنا لا، فقال: إن بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين[1] فقال زعيم القوم وآسفى فسمى المكان إلى اليوم آسفى وهو المرسى الذى فى أقصى المغرب اهـ.

وهذه القضية مرسل من غير تاريخ إلا أنه حيث كان الناس عربًا واللفظ عربيًا، فإن استيلاء العرب لى لشبونة لأول الفتح الإسلامى للأندلس كان سنة

(١) هذا من قائله خطأ أو كذب لأنه لا يوجد بين آسفى ولشبونة هذا القدر ولا نصفه، وأما القوم فلا عهدة عليهم لأنهم صرحوا بعدم علمهم، ولأن الحالة التى هم عليها تذهب بمعلوماتهم وتتركهم أسرى فى يد الغير.

٩٢هـ وتخليهم عنها سنة ٤٨٩هـ فيكون خروجهم لاكتشاف ما وراء المحيط متراوحًا بين هذه القرون الأربعة.

وينبنى على ذلك حيث كانت آسفى أقدم من هذا التاريخ بكثير أن يكون هذا الاسم جديداً لها ولها اسم آخر قديم - لكن يشكل عليه أن كل من ذكرها من المؤرخين والجغرافيين لم يذكروها إلا مقرونة بهذا الاسم.

والحقيقة أن كل من ذكر تاريخ بلد باسم جديد يكون من أهم أمره أن يذكر اسمه القديم - والحال أنهم لم يذكروه، ويمكن الجواب بأنهم ما كتبوا الجديد إلا بعد مرور أزمنة انتسخ خلالها الاسم القديم ولم يبق معلومًا.

أجل لقد ذكرها بطليموس القلوزى فى كتاب الجغرافية له باسم آخر يقرب من هذا فى اللوح الأول للقسم الثانى من أقسام المعمورة وهو (تانسفة) وقد كان بطليموس قبل الميلاد المسيحى بنحو ١٤٠ سنة وكتابه هذا يعد الأصل الأول للجغرافيين، إلا أنه لطول العهد ومرور الأزمنة قد تغيرت كثير من أسماء البلدان المذكورة فيه بل واندرست المسميات.

ويمكن وهو الظاهر أن يكون اللفظ بربريًا مأخوذًا من قول البربر للضوء أسفو بضم الفاء فحرف فى الاستعمال إلى الكسر على أن البعض من البربر ينطقون به مكسوراً.

وقد كان الناس قبل الإسلام وبعده يشيدون المنائر على الشواطئ حفظًا لها من الهجوم ويرتبون بها حراسًا فإذا ظهرت لهم قطعة فى البحر يشعلون الأضواء فى تلك المنائر إعلامًا بالهجوم والاستعداد له فكانت بمنزلة التليفون فى العصر الحاضر.

وتكون المنائر أيضًا لاهتداء السفن عليها فى سيرها فيمكن أن يكون بهذا البلد بعض هذه المنائر فسمى البلد به لأنه فى القديم كان خالصًا للبربر والله أعلم.

آسفى وأطوار تأسيسه قبل الإسلام وبعده

لم نطلع على أول من اختطه لطول قدمه لغاية ينقطع دونها العلم على التعيين بمن أسسه أولا.

ولعراقته فى القوم اختلف الناس فى شأنه فمن الناس من قال أنها مدينة بربرية أسسها البربر القدماء ومنهم من قال أنها مدينة فينيقية أسسوها قبل الميلاد المسيحى بنحو عشرة قرون.

وها أنا ذا أسوق كلام الفريقين.

قال الحسن بن الوزان الغرناطى فى جغرافيته: آسفى مدينة على شاطئ المحيط بناها الأفارقة الأقدمون اهـ.

وقال أبو القاسم الزيانى فى الترجمانة الكبرى فى أخبار المعمور برًا وبحرًا أنه لما استقر البربر بالمغرب بنى أمراء صنهاجة مدينة طيط وآزمور وآسفى اهـ.

واستقرار البربر بالمغرب يقول عنه العلامة ابن خلدون أنه كان منذ أحقاب متطاولة لا يعلم قدرها إلا الله.

ويقول غيره أنهم استقروا به لما قتل داود جالوت فخرجوا من فلسطين إلى المغرب.

ولا يخفى ما فيه لأن المغرب معمور بهذا الأمة قبل ذلك بأزمنة متطاولة إلا أنه لا مانع من أن يكون دخولهم تدريجًا بحسب الحوادث فيكون داود أجلى بعضهم فنزلوا على إخوانهم القدماء.

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميرى فى الروض المعطار والإمام أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بنانى فى مغانى الوفاء: قال أهل الأثر أن الشيطان كان نزع بين بنى سام وبين بنى حام، فوقعت بينهم حروب ومناوشات كانت الدائرة فيها على حام وبنيه، فخرج حام إلى ناحية مصر وتفرق بنوه ومضى على وجهه يؤم المغرب حتى انتهى إلى السوس إلى موضع يعرف بآسفى وهو آخر مرسى تبلغه المراكب من البحر الأندلسى (يعنى فى ذلك العصر أما اليوم وقبله فإنها تتجاوزه) إلى ناحية القبلة وخرج بنوع فى طلبه فكل طائفة من ولده بلغ موضعًا وانقطع عنهم خبره، أقاموا فيه وتناسلوا ووصلت إليهم طائفة أقاموا وتناسلوا هناك، فكان عمر حام ٤٤١ سنة وقيل ٧٧١ سنة، ولما مات دفنوه فى صخرة منقورة فى جبل أصيلا اهـ.

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى كتاب القصد والأمم - فى أنساب العرب والعجم: قال على بن كيسان النسابة وغيره من أهل العلم بأيام الناس وأنسابهم - كانت بين بنى حام من الحروب والمناوشات ضروب كان آخر أمر حام أن هرب إلى ناحية أرض مصر وتفرق بنوه ومضى على وجهه يؤم المغرب حتى أفضى إلى السوس الأقصى، وهو آخر ما تبلغ إليه مراكب البحر من الأندلس وغيره، فلما بلغ حام هنالك أقام فيما اختار من تلك البلاد إلى أن مات اهـ - ونحوه لابن خلدون عن الصولى - ولصاحب الجمان فى أخبار الزمان.

وقال الكاتب المؤرخ أبو زكريا يحيى بن خلدون (أخو صاحب العبر) فى كتاب بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد: لما تعرض لنسب البربر - نقلاً عن البكرى أن حامًا لما اسود من دعوة أبيه عليه فر حياء من رهطه واستقر بثغر آسفى من المغرب الأقصى ومات به عن ٤٠٠ سنة وقيل ٧٧١ سنة وقبره الآن هناك بآسفى اهـ.

وينتقد هذا بأن غير واحد من نقاد الأئمة أنكروا الآثار الواردة فى دعوة نوح عليه السام على ابنه حام وبأنه من أجلها اسود فاسود بنوه.

وممن فوق لذلك سهمه الصائب الفيلسوف ابن خلدون وجعله فى مقدمة تاريخه من أوهام النسابين وأغلاطهم.

ويمكن الجواب عن هذا النقد بأن المنكر هو نسبة السود للسودان بسبب الدعوة - وهذا ابن خلدون نفسه يعرب عن ذلك فإنه لما زيف تسبة السواد للسودان من أجل الدعوة - قال: ودعاء نوح على ابنه وقع فى التورية وليس فيه ذكر للسواد اهـ.

على أنه من الممكن أيضًا أن تكون الدعوة وطبيعة البلاد أدتا لاسودادهم ولا ينكر تعدد الأسباب لمسبب واحد، أو يكون سكناهم بالبلاد الحارة التى غيرت ألوانهم من آثار استجابة الله لنبيه فى حق من نسبه لحام.

وعلى فرض بطلان الدعوة فإنه لا يلزم من بطلان السبب بطلان المسبب كما لا ينكر تعدد سبب وروده المغرب لما علم أن المسبب الواحد قد تكون له أسباب.

ومما يدل للفريق الثانى من أنها مدينة فينيقية - ما أخبرنى به صاحبنا الفقيه الكاتب المؤرخ المطلع أبو عبد الله السيد محمد بن على الدكالى

السلاوى من أن آسفى مـذكورة فى كتاب تريخ تيسـوا الفرنساوى الذى ترجم فيه الدرج اليـونانى المشتمل على أسماء المدن التى أسسـها حنوان القرطاجنى على شطوط البـحر المتوسط والمحـيط - من تونس إلى ماسـة وأن آسفى من مؤسسات حنون الذى ورد على المغرب بأسطوله الستينى قبل المسيح بنحو ١٥ مائة سنة فـتعاهد المدن التى كـانت للفينيـقيين بهذه الشطوط فـجدد بعضـها وأسس أخرى وكانت آسـفى فى عهدهم ذات عمـارة تأتيها سفنهم الـتجارية وغيرها.

وقد كـتب إلى الأديب البحاثة الـنابغة أبو عبـد الله محمـد المهدى بن العلامة وزير المعارف السيد محمد الحجوى حفظهما الله بحثًا مدققًا يقول فيه: مدينة آسنى من أقدم مـدن المغرب، وقد اختلف فى عهد تأسيسـها فمن قائل أنها حلقة من سـلسلة المستعمرات الفـينيقية التى كانـت على شاطئ المحيط، ومن قـائل أنها مـدينة بربرية الأصل ولم يدخلهـا استعـمار الفـينيقـيين ولا الرومانيـين، ومنهم من ظن أنها كـانت تحت السلطة الرومانيـة وكانت قـبلها موجودة، وعندى أنها قـديمة من عهد الاستعمـار الفينيقى ويغلب على الظن أنها من مؤسـسات البحارة القـرطاجنى الفينيقى حنون إن لم تكن قـد سبقت هذا العهد وأسسها الفينيقيون قبل تأسيس قرطاجنة حنون هذا قد سيرته مملكة قرطاجنة عد استفحال أمرها إلى الشواطئ الغربية من أفريقيا على طريق البحر للاستطلاع وتأسـيس المستـعمرات فـأسس مستـعمرات علـى شاطئ أفريقـيا الغربى.

ومن الجائز أن آسـفى هذا العهد لأن الفيـنيقيين قد ظهـروا فى شواطئ المحيط المغربية منذ نحو القرن - ١٢ - قبل الميلاد وأسسوا مستعمرات عديدة،

ولم تعرف إلا بآثارها الباقية والمذكورة عند الفاتحين بعدهم لأنهم كانوا يكتمون أمر فتوحاتهم خوف المزاحمة وما كان عندهم مؤلفًا محفوظًا بعاصمتهم الأخيرة قرطاجنة بدده الرومان عند دخولهم إليها وما بقى إلا تقرير رحلة حنون كان منقوشًا على هيكل بالعاصمة المذكورة ورآه أحد الرحالين اليونانيين عند مروره بها قبل خرابها ونقله إلى لغته.

وقد ذكر (بلين) المؤرخ الرومانى أن هذه الرحلة كانت أواخر القرن الخامس قبل الميلاد - قال فيها حنون - وبعد ما اجتزنا أعمدة هركيل (البوغاز) وذهبنا فى البحر مدة يومين أسسنا مدينة سميناها (ثيماطريا) تشرف على سهل متسع ثم بلغنا إلى رأس صوليس فوجدناه مكسوًا بالأشجار وبنينا فيه معبدًا للآله (بوزيدون) (إله البحر) ومن هناك سرنا نحو نصف يوم مائلين إلى جهة المشرق، وبلغنا إلى بحيرة مكسوة بقصب كثيف ترعى حوله فيلة كثيرة وحيوانات أخرى وبعد مسيرة يوم من هذه البحيرة أسسنا مدينة كركون طيكوس.

أما رأس صوليس فقد كان المؤرخون الأثريون يتفقون على أنه رأس كنتان شمال آسفى.

وقال بعض كبار المؤرخين قد ضاع أكثر المستعمرات الخمس التى أسسها حنون بين رأس كنتان ووادى درعة، الأولى على مسيرة يوم ونصف من رأس كنتان بسير حنون.

ويغلب على الظن أن إحدى هذه المستعمرات كانت فى موضع آسفى.

وقد وجدت بعض نقود رومانية فى هذه المدينة وذلك إنما هو دليل على وجودها وعمارتها على ذلك العهد، ولم يذكر أحد من المؤرخين الأقدمين أن

الرومان تعدوا مدينة سلا القديمة أو مركز الدفاع عنها الذى كان يسمى (وادمير كريوس) على البحر المحيط جنوب سلا. قال بلين: وبين هذا المركز وبين سلا ١٦ ميلاً، أى ٢٣ كيلو متر، وقد عثر بعضهم على أحجار مكتوبة بالرومانية بآسفى وظن أن ذلك يدل على بلوغ نفوذ الرومان إليها فحلل كلامه بعض الأثريين فى مجلة أفريقيا ورده وانفصل على أن ذلك لا يفيد ما قصده الباحث الأول.

وقد انفصل فرنسوا يرجى فى مجلة الشمال والجنوب على أن هذه المدينة فينيقية سبقت قرطاجنة ورحلة حنون بل إن حنونًا تزود منها لما بلغها فى رحلته وسماها الفينيقيون بهذا الاسم الذى هو أعظم معبد ببلدهم تبركًا به اهـ.

آسفى فى الإسلام

لما أطل فجر الإسلام على المغرب كانت آسفى من ثغوره المعمورة فقد جاء فى نزهة الأنظار فى علم التاريخ والأخبار - رحلة الورثيلانى - وكتاب الجمان فى أخبار الزمان للشطيبى، ونقله صاحب الاستقصا أن عقبة بن نافع الفهرى لما دخل المغرب الأقصى فاتحًا سنة ٦٢ للهجرة بلغ آسفى.

آسفى وتخريب البرغواطيين

رأيت بخط صاحبنا مؤرخ العدوتين ابن عبد الله محمد بن على الدكالى السلاوى حفظه الله: إن عمارة ذلك الثغر يعنى آسفى كانت معروفة من عهد

الفتح الإسلامى، ولما طرأت الطائفة الضالـة البرغواطية على النواحى الحوزية وكان رئيسها صالح بن طريف اليهودى الأصل كان من الفساد الذى طرأ على المغرب على أيديهم أن خربوا ثلاثمائة مدينة من مدنه من جملتها ثغر آسفى، وذلك فى المائة الثالثة من الهجرة، ثم أدال الله الدولة للإسلام، واستخلصوا ما كـان بأيديهم على يد ملوك مـغراوة ولمتـونة وذلك صدر المائة الخـامسـة من الهجرة فرجع الثغر إلى حوزة الإسلام اهـ.

آسفى والمرابطين اللمتونيين

استرجع المرابطون آسفى واستخلصوه من البراغواطيين فعمروه وانتعشت به العمارة شيئًا فشيئًا حتى أنه كان لا تقام به جمعة ولا سور له فى دولتهم.

آسفى والموحدين

لما جاءت الدولة الموحدية وكان عنفوان حـضارتها وسطوتها فى النصف الأخير من القرن السادس الهجرى التفت إليها ملوكها وسوروها بسور واسع، وهو الذى فى غـالب ظنى توجد آثاره بأطـراف البلد يبتـدئ جنوبًا من وسط تراب الصينى من رنقة القنيطرة، وعليه أساس الدار التى تحت عدد ١٩، ويمر شمال المستشفـى الأهلى، ثم يمر أمام رحى الريح الأثرية وعليه أساس الجدار القبلى من أوتيل كمبـانية باكيت ثم أمام القصبة العليا ثم وسـط بياضة شمالاً من آسفى حتى يبلغ البحر فى سمت قبة الولى سيدى أبيه من الشمال.

ويغلب على الظن أن الذى سـوره من هذه الدولة هو السلطان يعـقوب

المنصور لأنه أغناهم بتخليد الآثار وتحصين البلاد، حيث إنه وجد الدولة ممهدة والأموال موفرة فشيد لآثار وحصن الثغور، أما من قبله فكانوا ممهدين أكثر منهم معمرين، وأما من بعده فكانوا فى تقهقر وانحطاط غالبًا.

آسفى والمرينيين

فى الدولة المرينية اتسعت عمارة آسفى ونضجت به الحضارة وشيدت به المدرسة العلمية والمارستان (المستشفى) وغير ذلك من لوازم التمدن الشىء الذى سوغ لابن خلدون أن يطلق عليها أواسط القرن الثامن حاضرة البحر المحيط، وناهيك بها من مثله فهى دالة على أنها بلغت مبلغًا عظيمًا فى اتساع العمارة التفوق فى الحضارة.

آسفى والبرتغاليين

فى القرن التاسع الهجرى أواخر دلة بنى مرين وأوائل دولة الطاسيين تأخرت حالة المغرب وانحطت انحطاطًا بينًا من جميع مناحى الحياة وبالأخص فى دولة الوطاسيين وزرائهم بلغ المغرب غاية التدنى والتضعضع فتلونت له النوائب وتعددت عليه النكبات ذلك كله سوغ للبرتغال ولوج أبواب المغرب والاستيلاء على جل شواطئه.

فى ذلك الأوان المنحط كانت آسفى ترزح تحت عوامل التخريب والموت المعنوى. ذلك من تنازع السلطات عليها.

سلطة رؤساء أحزابها الذين اقتطعوها عن حكومة الوطاسيين ثم لم

يقدروا على إدارة سياستها وإخضاع من بها، وسلطة الوطاسيين الضعيفة، وسلطة البرتغال المتسربة بواسطة الدسائس لرؤساء الأحزاب فلم يسع آسفى إلا أن تسقط تحت البرتغال شهيدة بيد رؤساء أحزابها سنة ٩١٠ - أو سنة ٩١٢ بعد حروب شديدة.

أولئك الرؤساء الذين لم يحفظوا الهاذمة ولم يراعوا لها حرمة وطالما شقيت البلاد والأمم برؤسائها الذين غايتهم إرضاء شهواتهم وملء جيوبهم، أو انتصارهم على أندادهم فى منازعات شخصية أو نيلهم شبه جاه ونفوذ هذا منتهى أمانى الخائنين ولكنه غير مبرر لما ارتكبوه من خيانة الأمة وشقاء للبلاد والعباد.

ذلك أن البرتغاليين لما بسطوا نفوذهم على آسفى عاملوها أوأ معاملة وأذاقوا من بها ألوان النكال والعذاب مما يخجل منه جبين الإنسانية، حيث إنهم عمدوا إلى المعاهد الدينية والعلمية وبالغوا فى إهانتها منه ما نقضوه حجرًا حجرًا ومنها ما جعلوه محلاً للقاذورات كالمسجد الكبير وعبثوا بالمحارم واستحلوا التجارة فى الأحرار فكانوا يبيعونهم جهارًا وسفكوا الدماء ونهبوا المال وخربوا الدور.

ولما كان السور القديم لاتساعه وقدمه ومعرفة المسلمين بمواقع الغرة منه، إذ كانوا يفتحون الترع منه ويهجمون على البرتغال، كان ذلك باعثًا للبرتغاليين على تسويره بهذا السور الموجود الذى يقدر بنحو ربع السور القديم أو خمسه.

حصنوا هذا القدر الصغير منه لأن هجوم المسلمين كان متواليًا عليهم وجعلوه فى مسيل الوادى إلى البحر، وكان قبل ذلك مرتفعًا عن المسيل فكان

وضعه بها من الهندسة الخرقاء ولكن العذر لهم أن المسلمين كانوا مضايقين لهم.

ويوجد على هذا السور البرتغالى نحو عشرين برجًا.

أهم الأبراج البرية: البرج الكبير بالقصبة العليا المعروفة بدار السلطان، وبرج أشبار لارتفاعهما على طرفى المدينة من جهة البر.

وأهم الأبراج البحرية: البرج الجنوبى بالقصبة السفلى البرتغالية.

وهذه القصبة على شاطئ البحر مربعة الشكل على كل ربع منها برج وفى وسطها عدة دور وخزائن وهى من أول ما بناه البرتغاليون كان البناء بها بصفة دار تحفظ بضائع تجارهم وتدرعوا لذلك بالتجنى على المسلمين بنهب تجارتهم وضياعها فى بعض الفتن، فسمح لهم المسلمون وهم أهل لكل تسامح وتساهل فبنوا دارًا بمرقع هذه القصبة وفى الواقع أنها دار حربية مهدوها لاحتلال آسفى وكذلك كان فإنهم لما أكملوها فتحوا لها بابًا للبحر أنزلوا منه العسكر ليلاً، وأما الإسلام والأدوات الحربية فإنها نزلت من المرسى على يد الأمناء فى براميل وصناديق بصفة بضائع من غير أن يتفطن لها الأمناء ولما استجمعوا قوتهم لم يشعر أهل آسفى إلا بجنود لبرتغال منقضة عليهم فى قعر بيوتهم واضعة السيوف فى رقابهم حتى ولجوا المساجد فاشتبكت المعارك والحروب أيامًا وأخيرًا استسلمت آسفى للسلطة البرتغالية.

ويقابل هذا البرج من الشمال برج السلوقية على البحر أيضًا غير أنه منفصل عنه، وكان يصله بالبحر سور وثيق يعرف عند الناس بالعراضة وكان منحدرًا. ولعمل البرتغاليين هدموه لأنهم لما أخلوها خربوها وأوقدوا فيها النار أو هدمه المسلمون، ثم زاد فى علوه القائد عبد الرحمن بن ناصر العبدى نحو

الثلثين سنة ١٢١١هـ ولما امتدت الإصلاحات فى العصر الحاضر هدم هذا السور الرابط للبرج بالبحر وآخر ما هدم منه سنة ٣٤٧ هـ.

ولم يكن لها فى العهد البرتغالى سور من جهة البحر غير هذين البرجين، ولما رجعت البلاد للمسلمين سوروه بسور وصلوا به ما بين البرجين وكان لهذا السور باب بحرى يقال له برج القبيبة، وكان بداخل هذا السور مما يلى القصبة البرتغالية عمارة مشتملة على دور وحوانيت واهرية من أهمها الدار التى كانت ملتصقة بالقصبة البرتغالية كان ينزلها الأمراء والقواد وأصحاب السلطان وغيرهم من ذوى الحيثيات وكان حذاءها مسجد عرف بدار البحر كان معدًا لصلاة الأمناء والخدمة بالمرسى وغيرهم من أهل هذه العمارة، ولما امتدت الإصلاحات الجديدة سنة ١٣٣٤هـ موافق سنة ١٩١٥م هدمت هذه العمارة والسور والبرج والمسجد.

ويلى القصبة البرتغالية من الجنوب برج قد كتب عليه تاريخ سنة ١٢٣٤هـ وذلك فى دولة السلطان المولى سليمان رحمه الله.

ومن المحارس برج الرميلة على باب الشعبة ذكر لى بعض الفضلاء عمن حدثه أنه كانت به ساعة رملية عمومية قديمًا، فسمى بذلك من أجلها. ويوجد عدة محارس أخرى من بناء أمراء المسلمين كبرج كدية العفو والصقالة وغيرها.

آسفى فى الدولة السعدية

استخلص الملوك السعديون آسفى من مخالب البرتغال بعد حصار طويل وحروب عظيمة سنة ٩٤٨ - أو سنةج ٩٤٧ - ولما أيقنوا بأنهم لا طاقة لهم

بالسعديين أخلوها وخربوها ودمروا ما بها من آثار وأوقدوا فيها النيران. ونقل صاحب الاستقصا عن بعض مؤرخى الإفرنج أنه مكث خاليًا بعد انجلائهم عنه اثنى عشر سنة. لكن إذا عرضت هذه المقالة على محك النقد والاختبار توجد لا ترتكز على حقيقة لأن أهالى آسفى لا يزالون موجودين منتظرين لإخلاء بلادهم والسلطان محدم الشيخ السعدى كان ملحًا على البرتغال بآسفى لأنه كان يريد أن يوسق السكر الذى شيد معامله بشوشاوة وحاحة وهو مرسى عاصمته مراكش فكيف والحالة هذه يمكث آسفى خاليًا هذه المدة الطويلة هذا مما تشهد قرائن الأحوال بغلط صاحبه.

وقد عمره السلطان محمد الشيخ المهدى ورد جالية أهله وأسس به القصبة العليا ومسجده الكبير وغير ذلك من لوازم العمارة واعتنى به هو وأولاده وحفدته وشحنوا أبراجه بالمدافع ورموا الأسوار وبالجملة نهضوا من كبوة السقوط والخراب وصيرورة فى صف المدن والحواضر.

آسفى والدولة العلوية

استعت عمارة آسفى فى الدولة العلوية خلد الله ملكها وتناولتها عدة إصلاحات وزيادات، وشيدت به معاهد دينية وعلمية وعمرانية وخصوصًا صدر القرن الثالث عشر الهجرى فى رياسة القائد عبد الرحمن بن ناصر العبدى المتوفى سنة ١٢١٤، فإنه اعتنى به نايةَ كبرى من جميع مناحى حياته وخلد به الآثار الجميلة من مساجد وأبراج وأوقاف وغير ذلك.

آسفى فى العصر الحاضر

آسفى فى عـصرنا قد امتـدت عمارتهـا وتكاثرت بها الأبنية خصـوصًا بثلاث جـهات من جهـة الجنوب، حيث محطة السكة الحـديدية للقطار الذى سيكون قريبًا بحول الله، ومن القبلة حيث رسمت المدينة الجديدة على الشكل الحديث ومن شمال آسـفى بحومة بياضة واحرش النخلة ووادى البـاشا، فقد تكاثر البناء بهذه الناحية وامتد إلى غاية بعيدة حتى صار كالبلد المستقل بأعلى ربوة طيبة الهواء منـفصلاً عن المدينة القديمة. وعلى الجملة فآسـفى اليوم أكثر عمارة من ذى قبل مع ما يلاحظ فى ذلـك من اتخاذ الحدائق والأجنة الخاصة والعامة وإجراء المياه وفتح السكك والمنافذ فى الأماكن الضيقة.

على أن آسفى لم تكـن خالية من الحـدائق والأجنة بل كانت بنواحيـها عدة بسـاتين عامة وخـاصة مغـروسة بكثـير من الفواكـه والأشجار والثـمار وخصوصًـا هذه الجهة الشمالـية، فقد كانت غنيـة ببساتينها وحـدائقها، يعلم ذلك من طالع رسـوم البيوع والأشـربة فى القرن الثـانى عشر الهـجرى فـما بعده، إلا أنه فى الأيام الأخيرة تناقص عمـرانه حتى صار كأنه صحراء وذلك من قلة الماء والأمن والله الموفق.

مساجد آسفى

نبذة عن تاريخ الديانات

فى كتـاب تاريخ الجزائر للأستاذ الشـيخ مبارك الميلى أن البـاحثين على الآثار بالمغـرب أثبتوا لأهـله ديانة. والديانات أصلها الوحى فـلا بد أن تكون هذه الأمة أخذت أصول ديانتها عن رسول من الرسل، وقد قال تعالى: ﴿وإن

من أمة إلا خـلا فيهـا نذير» ثم دخلها التـخريب والتبـديد والغلو فى تعظيم بعض المخلوقات حتى أمست وثنية ولا أظن أمة تنسأ على فطرتها تكون وثنية تعتقد النفع والأضرار الناشئين عن الاخـتيار فى الشمس أو القمر أو أى مظهر آخر.

وإنما تخـضع الأمم ذوات الفطر الـتى لا عـهـد لهـا بأى نزعـة للدين الصحيح، فـإذا ألفت الإذعان للدين وتمكن منها الإيمان بأشياء من المغـيبات، ثم طرأ عليها الجهل ظهر فيها من الدجاجلة من لهم أغراض شخصية يعملون لتحصيلها باسم الدين.

والدين هداية عامـة لا آلة يستخدمهـا أصحاب الغايات الذمـيمة لبلوغ غايتـهم لا جرم اضطر كل دجال من البـشر فى أى عصـر إلى تحريف الدين بالغلو أحـيانًا والابتـداع تارة، وإذ ذاك يغرس أشجـار الوثنية فى تربـة الجهل الثرية تسـقيـها تلك الأمة الجـاهلة بخيـالاتها وأوهامهـا حتى تعظم وتنتـشر فتحجب شمس الدين الصحيح تغطى بدور العقول النيرة اهـ.

ديانة قدماء المغرب

كان للقـدماء بالمغرب ديانة سـماوية لك سـقطت عليها أنقـاض الجهل فحلت محلها وثنية مخلوطة بوثنية الفينيقيين.

كمـا كان به أيضًـا النصرانية الـتى انتشرت على يد الـرومان وبالأخص قسنطين أحد ملوكهم فإنه حمل الناس علـيها بالسيف، لكنها بالجنوب المغربى كانت قليلة؛ لأن نفوذ الرومان لم يتعد مـدينة سلا أو مركز الدفاع عنها وهى

كانت تابعة لنفوذهم، وكانت الموسوية منتشرة على يد اليهود الذين كان لهم فى القديم عدة هجرات للمغرب.

فإن قيل قد صح عن عالم كبير من علماء الجزائر وهو إسحاق بن عبد الملك الملشونى أنه قال لم يدخل إفريقية نبى قط وأول من دخلها بالإيمان حوارى عيسى ابن مريم عليهما السلام اهـ.

الجواب أنه بعد كونها شهادة على نفى ويعارضها القرآن، فصاحبها رجل ضعيف فقد نقل ياقوت الحموى فى معجمه ج٨ ص ١٤٩ عن الإمام مؤرخ إفريقية ابن العرب أن حديث إسحاق يدل على ضعفه اهـ.

ومن أجل ذلك كله اسوجب خبره الطرح. وكثيراً ما اغتر به الناس وقلدوه فى ذلك.

الديانة الإسلامية

انتشرت الديانة الإسلامية بالمغرب الأقصى على يد الفاتح عقبة بن نافع الفهرى سنة ٦٢ من الهجرة، وقيل قبل ذلك على يد سبعة رجال من رجراجة فأسس عقبة المعاهد الدينية كمسجد نفيس الذى لا يزال بعض أثره موجوداً بموضع مدينة نفيس ومسجد ماسة الشهير وغيرهما وقد ترك جماعة من أصحابه كشاكر وغيره يعلمون الناس القرآن وشعائر الدين، ثم جاء بد ذلك موسى بن نصير فازدهرت الديانة فى البربر وأسست المعاهد والمعابد وجلس الفقهاء من التابعين وأتباعهم لبث الدين بين البربر ففشت الدانة بينهم فشوًا عظيمًا، ثم لما جاء المولى إدريس بن عبد الله الكامل وجال ببلاد المغرب

ودخل بلاد المصامدة وبلغ ماسة وغيرها، فاستنزل الوثنيين الباقين وغيرهم من المعاقل والحصـون حتى لم يبق إلا النزر اليسير من غيـر المتدينين بالإسلام ممن كانوا يؤدون الجـزية عوض حفظهم فى المال والعـرض والدين حسبمـا تعطيه الديانة الإسلامية.

وكانت ديانة البرغواطيين الذين ادعوا النبوءة بتـامسنا لكنها كانت مجرد شعوذة على سبطاء الناس وبعد كونها كذلك، فإنها كانت مرتكزة على السيف وكان تظاهرهم بها فى القرن الثالث الهجـرى واضمحلالهم بالمرة صدر القرن الخامس وكان لملوك المسلمين ورجـراجة معهم مواقف وحروب كـانوا يتقوون مرة ويضعفون أخرى حتى اندثروا ولم يبق لديانتهم ولا لهم أثر بالمرة.

ولم يكن للبربر ثورة على الدين الإسلامى منذ عقلوه وعـرفوا مقاصده الحسنة وملائمته للعقول البشرية، وإنما كانت ثوراتهم أحيانًا على بعض الولاة الغاشمين من العرب ما لا تخلو منه أمة من الأمم.

يوجد بآسـفى عدة مسـاجد إسلامـية وكلهـا أسست فى القرن العـاشر الهجرى فما بعده. أما المساجد السـابقة عن هذا التاريخ فإنها لما استولت اليد الغاشمة من البرتغاليين على هذا البلد أذاقتها من الإهانة والتخريب ألوانًا ولم تترك لأولئـك البؤساء الذين كـانوا تحت نفوذها مـسجـدًا يؤدون فيـه طقوس دينهم.

المسجد الجامع الكبير

أسس هذا المسجد بداخل المدينة أسفل من مـوقع المسجد القديم، وكان القديم مرتفعًا عن المسيل ومـتصلاً بالمنار الموجود الآن الذى كان منارًا للقديم.

قال القاضى أبو عبد الله محمـد بن عبد العزيز الأندلسى الآسفى: أن المسجد الذى كان المنار الموجود له قد اندرس باستيلاء البرتغال على المدينة، والمنار من المدينة القديمة بدليل فصله الآن عن المسجد بالديار والطريق، وقد سمعت هذا ممن تثق به اهـ.

قال القاضى فى كتابه إرشاد السائل إلى مـعرفة جهة القبلة بالدلائل أنه بنى بأثر خـروج النصارى (البـرتغال) من آسفى فلبنائه ما يقـرب من مائتى سنة هـ[1]. وكان خروجهم منه سنة ٩٤٨. فـيكون تأسيسه فى دولة السلطان محمد الشيخ المهدى فيظهر أنه من تأسيسه ولأنه الذى عمر آسفى.

وقد جدد بعد ذلك وخصوصًا فى دولة السلطان سـيدى محمد بن عبد الله حسبما وقفت على كتـاب له إلى أمناء آسفى مؤرخًا به وقعدة سنة ١١٨٨ وكان فراغهم من قـبة المحراب فى ربيع الأول سنة ١١٨٩. وبذلك كله تعلم مـا فى إطلاق أبى عبـد الله اكنسوس وأبى الـعبـاس الناصرى كـونه من آثار السلطان سيدى محمد بن عبد الله، وإن وقع فى آخر كلام السيد الناصرى فى سيـاقه لآثار السلطان المذكور أن البعـض من تجديده، والبعض من تأسيـسه. فإنه لا يزال اللبس بين ما هو من تأسيسه وما هو من تجديده والعهدة فى ذلك على الأول، ثم نقـضت قـبـة المحـراب فى دولة السلطان أبـى الربيع المولى سليمان فى ٥ ربـيع الثانى سنة ١٢١٨ - وشرع فى إعادتهـا يوم السبت فاتح جمادى الأولى من السنة المذكورة، ونقض كذلك المنبر وعوض بآخر، واقتطع الطرف الذى فى مـؤخر المسـجـد وجعل مـسـجـد النسـاء كل ذلك فى السنة المذكورة، ولم يزل الإصلاح متواليًا عليه إلى الآن.

---

(١) هذا الكتاب نحو الكراس ألفه جوابًا لتلميـذه الميقاتى الطيب بن عبد الله بن ساسى وكان الفراغ من النسخة التى عليها خط المؤلف صبحة يوم الجمعة ٢٤ شوال سنة ١١٤٢هـ.

قبلته

قبلته منحرفة إلى وسط الجنوب انحرافًا كبيراً.

قال القاضى الفلكى أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الآسفى:

أما المسجد الجامع عندنا بآسفى فمحرابه منصوب إلى خط وسط الجنوب، فعلى القول بأن جهة القبلة ربع الدائرة وهو تسعون على الصحيح المعتمد فهو خارج عن الجهة بنحو خمسين درجة، فمن لم ينحرف به بطلت صلاته كما تبطل صلاة من استدبر القبلة، وعلى القول بأن جهة القبلة نصف الدائرة وهو ضعيف فهو داخل فى الجهة بنحو خمسة أدراج فمستقبل صوبه ٤٦ على هذا القول غير خارج عن الجهة. وعلى القول بمراعاة السمت فهو خارج عنه بنحو خمس وثمانين درجة، وإذا تأملت تربيع منار هذا المسجد وجدته أقرب قليلاً إلى استقبال جهة القبلة من تربيع الجامع.

والذى أوجب بناءه كذلك والله أعلم كون البلدة حين انتقل عنها الروم (البرتغال) ودخلها المسلمون قليلة العلم خالية من العلماء العارفين بدلائل القبلة.

حكم المسجد المنحرف

حكم الصلاة فى المسجد المنحرف عن وسط جهة القبلة أن ينحرف المصلى فيه إلى وسط الجهة إذا كان منصوبًا إلى جهة من أجزاء ربع الدائرة التى هى جهة القبلة ولا يهدم ولا يغير، وإن كان انحرافه كثيراً بحيث خرج عن جميع الجهة وجب أن يهدم (أى محرابه).

ويرد إلى وسط الجهة وينقل محرابه فينصب إليها إن لم تخف الفتنة على هدمه ولم يمتنع هدمه لكثرة النفقة على هدمه وبنيانه فإن كثرت وجب أن ينظر أهل العلم فى تبديل محرابه ونقله وإن خيفت الفتنة صلى الناس وانحرفوا إلى وسط جهة القبلة وتكره الصلاة فيه إذا كان فى البلد غيره منصوبًا إلى القبلة.

وقال القاضى بعده وكثيرًا ما أصلى فى غير هذا المسجد لكثرة انحرافه، ولولا خوف الفتنة وإنكار الجاهلين لكان الصواب أن يرد محرابه إلى القبلة الموالية لعين المشرق فإن من جعل جدارها الشرقى أمامه يكون مستقبلاً وسط المشرق قريبًا من سمت القبلة جدًا إذ سمت القبلة يكون عن يمينه إذ ذاك بنحو خمسة أدراج ولا يحتاج فى ذلك إلى كثير انحراف كما هو عليه الآن مع بقاء بناء المسجد على تربيعه واستقامة صفوفه ولا كبير نفقة فى ذلك اهـ.

وقد اعتاد الآسفيون الانحراف فيه مع تنبيه المقيم على ذلك كما هو الشأن فى القرويين بفاس لكن يبقى النظر فيمن لا معرفة له بانحرافه من الطارئين.

وفيه الاستمرار على عدم تسوية الصفوف وهو أمر جاءت الأحاديث متواترة بطلبه.

وفيه أيضًا صلاة الإمام حذاء الصف أو بعض الصف أمامه وكل ذلك مخالف للسنة النبوية ارتكبها لناس طول هذه المدة ولو وفق الله أولى الأمر من النظار وغيرهم لحازوا تلك الحسنة كما أنه لو توفق الناس لطلب ذلك من أولى الأمر لكان الجواب مكللا بالنجاح، ولكن ما أبعدنا من ذلك ونحن متشاكسون متخاذلون والله الموفق.

هل هذا هو العتيق

كثيرًا ما راج هذا السؤال مع الاتفاق على أنه مسجد القصبة العليا لكنه لا تقام به جمعة فيبقى النظر بين المسجدين الكبير وأفنان المدعو الفوقانى.

والذى يظهر لى أن هذا الكبير هو العتيق بدليل ما رأيت فى تعريف غير واحد من فقهاء آسفى وعدوله - بخطابى القاضيين أبى عبد الله محمد بن عبد العزيز وأبى عبد الله بن دحمان - من وصفهما بخطيبى المسجد العتيق. ومعلوم بحكم العادة المستمرة إلى الآن أن القاضى يتولى طابة المسجد الكبير هذا بل نص على هذه العادة وتقريرها الظهير السليمانى فى تولية الثانى. ويؤيده ما رأيته بخط القاضى بوخريص من وصفه مسجد أفنان بالجديد ورأيت وصفه بذلك فى بعض الوثائق القديمة فثبت بذلك وصف المسجد الفوقانى بالجديد، والجامع الكبير بالعتيق.

مسجد أفنان المدعو الفوقانى

هذا المسجد بداخل المدينة يضاف لأفنان وهو من أهل القرن الحادى عشر الهجرى ولست أدرى وجه إضافته إليه فهو إما لبنائه ياه أو لمجاورته أو لغير ذلك؛ لأن الإضافة تقع لأدنى ملابسة، والقديم منه هو النصف الموالى للمحراب، أما النصف الذى وراء الخصة والمقبو بالحجارة فهو من بناء القائد عبد الرحمن بن ناصر العبدى.

قبلته

قال القاضى أبو عبد الله فى إرشاد السائل: أن المصلى فيه يحتاج إلى انحراف يسير إلى جهة المشرق لأن صوب محرابه قد انحرف قليلاً إلى جهة وسط الجنوب اهـ.

مسجد القصبة العليا

هذا المسجد بداخل المدينة بقصبتها العليا السلطانية: كان مهملاً فى عصر القاضى أواسط القرن الثانى عشر، حيث قال كان هذا المسجد جامعًا ويذكر أنه العتيق وبه خطب الإمام أبو عبد الله بن مرزوق حين ورد على هذه البلدة جبر الله صدعها.

قال وصوب محرابه كصبوب محراب المسجد المتقدم اهـ، أى فى كلامه وهو المسجد الكبير فيكون منحرفًا إلى جهة الجنوب. لكن اختبره صديقنا الميقاتى أبو عبد الله محمد بن الطيب بحضرتنا بيت الإبرة فإذا قبلته مستقيمة غير انحراف يسير لجهة الشمال فحدسنا أنه جدد بعد زمان القاضى وحول محرابه إلى جهة القبلة ثم ظفرت بما وقع الإشكال وهو كناش صائر الأحباس لسنة ١٢١٦ إلى سنة ١٢٢٠، فإذا هو فى صف المساجد العامرة بجميع لوازم المساجد من الإمام والخطيب والمؤذن والحزابين وغير ذلك، فعرف من ذلك أنه جدد وصوبت قبلته.

وذكر لى بعض المسنين أن الذى جدده هو القائد عبد الرحمن بن ناصر العبدى، ويظهر ذلك من كون المسجد معدًا لصلاة الأمراء والسلاطين الذين

ينزلون القصبة وبالضرورة يجدده للأمير مولاى هشام أيام إمارته بالحوز ونزوله بالقصبة.

وكان على غاية بديعة من التزويق والنقش وظل إلى حوالى الثمانين من القرن الماضى مصونًا وعليه شبكة تمنع عبث الطيور بمحاسنه وعلى رغم ذلك فقد تسربت إليه يد الإهمال والإغفال شيئًا فشيئًا، حتى انمحت تلك المحاسن وانطمست تلك المعالم، وبلغ الحال ببعض ولاة السوء أن ربط به دوابه أحيانًا وقد أدركنا سقفه ساقطًا وآثار الصنعة بارزة على حوائطه ومحرابه.

وقد وفق الله إدارة الأحباس لإنقاذه سن هوة التلاشى فشرعت فى إصلاحه وترميم جدرانه يوم الثلاثاء ٢٩ محرم سنة ١٣٤٧ فأعيد سقفه ورممت جدرانه وكان الفراغ منه يوم الاثنين ٢٢ من رمضان من السنة المذكورة وأقيمت فيه الصلوات الخمس بالإمام الراتب والمؤذن وغير ذلك أبد الله عمارته.

مسجد رباط آسفى

هذا المسجد مؤسس برباط آسفى خارج سور المدينة البرتغالى وكان أول من أسسه الشيخ أبو محمد صالح رضى الله عنه بمباشرة أصابه.

وقد وصف لسان الدين بن الخطيب هذا المسجد لما دخله سنة ٧٦١، فقال هو مبنى عتيق ومجمع فسيح متعدد الزيادات والصحون والتعاريج، سبق منه ما بين يدى المحراب بعض على أيدى قوم من الصالحين ورفعوا به عمداً تناهز الأربعين بادية ضخمة خشنة على سبيل من الجفا والسذاجة يباشرها سقف لاطئ من غير نقش ولا أحكام عليها خشب بالية وقصب فخرة مما يدل

على قدم العهد وينبئ عن اجتناب فضول العمل، فلم تمتد إليه يد التغيير ودارت به الزيادات النبيهة والبلاطات من جهاته وبصحن هذا المسجد جباب للماء ينتابها الناس لسقيهم ووضوئهم ويقابل القبلة من جوفى الصحن زاوية بها فقراء يدعون ذكر الله يتعاطون مقام التوكل فلا يغب عنهم التفقد اهـ.

وقد اندرس هذا المسجد باستيلاء البرتغال على هذه البلدة كسائر مساجدها التى أهينت وعوملت بغير ما نوع من الإهانة وأخيراً أتى على الخراب والدمار من تلك اليد الغاشمة.

ثم بعد رجوع البلد للإسلام أسس بموضعه هذا المسجد أيضًا وأقيمت به صلاة الجمعة فى دولة السلطان المولى عبد الله العلوى بالكتاب المؤرخ بـ ٢٩ سفر سنة ١١٤٦.

وعلى محرابه تكلم القاضى أبو عبد الله فى إرشاد السائل حيث قال: وأما مسجد الرباط ومسجد دار البحر فقد انحرف صوب محرابهما قليلاً جداً إلى جهة الجنوب اهـ.

ثم هدم هذا المسجد بأمر من القائد السيد عبد الرحمن بن ناصر العبدى صاحب رئاسة آسفى واحوز - إما لتصدعه ببعض الزلازل أو لغير ذلك من الأسباب وأمر بإعادته على هيئة بديعة غاية فى حسن الصنعة، وكان الشروع فى بنائه تاسع رمضان سنة ١٢١١ - كما رأيته بخط قاضى آسفى اليد الجيلالى بوخريص - وقد عده فى الاستقصاء من آثاره أيضًا، وقبلته منحرفة يسيراً لجهة الجنوب أيضًا.

مسجد الشريف سيدى الحاج التهامى

هذا المسجد أسسه الشريف المثرى السيد الحاج التهامى الوزانى رحمه الله بجنوب رباط آسفى لما كثرت العمارة بهذه الجهة وكان الفراغ منه يوم السبت سادس أو سابع وعشرى رمضان سنة ١٣٣٣ اهـ بعد أن توفى مؤسسه فأتمه ورثته بالمال الذى كان أرصده له وعقب الفراغ منه أقيمت به مأدبة فاخرة وأقيمت به الجمعة والصلوات الخمس وغيرها من اللوازم.

وفى سنة ١٣٤٣ زيدت فيه السوارى الأربع المكتنفات للخصة بما عليها على نفقة إدارة الأحباس - وفى هذه السنة أنيرت هذه المساجد بضوء الكهرباء الحديث بدلاً من ضوء الزيت سوى مسجد القصبة فإنه كان مهملاً ولما أصلح أضىء كذلك بالكهرباء.

مسجد خارج باب الشعبة

هذا المسجد أسسه الفاضل الحاج محمد بن محمد الحفيد بخارج باب الشعبة وكان الفراغ منه متمم شعبان سنة ١٣٤٥هـ.

وأقيمت به الجمعة والصلوات الخمس تقبل الله عمل المحسنين.

الزوايا والرباطات

ما هى الزوايا: قال الإمام أبو عبد الله محمد بن مرزوق فى كتاب المسند الصحيح الحسن: هذه الزوايا هى التى يطلق عليها فى المشرق الربط والخوانق، والخانقات علم على الربط وهى لفظ أعجمى، والرباط فى

اصطلاح الفقهاء عبارة عن احتباس النفس فى الجهاد والحراسة، وعند المتصوفة عبارة عن المواضع التى يلتزم فيها العبادة.

والظاهر أن الزوايا فى المغرب هى المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين. وأما الربط على ما هو المصطلح عليه فى المشرق فلم أر فى المغرب على سبيلها ونمطها إلا رباط سيدى أبى محمد صالح والزاوية المنسوبة لسيدنا أبى زكرياء يحيى بن عمر بسلا غربى المسجد الجامع الأعظم، ولم أر لهما ثالثًا على نحوهما فى ملازمة السكان وصفاتهم وشبههما بمن ذكر نفع الله بهم اهـ.

وإذا ماتت الشيخ انقطعت التربية الصطلح عليها بين الصوفية ويبقى المنتسبون إليه يجتمعون فى زاويته على تلك الأذكار التى لقنها لهم ويقيمون الصلوات الخمس فى الزاوية ويرتب لها الإمام والمؤذن والحزابون بأجور معلومة ويقصدها كل من يريد الصلاة سواء كان من المتسبين إلى الشيخ أم لا.

وحيث انقطعت التربية بموت الشيخ وصارت الزاوية مفتوحة الأبواب لكل مصل وصارت لها ميزة المساجد، فإنها تعتبر فيها أحكام المساجد فإذا أحدث مسجد قرب آخر وأضر بالقديم فإن المحدث يغلق ويعدم كذلك الزاوية الغربية من المسجد فلا يجوز إقامة الصلاة يها بالإمام الراتب لما يترتب عليها من الضرر بالمسجد، والزاوية البعيدة من المسجد بحيث يشق على أهل حومتها مجيئهم للمسجد مشقة شرعية فلا بأس بصلاتهم فيها لأنها كمسجد محدث بعيد من الأول.

وقد أمر الله نبيه ﷺ بهدم مسجد الضرار فقال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ

اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ... ﴿١٠٨﴾ [التوبة].

فالصلاة رابطة إسلامية تجمع المسلم بأخيه كل يوم خمس مرات فهى بعد كونها من أركان الإسلام، وسيلة التآلف والتعارف بين الناس وإذا كان لا مندوحة من إحداث الزاوية بقرب المسجد فلا تقام فيها الصلوات الخمس ويقتصر فيها على ما بنيت له وهو العبادة والتربية إن كان من يربى ويرشد وإلا فتعامل بما عومل به مسجد الضرار.

وقد رأينا كثيراً من الزوايا زاحمت المساجد بالمناكب وفعلت فى تشتيت هذه العصابة الإسلامية ما لم يفعله العدو بعدوه، وكانوا كمن بنى قصراً وهدم مصراً، حيث يقولون ما أردنا إلا الخير وهم ضيعوا خيرات وجنوا سيئات بتفريق جماعة المسلمين وعدم تكثير سواد المصلين فى المساجد.

فنحن نوافقهم على الخير الذى هو الذكر والخلوة للعبادة بالزاوية فنعم الخير ولكن بئسما صنعوا بترك الصلاة فى المساجد.

وقد قال المواق فى سنن المهتدين: إن أكثر العلماء بأحكام الله أنكروا استحداث الزوايا ورأوا الأوقاف عليها معطلة المصرف ومنهم من وافق الصوفية ورشح اتخاذها اهـ.

نعم من رشح اتخاذها سواء من أقلية العلماء أو الصوفية بشرط عدم مصادمة نص شرعى أو إدخال ضرر على جماعة المسلمين بتفريقها وصيرورتها جماعات جماعات.

والمحقـقون من الصـوفيـة هم أحق الناس بتحكيم النصـوص الشرعـية وأولى الناس بحفظ الهيئـة الاجتماعية، فالداهيـة إنما جاءتنا من الأتباع الذين اتبعوهم فلم يحسنوا الاتباع وقلدوهم فلم يحـسنوا التقليد، ولم يضعوا كلام الشيوخ على مواضـعه، بل حملوا عليهم ما لم يقولوا، وفهـموا من كلامهم مالا يليق بمنصبهم على رغم كون الشيوخ المحـققين يصرحون بعرض كلامهم على الكتاب ولسنة وأوصل الشريعة فما قبلته وإلا فلا.

وحيث جاء تأسيس بعض الزوايا بقرب المساجـد منافيًا لأصول الشريعة التى تحـضنا على تكثـير سـواد المصلين بالمساجـد، فـلا يلصق ذلك بشيـوخ الصـوفيـة لما ذكرناه، ولأن غـالب تلك الزوايا إنما أسـست بعد مـوتهم فلم يشهدوا ذلك ولم يـقروه، وعلى تقدير إذا وجد من جوز ذلـك وافتات على الشريعة فهـو دخيل فيهم متسـتر باسم التصوف فيضرب بـفعله عرض الحائط لأن الشريعة هى أحق بالصيانة من ذلك الدخيل.

ألا يرى العاقل أن النبى ﷺ حضنا على تسوية الصفوف قائلاً لا تختلفوا فتختلف قلوبكم.

فاختلاف الظاهر ونحن فى صلاة واحدة وصف واحد دال على اختلاف بواطننا، فكيف وقد صرنا جـماعات جماعات كل واحـدة تؤدى صلاتها فى مسجد محدث أو زاوية مـحدثة بدلاً من المسجد القديم فلا شك أنه أدل دليل على اختلاف قلبنا وتنافرها الشىء الذى تنافيه الشريعة الإسلامية.

فصـلاة هؤلاء الناس الذين لا يبالون فى أى مـحل أوقعـوها فى محل شرعى أو بدعى صـلاة خالية من مـقصود الشـارع منها لأن للصـلاة أحكامًا وأسرارًا من أهمها ربط العلائق الودية بتكثيـر المصلين حيث يجتمعون كل يوم

خمس مـرات، فيعرف هذا هذا ويعلم هـذا هذا وغير ذلك وإليه يرشـد قوله تعالى: «ليس البـر أن تولوا وجوهكم قبل المشـرق والمغرب» الآية نطلب الله التوفيق لما فيه رضاه.

رباط الشيخ أبى محمد صالح رضى الله عنه المتوفى سنة ٦٣١

كان للشيخ أبى محمد صالح رضى الله عنه عدة زوايا ورباطات بالمشرق والمغرب.

وهذا الرباط بآسفى هو مركزه الوحيد طار له الصيت فى الآفاق وشدت إليه الرحلة الرفاق فكم تخرج منه من الأئمة الأعام والشيوخ المرشدين العظام الذين كانوا نجومًا يهتدى بهم الأنام.

وقد ظلت هذه الزاوية بآسفى شاغلة فراغًا كبيرًا طيلة النصف من القرن السادس وكـامل السابع والثامن والتاسع على رغم التـقهقر الذى كـان يسرى إليهـا ضرورة سريانه فى جسم الأمـة الإسلامية عـمومًا، وفى الأمة الآسـفية خصوصًـا حتى فاتح القرن العـاشر الهجرى كان سـقوطها الأخيـر بانصباب البرتغال على هذه البلاد فانطمست معالمها وذهبت تعاليمها.

ولو لم يكن من حـسنات رجـال هذا الرباط إلا حـسنة واحـدة لكانت كافية فى فضلهم ومفخـرة عظيمة من مفاخرهم ذلك هو الدعاء إلى بيت الله الحرام وزيارة نبيـه عليه السلام، ذلك الركن الإسلامى والمـوسم الحفيل الذى هو الرابطة الوحيدة الإسلامية التى تربط المسلم بأخيه وتجمعه به كل سنة، ولو تباعدت الديار ونأت الأقطار فـيعرف هذا هذا ويفيد هذا هذا وتتـجدد أواصر المحبة والارتباط.

أجل كان للشيخ أبى محمد صالح رضى الله عنه فى الدعاء إلى الحج والمؤتمر الإسلامى إلا على المنظم من فوق سبع سموات، الأثر المحمود والمقم المشهود حتى مهد له السبيل من المغرب وكون الركب الحجازى فكان مهما انتهى إليه أحد يجعل أهم الشروط لصحبته إياه حج بيت الله الحرام وبث أصحابه فى المراكز من آسفى إلى الحجاز بل جعل ولده السيد عبد العزيز بمصر حتى توفى بها، ثم كان حفيده السيد إبراهيم بن أحمد بن أبى محمد صالح بالإسكندرية، وكان بعده ولده العلامة أبو العباس أحمد بن إبراهيم مؤلف المنهاج الواضح، فكان الأصحاب المنبثون فى المراكز مهما ورد عليهم أحد يريد الحجاز فلا يجعلون له مجالاً فى المكث بأى بلد حتى يحج ويزور بل يمدون له اليد بكل ما لديهم من معونة ويسيرونه من القوافل بعد ما تحامى ذلك المغاربة لوعورة الطريق وكثافة الموانع حتى قال قائلهم إن الحج ساقط عن أهل المغرب، فقام الشيخ أبو محمد وأصحابه لحرب هذه المغالة الصادمة لهذا الركن الإسلامى فبذلوا جهودهم فى الحث على الحج وتسيير الناس إليه وبث الأصحاب فى المراكز ليأخذوا بيد الضعفاء ويعينوهم على سلوك الطريق إلى الأماكن المقدسة حتى يبلغوا الأمنية من أداء الفرض الواجب ويفوزوا بالأسرار المودعة فيه.

كانت طائفة الشيخ أبى محمد صالح كجمعية تبشيرية بأرقى نظام كافل للنجاح تحبب إلى الناس الحج وتسهل عليهم الطريق وتزودهم إليه فما أوسع نظر هذا الشيخ وما أكثر غوصه فى فلسفة التشريع فإنه رضى الله عنه رأى امتهان النفس فى طاعة الله أمراً محموداً شرعًا ومعقولاً طبعًا ويظهر ذلك عند الموازنة بين تلك المفسدة التى هى المشقة الحاصلة فى الطريق وما انطوى عليه

من الأسرار الدينية والصحية يدرك بالبديهة رجحان تلك المصلحة، أن تلك المفسدة المرجوحة لا يسقط بمثلها الواجب.

ويرحم الله الإمام أبا بكر بن العربى حيث قال العجب ممن يقول الحج ساقط عن أهل المغرب وهو يسافر من قطر إلى قطر ويقطع المخاوف ويخرق البحار فى مقاصد دينية ودنيوية والحال واحد في الخوف والأمن والحلال والحرام وإنفاق المال وإعطائه فى الطريق وغيره لمن لا يرضى اهـ.

كما ألف فى المسألة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد اللخمى البستى تأليفًا قائلا: يأبى الله والمسلمون سقوط قاعدة من قواعد الإسلام وركن من أركان الدين وعلم من أعلام لشريعة عن مكلف ضمه أفق من آفاق الدنيا أو صقع من أصقاع الأرض، وهذا معلوم فى الكتاب والسنة والإجماع وأطال وأطاب كما فى الحطاب.

وقد أثمر غرس الشيخ أبى محمد صالح رضى الله عنه فى هذه المهمة وفتح على يديه سلوك طريق تلك الأماكن المقدسة وكان أولاده وأحفاده وتلاميذه على هذا المنوال فى كل مكان مبشرين بالدعاء إلى بيت الله الحرام حتى تكون الركب الحجارى رسميًا فى الدولة المغربية له قائده وقاضيه، وكان أولاد الشيخ أبى محمد وأحفاده يتولون قيادته ورياسته رسميًا.

وعلى الجملة فيجب على كل مؤمن شكر هذه الهمة القعساء والشيمة العالية التى خلدت هذه المفخرة العظيمة وشيدت هذه المأثرة الفخيمة التى هى الوسيلة الوحيدة لربط علائق أهل الإسلام وجمع أوصالهم بعد ما أخنى عليه الدهر بكلكله ورام من لم يغص فى فلسفة التشريع الإسلامى نقضها وإسقاطها فلله در هذا الشيخ من طبيب ماهر، حيث لم يقصر ذلك على

الدعاء باللسان حتى أخرج ذلك لحيز العمل، فكانت تلك الحسنة العظيمة من نصابه، ولم يكن كغيره ليقتصر على القول باللسان وينحاز إلى أركان بيته قائلاً أديت الواجب شأن الكسالى والعجزة والله سبحانه ولى التوفيق.

زاوية الشيخ محيى الدين أبى محمد عبد القادر الجيلانى الحسنى المتوفى سنة ٥٦١ رضى الله عنه

هذه الزاوية بداخل مدينة آسفى قديمة العهد وكان تجديدها سنة ١٣٠٨ - وكانت على غاية من الاختلال وعدم الانتظام حيث كان من فقرائها من يأتى أفعالاً منكرة كالضرب بالآلة والرقص ونحو ذلك فقيض الله لهم من أهل العلم من طهرهم من ذلك جزاهم الله خيراً.

زاوية الشيخ أبى عبد الله محمد بن ناصر الدرعى المتوفى سنة ١٠٨٢ رضى الله عنه

أسست هذه الزاوية بداخل المدينة على مقربة من المسجد الكبير قبل سنة ١١٤٢هـ والقديم مها هو النصف الموالى للمحراب والباقى محدث فى عصرنا، ولم يرض زيادة ذلك الفقيه الإمام أبو زيد السيد عبد الرحمن المطاعى رحمه الله محتجًا بقربها من المسجد وقد أحدثت ضررًا بالمسجد لكنه وجد من أهل العلم ضدًا قد تناسوا حكمة الشارع فى تكثير سواد المصلين والله الموفق.

زاوية الشيخ المولى عبد الله الوزانى
المتوفى سنة ١٠٨٩ رضى الله عنه

أسسهـا المنتسبون إليـه بداخل المدينة فوق جامع أفنان وعلى مـقربة منه أواسط القرن الثانى عشر. وفى ليلة السبت أواخر شعبان سنة ١٢٨٨هـ أقام الشرفـاء الوزانيون بها حـفلة حضرهـا الأعيان والأمناء وغـيرهم من الذوات فأنعم الحاضرون بفتوحات بلغت ألفًـا وثلاثمائة مثقال جددت بها هذه الزاوية ولم تزل تدخلها تحسينات إلى الآن.

الزاوية المنسوبة للشيخ المولى العربى الدرقاوى
المتوفى سنة ١٢٣٩ رضى الله عنه

هذه الزاوية أسسهـا المنتسبون إليـه حوالى سنة ١٢٧٠ فيمـا بين المسجد الكبير وأفنان ولم تزل تدخلها تحسينات إلى الآن ولها إمام راتب ومؤذن وغير ذلك من لوازم المساجد.

الزاوية المصلوحية المنسوبة للشيخ المولى عبد الله بن حسين المتوفى سنة ٩٧٧

وأسسها حفيده الشريف مولاى سعيد بن مولاى عبد السلام على مقربة من المسجد الكبـير وكانت دارًا فاشتراها بسـبعين مثقالاً بتاريخ فـاتح جمادى الثانى سنة ١١٣٢هـ وحبسها على التلاميذ المنتسبين لجده يجتمعون فيها للذكر والقرآن والمواعظ حسبمـا ذلك مسطر فى شهادة تحبيسه ماشيًـا رحمه الله فيها

على الشيء الذى أسست له الزوايا من الوعظ والتذكير والعبادة، لكن ها هى خرجت عن شرط المحبس وأقيمت فيها الصلوات الخمس حوالى سنة ١٣٣٥هـ.

الزاوية المنسوبة للشيخ المولى أحمد التجانى رضى الله عنه المتوفى سنة ١٢٣٠

أسسها المنسوبون إليه فوق مسجد أفنان سنة ١٢٨٥هـ.

ثم أسست أخرى بتراب الصينى وتمت فى ٢٤ رمضان سنة ١٣٣٨ ثم أسست أخرى بحومة بياضة حذاء مسجدها الثلاث تقام فيه الصلوات الخمس.

الزاوية المنسوبة للشيخ أبى عبد الله السيد محمد بن عيسى المتوفى سنة ٩٣٣

هذه الزاوية فوق جامع أفنان كانت دارًا لرجل يقال له المكى بن حموش فحبسها على المنتسبين للشيخ المذكور وكان ذلك بعد سنة ١١٣٢، وهذه الطائفة كانت قد حادت عن سواء السبيل وابتدعت فى دين الله من البدع ما شوهت محاسن الإسلام وألبسته سجفًا من الضلالات، حيث إنهم يخرجون يوم موسمهم للشوارع متلطخين بالدماء آكلين للحوم النيئة فى هيئة منافية لمبادئ الدين الإسلامى وفضائله السامية.

وقد برقت والحمد لله بارقة فى رجوع العقلاء منهم عن هذا الفعل

الشنيع والأمـر الفظيع، وذلك بإرشـاد جـمـاعة من أهل العـلم ببلدنا الذين يهمهم الأمـر فوعظوا وأرشدوا حتى استولوا على البـعض منهم وبهم خدموا الباقين ثـم أعلنوا توبتهم بين يدى العلمـاء وسجلت توبتـهم بشهـادة العدول ورفعت لجـلالة السلطان أعزه الله فـأصدر أمـره بمنع هذه السيـئة فى جـميع البلدان المغـربيـة سنة ١٣٥٢هـ - وصـادف الحال قلوب العـقـلاء من الناس مشرئبة لـقطع هذه المفسدة فانقمع غالب من فى الحـواضر وبقى أهل البوادى على همجيـتهم منتهكين أمر الله ورسوله وأمر السلطان جـانين على الإنسانية أفظع الجنايات وأقـبـحهـا - ونرجـو الله أن تتـوفر الدواعى مـرة ثانيـة على استئصال شأفة هذا الداء الوبيل حـتى تنحسم مادته من جميع الأماكن ويتطهر الإسلام من هذا الخبث الشنيع نطلب الله التوفيق لما فيه رضاه.

الزاوية المنسوبة للشيخ أبى الحسن على بن حمدوش المتوفى سنة ١١٣٥

أسست هذه الزاوية أواسط القرن الثالث عشر الهجرى ولم يكن بها إلا بيت لاطىء حتى صـدر القرن الحالى الهـجرى لما كثر أهل البـدع فيها فـهدم البيت، وبنيت على المنوال الموجود الآن.

وهذه الطائفة سبـيلها سبيل التى قبلهـا قد ارتكبت من الأفعال القبـيحة أفحشها، ومن المناكر الشنيعة أقبـحها - ذلك هو ضربهم رءوسهم بشواقير أو كور حـديد فربما قتل أحدهم نفـسه فيذهب ضـحية الهمـجية. فتـجدهم فى أفضل الأيام خارجين فـى زيهم الشنيع ومزاميرهم يشـدخون الرءوس والدماء تسيل واليهود وغيرهم يضحكون ويسخرون منهم.

وقلوب أهل الإيمان تبكى حسرات على ما ألصق بالدين الإسلامى مما هو برىء منه وعلى الحالة التى بلغ إليها أهله ن الجهل بتعاليمه النقية التى تباين هذا الفعل كل المباينة.

إلا أنهم والحمد لله قد رجع العقلاء منهم وأعلنوا توبتهم على أيدى أهل العلم من بلادنا سنة ١٣٥٢ فسجلت عليهم الشهادة بذلك، ورفعت لجلالة السلطان مع الطائفة العيساوية فأصدر أمره بمنع ذلك فى جميع بلاد المغرب ولقد كانوا أسبق من الطائفة العيساوية إلى التوبة والإعلان بها وفتحوا لها باب الخير جزى الله العقلاء خيراً.

نعم قد وقع الافتيات على الأمر المولوى فى هذه السنة أى سنة ١٣٥٣ - وذلك بجبل زرهون محل خبثهم وشناعتهم فاجتمع هناك الرعاع عملوا موسمهم وشدخوا الرءوس فنلفت جلالة السلطان أعزه الله وأولى الأمر لقطع مادة هذه السيئة وفقهم الله.

زاوية الشيخ أبى عبد الله السيد محمد بن سليمان الجزولى المتوفى سنة ٨٧٠

كان تأسيس هذه الزاوية برباط آسفى على شاطئ البحر أواسط القرن التاسع الهجرى أو صدره وهى محل تعبده - ١٤ سنة وبها كان ظهوره فقصدته الوفود من الجهات الدانية والقاصية حتى اجتمع لديه أزيد من اثنى عشر ألفًا من الأصحاب كلهم نال من معلوماته على قدر مرتبته، لكنه ضاق منه ذرعًا عامل وآسفى المستبد بها حمادى أبى فرحون فقال للشيخ إما أن تخرج عنى أو أخرج عنك، فقال له الشيخ أنا أخرج عنك، ولكن أنت على

أثرى فخرج الشيخ إلى جنوب آسفى، ونزل بلاد أفـوغال من الشياظمة وأقام حتى توفى هناك، وأما القائد فإنه سلط عليه ابن أخيه فعزله من الولاية وقتله غيلة وتلك عاقبة الـظالمين، وهذه الزاوية لا يزال من أثرها بيت بشاطئ البحر برباط آسفى يحفظ اسم خرة الشيخ الجزولى يتبرك به.

الزاوية البدوية المنسوبة للشيخ سيدى محمد العربى المتوفى سنة ١٣٠٩

أسسها المنتسبون إليه برباط آسفى حوالى سنة ١٣٢٥هـ.

المستشفيات المعبر عنها قديماً بالمارستانات

كان بآسـفى مستـشفى لمعـالجة المرضى من آثار الدولة المرينيـة ذكره ابن الخطيب السلمانى فى كتاب نفـاضة الجراب لما دخل آسفى سنة ٧٦١ - حيث قال وفى هذه البلدة المدرسة والمارستان وعليها مسحة من قبول الله، وقال تردد إلى بها صاحب السوق ومقيم رسم المارستـان الشيخ أبو الضياء منير بن أحمد الهاشمى الجزيرى اهـ.

وهذا المستشـفى يظهر أنه من مؤسسـات السلطان أبى عنان المرينى وقد قـال عنه ابن بطوطة فى رحلته أنـه بنى فى جمـيع بلاد المغرب مـارستـانات ويحـتمل أن يكون من تأسـيس والده أبى الحسن، قـال ابن مرزوق أنـه جدد المارستـان بفاس وغيره، وكـان له أعظم اعتناء وقد أحيـا سبيله من بعـده فيه ولده أبو عنان والولد سر أبيه اهـ.

وكان يـوجد بآسـفى فى كل زمان من يتـعاطى هذه المهنة وكـان منهم الطبيب العام والخاص كأطباء العيون ونحو ذلك وآخر من كان يحترف بصناعة الطب من أهل آسفى الطبيب الـسيد أحمد مرحـبو الآسفى الأندلسى الأصل كان له معـرفة بالطب ويد عاملة فيـه جال فى سبيله وساح حـتى أخذه وكان يتجول فى الحواضر والبوادى مدة تعاطيـه وكانت وفاته فى نحو العشرة الثانية من القـرن الحالى الهـجـرى إلا أنه أصاب هذه المهنـة ما أصـاب غيـرها من الانحطاط.

وفى دولة السلطان المولى يوسف بن المولى الحسن رحـمهما الله تأسس المستشفى الأهلى بجنوب رباط اسفى بأعلى هضـبة يقصده الناس من الحاضرة والبادية كمـا يوجد أطباء آخرون بالحاضرة ومنهم من هو مـخصص بالبوادى والأسواق.

الآثار الخيرية والملاجئ

كان بآسفى من هذا النمـط دار الزاوية التى أسسها القائد عـبد الرحمن ابن ناصر العـبدى الجرمونى قرب داره برباط آسـفى مشتملة علـى عدة بيوت وثلاث ماجلات (نطافى) للمـاء وبجانبها فندق الدواب وكان فـراغه منها يوم الخميس رابع عشر ذى القـعدة سنة ١٠٢٦هـ ورتب المؤنة فيها للزوار والوراد فكانوا يجدون فيها الإسعافات الكافـية لهم ولا يزال رسمها محفوظًا إلا أنها تطورت بها الأحوال فاستحالت إلى أماكن أخرى.

محل الطيور الساقطة

من آثاره أيضًا محل كان اتخذه لإيواء الطيور المريضة وغيرها التى توجد ساقطة فيؤتى بهـا إليه فتطعم وتسقى وتعالج بما يناسبهـا حتى تصح فتطير أو تموت فتستريح.

أوقاف المساجد والمدارس

من مفـاخر الإسلام وأهله: الأموال الموفـرة والمرصدة لتأسـيس المعاهد الدينية والمـدارس العلمية وإصـلاحها وتـرميمـها والتى يرزق منهـا الموظفون الدينيون والمدرسون وغيرهم، ممن يقوم بمصلحة دينيـة أو اجتماعية، وقد كان لهذا البلد من ذلك الحظ الأوفر الذى يقـوم بأود معاهده إلا أنه بغاية الأسف اندثر ذلك بتوالى النوائب وأعظمـها داهية البرتغـال التى أتت على كل المعالم الدينية والأثرية ولما انصرفوا عنه ابتدأت الآثار الوقفية تنتـعش شيئًا فشيئًا وقد ظلت على ضعفها قائمة بقسط من الواجب حتى أنها لضآلتها اضطر السلطان سيدى محـمد بن عبد الله العلوى أن يرد عليها أوقـاف السور، وأن ينفذ لها إعانة سنوية من أوقاف مراكش - ١٢ قنطارًا من الزيت - وأصدر بذلك كتابًا مؤرخًا بـ ١١٧٧هـ.

ولما تولى أمر آسفى القائد السيد عبد الرحمن بن ناصر العبدى الجرمونى اجتهد فى إمدادها وتقويتها فاشترى كثيراً من الدور والعقار وحبسه عليها وقد عثرت على دفتر صائر أحباس المسـاجد بعد وفاته بسنتين فإذا هو يحتوى على أكثر من ثلاثمائة ملك ما بين دار وحانوت وعقار وكانت محولة أوقافه مكتوبة

مذهبة إلا أنها فى الأيام الأخيرة امتدت لها يد الاختلاس فلم يوفق لها على أثر. ويوجد الآن بها على إحصاء سنة ١٣٤٣هـ ٧٥٠ ملكًا.

أوقاف السور والمحارس

كان بآسفى أملاك مرصدة لمصلحة سورها ومحارسها وغير ذلك مما يرجع لتحصين البلاد وصيانتها. ولست أدرى أوليتها إلا أنها وليدة ما بعد القرن العاشر الهجرى، وكانت فى الدولة الإسماعيلية لهم قيم يقوم بتنيمتها وحفظها وينظر فى ترميم الأسوار والمحارس وعلى رغم كون السلطان سيدى محمد بن عبد الله أصدر أمره سنة ١١٧٧ بضمها لأوقاف المساجد فقد استمرت إدارتها مستقلة إلى حوالى سنة ١٢٧٠هـ.

وآخر من كان قيمًا عليها أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشفورى رحمه الله. والغالب عليها أنها أضيفت لأوقاف المساجد والله أعلم.

أوقاف الغرباء

كان بآسفى ملك بحومة النجارين للغرباء الذين تقطعت بهم الأسباب، وذلك صدر القرن الثالث عشر الهجرى ولست أدرى ما فعل الله به.

الآثار القديمة

يوجد بآسفى دار السلطان بالقصبة العلياء وهى دار ملوكية واسعة الأرجاء شامخة الأركان جاءت بفضل موقعها مشرفة على المدينة والبحر، كما أنها آخذة من البر حسن البهجة والمنظر.

ويظهر أنها قديمة جداً كانت موجـودة فى منتصف القرن الثامن الهجرى إلا أنها خربها البـرتغال فيما خربوا من المدينة لما أخلوها وأوقدوا فـيها النيران ثم أسسها المـلوك السعديون ويغلب على الظن أن مؤسسهـا منهم هو أبو عبد الله محمد الشيخ المهدى حوالى منتصف القرن العاشر الهجرى لأنه الذى عمر آسفى ورد إليه أهله وبالضرورة يبنى به هذه الدار الملـوكية المعدة لنزول الأمراء والسلاطين.

وكان بعد ذلك الملوك يتعاهدونها بالإصلاح كالسلطان سيدى محمد بن عبـد الله العلوى فإنه نزلها لما كـان خليفة عن والده بهـذه النواحى، وكذلك نزولها ولده المولى هشام لما كان خليفة عن والده وفى إمارته بعد على الحوز، فخلد بهـا آثاراً منها داره المعروفـة بالباهية وأودعـها من النقش والتخـريم ما يجذب القلوب وتستـحسنه الطباع وله المتنزه العالى المشرف علـى البحر والبر وتوجد بهـا أماكن عـديدة ودور واهرية وغيرها مما هو مـن ضروريات الملوك وفى وسطها مسجد من محدثات ذلك العصر.

وفى دولة السلطـان المولى يوسف رحـمـه الله سنة ١٣٣٠هـ أو بعـده اتخذتها المراقبة محكمة لها وأدخلت عـليها إصلاحات وتغييرات لكن لم يعم الإصلاح جميعها، بل كان خاصاً بما تتوقف ليه ضرورية المراقبة ولذلك انهدم منها الركن الشـمالى صبيحـة يوم الجمعة ٢٥ مـحرم سنة ١٣٤٧هـ فكان من آفاته سقوطه على دار مات فيها ثلاثة من الصبيان فانتقلت عنها المراقبة وظلت تخفق فى مصارعها الرياح وتعبث بالباقى منها يد الإهمال والإغفال فانطمس كثير من محاسنها إلى أن التـفتت إليها إدارة الآثار القديمة فأعادت ذلك الركن ورممت الباقى فانتقلت إليها المراقبة بعد ذلك سنة ١٣٥٢هـ.

ومن آثارها الكنيسة البـرتغالية بداخل المدينة وهى كنيسة عجـيبة الصنع محكمة الوضع أسسها البرتغاليون صـدر القرن العاشر الهجرى بعد احتلالهم هذه المدينة فأسسوها على أنقاض المسجد الإسلامى الكبير بعد ما عاملوه بغير ما نوع الإهانة واتخذوا منـاره مناراً للكنيسة يضرب عليه نـاقوسهم وهو المنار المجود اليوم للمسجد الكبير الإسلامى.

ولما استرجع المسلمون البلد استحالت هذه الكنيسة إلى حمام جزاء وفاقا عرف بحمام البـويبة (تصغير باب) لن بقى مع ذلك رسمهـا محفوظًا لم يقع أدنى تغيير فى جوهرها.

وقد استخلصتها إدارة الآثار القديمة سنة ١٣٤٦هـ وعوض لملاكها بحمام آخر.

ومن الآثار رحى الريح أمـا رباط آسفى فى أعلى ربوة غـاية فى الإتقان وكانت مستخدمة فى الطحن إلى حوالى مـنتصف القرن الثالث عشر الهجرى أو بعده بقليل تحت إدارة الأوقاف ثم أهملت وبقى رسمـها محفوظًا إلى الآن ويمكن أن تكون للبرتغاليين أو للملوك السعديين وهى تحت يد إدارة الآثار.

ومنها القصـبة السفلى البرتغـالية على البحر والأسوار والمحـارس وغير ذلك مما أسلفناه.

مشاهير بيوتات آسفى

بيت الشرفاء الوزانيين

أوليتـهم: أول قادم منهم الشـريف الأصيل ذو المجد الأثـيل أبو العلاء مولاى إدريس ابن مولاى التهـامى الحسنى الإدريسى اليملحى الوزانى، وكان قدومه بعـد وفاة والده سنة ١١٢٧ فتـزوج بآسفى وترك زوجه حامـلاً وسافر لوازان فوافـاه هناك الأجل المحتوم فـولد له الشريف الغطريف سيـدى مولاى عبد الرحمن كان من جلة الأشراف خرة عـن آسفى مغاضبًا لأهل سفى ونزل جنوبهـا حـيث ضريـحه الآن بالزاوية الـواصلية وكـانت وفـاته حـوالى سنة ١٢٠٠هـ وقـد خلف أربعة أولاد سـيدى مـحمـد ومولاى إدريس ومـولاى التهامى ومولاى الصديق وكلهم عقبوا إلا الأخير.

وقد درج فيـهم عدة رجال أعيـان منهم الشريف النقيب البركـة سيدى محمـد بن عبد الرحمن المدعـو المقدم المتوفى سنة ١٣١١هـ، وأخـوه الوجيه الفاضل السرى سيدى عبد السلام المتوفى سنة ١٣١٩. وولداه النجيبان مولاى إدريس بن عبـد السلام والقائد الأجـل الشريف سيـدى عبد الرحـمن عامل الأغياث من عبدة بارك الله فيهما.

والشـريف الوجيـه ذو المكارم الغزيرة والشـيم الحمـيدة السـيد أحـمد الشريـف المتوفى سنة ١٣٠٩ عن عـدة أولاد منهم عامل آل عـامر من عـبدة سابقًا الشريف السيد محمد العربى وسيدى علال وغيرهم.

والفقيه النبيه سيدى محمد بن علال أحد وجهاء هذا البيت السامى الآن وفقه الله.

والشريف البركة أبو العلاء سيدى إدريس بن عبد الرحمن كان من مفاخر الأشراف توفى حوالى سنة ١٢٥٠ . وولده الشريف الأطهر السيد عبد الرحمن بن إدريس المتوفى سنة ١٢٨٩ . والشريف الوجيه السرى النبيه سيدى مولاى إدريس بن عبد الرحمن المتوفى سنة ١٣٢٥ عن عدة أولاد فضلاء منهم شيخ الزاوية الشريف المفضال سيدى محمد بن إدريس بارك الله فيه ووفقه .

بيت الشرفاء أولاد الناظر

أوليتهم : جامع شعبهم هو الفقيه العلامة الصالح الإمما البركة أبو الفضل وأبو يعقوب سيدى يوسف بن عبد الصمد الحسنى الإدريسى من أهل القرن الثامن الهجرى وعليه قبة بآدار من وسط بلاد الشياظمة وقد خلف عدة أؤلاد منهم السيد الحسن والسيد بوجمعة والسيد أبو القاسم والسيد إبراهيم .

وقد استوطن آسفى منهم الشريف السيد مبارك بن الحسن وترك بها بنيه فاستقرت فيهم خطة الحسبة حتى اشتهروا بها .

من أعيانهم الشريف الأجل الفقيه الوحيد أبو عبد الله السيد محمد بن عبد الله المحتسب الحسنى كان أحد الأعيان الأماثل من أصحاب الشيخ أبى العباس ابن ناصر توفى سنة ١١٥٩هـ. والفقيه الخطيب الإمام السيد الطاهر ابن إبراهيم المحتسب الحسنى المتوفى سنة ١٢١٤هـ.

ولده الفقيه العدل الوجيه أبو إسحاق السيد إبراهيم بن الطاهر الحسنى تدرج فى عدة خطط كالعدالة والحسبة والنظر فى الوقف توفى سنة ١٢٦٤ .

والفقيه المفتى البارع السيد الهاشمى بن الطاهر الحسنى المتوفى سنة ١٢٧٢هـ، ويوجد الآن من أعيان هذا البيت الشريف الفاضل العدل النزيه الموثق السيد إبراهيم بن أحمد الناظر به عرف الحسنى. والشريف الخير الدين السيد إبراهيم بن الهاشمى الناظر الحسنى، والشريف الوجيه أبو المواريث السيد عبد الرحمن بن الطاهر الحسنى، والشريف البركة الناسك السيد الحاج عباس ابن الحاج محمد بن إبراهيم وغيرهم حفظهم الله.

بيت الشرفاء الآمغاريين

جامع شعبتهم الشيخ سيدى محمد آمغار الكبير وأول من استوطن منهم آسفى الشريف البركة سيدى الوافى بن سعيد أواسط القرن الثانى عشر الهجرى، وتوفى باسفى وعليه قبة أمام باب الشعبة ولده الفقيه البركة القاضى نيابة أبو عثمان سيدى سعيد بن الوافى كان أحد الأعيان والوجهاء عدلاً فاضلاً واعظًا تولى نيابة القضاء وتوفى سنة ١٢٥١. والفقيه الخطيب الناسك أبو عبد الله سيدى محمد بن عبد السلام الحسنى المتوفى سنة ١٣١٣هـ.

والشريف الهمام الوجيه سيدى الحاج لطاهر بن إدريس كان من أعيان الأشراف متوظفًا عدلاً بمرسى آسفى ونقيبًا على الشرفاء بسايس وآسفى وتوفى سنة ١٣٣١. ولده الشريف الأشهر الوجيه الأظهر سيدى محمد بن الطاهر تولى النقابة بعد والده، ثم تولى قيادة أولاد بوعزيز الغربية سنة ١٣٣٨ - إلى الآن وهو حفظه الله من مفاخر الأشراف له خزانة كبيرة من مختلف الدفاتر، والشريف الغطريف الأمين الوجيه سيدى محمد بن إدريس تولى الأمانة بمرسى آسفى والصويرة ثم الحسبة بآسفى أيضًا وتوفى بها سنة ١٣٢٥.

بيت الشرفاء الوحيديين

جامع شعبتهم الشريف سيدى عبد الواحد بن أحدم الحسنى دفين تغبة على شاطئ البحر جنوب آسفى، وقد خلف أربعة أولاد: سيدى محمد صولة وسيدى عبد الصادق وسيدى أحمد وسيدى عبد الرحمن ولا زال أعقابهم بالموضع المذكور عدا الأخير، فقد انقرض عقبه فى عصرنا حوالى سنة ١٣٤٠.

وقد استوطن آسفى عدة أفراد من أولاد سيدى عبد الصادق أواسط القرن الثالث عشر الهجرى.

من أعيانهم الفقيه العلامة الوجيه السيد علال بن الحسن العزبه عرف الحسنى ثم الآسفى المتوفى سنة ١٣٠٣هـ عن ولده الشريف الوجيه السيد محمد بن علال المدعو بابن التوبة حفظه الله.

والفاضل الأستاذ العدل السيد عمر بن الحسن العز المتوفى سنة ١٣٠٢هـ عن ولده الفقيه العدل الوجيه الفاضل السيد الحاج محمد بن عمر حفظه الله.

والفاضل البركة السيد علال بن المحجوب المتوفى سنة ١٣٤٦ عن ولديه الشريفين السيد أحمد والسيد عبد الرحمن من خيار الناس حفظهما الله.

والشريف البركة الصالح السيد محمد بن المحجوب المتوفى بأولاد سلمان حوالى سنة ١٣٢٥ عن ولديه الفاضلين السيد حجوب الذى بأولاد سلمان والسيد مولود الذى بآسفى كلاهما من خيار الناس ديانة وفضلاً حفظهما الله.

بيت الشرفاء أولاد مولاى الحاج

جامع شعبتهم الشريف سيدى عمرو بن زكريا بن أبى بكر الهرغنى السوسى الإدريسى وأول قادم منهم على آسفى أواسط القرن الحادى عشر الشريف السيد عبد الله بن محمد بن أحمد المدعو البغال.

ويوجد الآن من أعيانهم الشريف الفقيه المدرس أبو عبد الله الحاج محمد بن إدريس المدعو بابن مولاى الحاج أحد المدرسين بآسفى حفظه الله ووفقه.

بيت الشرفاء البوعنانيين

من أعيانهم الشريف الغطريف ذو المكارم الغزيرة مولاى على بن محمد ابن عباس بن مسعود البوعنانى المتوفى سنة ١٣٢٨ عن ولديه الفاضلين السيد الحاج محمد، والفقيه النبيه مولاى محمد حفظهما الله.

والأخوة الفضلاء السيد محمد والسيد عمر والسيد أحمد أبناء سيدى عمر البوعنانى من خيار الأشراف وفضلائهم حفظهم الله.

بيت الشرفاء أولاد مولاى التهامى كديمات

من أعيانهم الشريف المفضال الوجيه مولاى التهامى بن إدريس المدعو كديمات كان من سمحاء الأشراف وكرمائهم المتوفى عن أولاده الثلاثة الأخيار سيدى محمد وسيدى إدريس وسيدى أحمد حفظهم الله.

بيت أولاد ابن المدنى

جامع شعبتهم الشريف سيدى ثابت بقبيلة سماتة وأول قادم منهم على آسفى الشريف الحاج عبد الملك بن عبد الرحمن آخر القرن الحادى عشر، ويوجد الآن من ذريته الشرفاء الأخوة الأفاضل السيد عبد الرحمن والسيد إدريس والسيد محمد أبناء السيد المدنى بن عبد الرحمن بن المدنى حفظهم الله.

بيت بنى القاضى أولاد ابن حمُّ

أوليتهم من بلاد سكسيوة يرفعون نسبهم للمولى إدريس وكانت فيهم خطة القضاء قديمًا فعرفوا به.

أول نازل منهم آسفى أواخر القرن الماضى الشريف البركة السيد حم دن محمد الحسنى السكسيوى ثم الآسفى المتوفى به عن ولديه الفاضلين السيد محمد المتوفى سنة ١٣٤٣ عن أولاده السيد أحمد والسيد الطاهر والسيد عبد الملك أصلحهم الله.

والفقيه النبيه الميقاتى النحوى السيد علال بن حم من خيار الناس فضلاً وعلمًا وفقه الله.

بيت الشرفاء الدرقاويين

جامع شعبتهم الشريف الولى الصالح سيدى محمد بن يوسف الحسنى المدعو بأبى درقة المتوفى شهيداً مع السلطان يعقوب المنصور بالأندلس أواخر القرن السادس المدفون بتامسنا.

وأولاده فى عدة مواضع كانوا بآسفى قديمًا وبهم عرف درب درقاوة، ثم انتقلوا عنه ونزلوا القليعة شمال آسفى وعلى مقربة منه.

بيت الشرفاء أولاد أعطار

نشأ هذا البيت السامى بسوس الأقصى وتدرج فى الخطط السمية فى الدولتين السعدية والعلوية.

واسطة عقدهم الشريف أبو عثمان سعيد بن إبراهيم الحسنى فوض إليه السلطان أحمد المنصر السعدى أمر سوس الأقصا حربيًا وخراجيًا وغير ذلك، وكتب له كتابًا بذلك طويل الذيل عظيم الأهمية ملأه بالثناء عليه بتاريخ سنة ٩٩٢هـ. والقائد الأجل الوجيه الفقيه السيد الحاج على بن عبد الله أعطار الآسفى الدار كان من الملحوظين لدى السلطان سيدى محمد بن عبد الله ولاه أمر قبيلة بنى مسوان - فرقة من بنى تامر من حاحة - وسوغه خراجهم وزكاتهم وسائر لوازمهم بالكتاب المؤرخ بـ٨ شوال.

وله منه ظهير آخر له ولإخوانه بالتوقير والاحترام بتاريخ ١١٥٩.

وكانت وفاته أوائل سنة ١١٦٤. والقائد الأجل أبو عثمان سعيد بن محمد بن حدو أعطار المتوفى قبل سنة ١١٣١. والشريف الأصيل البركة السيد المدنى بن محمد أعطار الآسفى كان بآسفى، ثم انتقل عنه لعزيب له حوز آسفى بقبيلة الربيعة وتوفى هناك سنة اثنين وثمانين ومائتين وألف عن ولده الإبر الشريف الأنور الذاكر الوجيه ذو الزعامة السيد الحبيب بن المدنى كان من خيار الناس فضلاً دينًا وزعامة وفتوة. توفى رحمه الله سنة ١٣٤٦

عن عدة أولاد منهم الأديب الفاضل السيد محمد والسيد أحمد والسيد العربى وفقهم الله.

ومنهم الفقيه الوجيه مولاى الطاهر بن أحمد بن الحاج الطاهر بن محمد أعطار من فضلاء هذا البيت ونجبائه وأحد عدول آسفى وأمين الأملاك المخزنية بعبدة حفظه الله وفقه.

وتوجد بيوتات أخرى كـأفراد من العلويين، ومن أولاد الهوارى النازلين بآل غياث ثم بآسفى البعض منهم وأولاد سيـدى عبد الرحمن بن مسعود من حاحة وأفـراد من الشرفاء البوسـعديين الذين بحاحة وأولاد اكـدى من شرفاء العلم نزلوا الجرامنة والبعض منهم بآسفى.

ويوجد غيرهم ممن ينتسب لهذا الجناب النبوى ممن لم طلع له على حجة كأولاد الجبلى من العلمـيين وأولاد ابن عبود وأولاد ابن رقيـة من السليمانيين وغيرهم.

بيت الشيخ أبى محمد صالح الماجرى

هذا البيت من أعظم البيوتات قدرًا تعـدد رجاله وفضلاؤه وقد أفردناهم بتأليف سميناه البدر واللائح من مآثر آل أبى محمد صالح فلا نطيل بهم هنا.

بيت أولاد ابن الكاهية

أولية هذا البـيت من دكالة أولاد ميمـون كما فى رسومـهم القديمة من أعيانهم الكاهية بلا بن محمد الميمـونى الدكالى الآسفى، كان متوليًا النظر فى

أوقاف السور فى الدولة الإسماعيلية، ثم تولاها ولده الكاهية محمد بلا، ثم تولاها الكاهية عبد الله بن سعيد بن عبد الفضيل بن بلا بن محمد عامل آسفى بعدها المتوفى سنة ١١٨٤ - والقائد محمد بن الكاهية أحمد المدعو حمدان بن عبد الفضيل عامل آسفى والصويرة وعبدة المتوفى سنة ١٢٣٤ - والقائد الطيب بن محمد بن عبد الله بن سعيد كان من أكابر العمال فى دولة المولى عبد الرحمن. تولى أمر آسفى مدة طويلة وتوفى سنة ١٢٥٥، ويوجد الآن من فضلائهم صاحبنا الفقيه الميقاتى السيد محمد بن محمد ابن القائد الطيب المذكور، تميز بالعلوم الفلكية، وشارك فى غيرها والفاضل التاجر السيد عبد القادر بن محمد والأديب الفاضل السيد محمد بن أحمد وغيرهم وفقهم الله.

بيت أولاد ابن هيمة

أوليتهم من مراكش. وأول قادم منهم على آسفى التاجر الأرضى الحاج المحجوب بن عبد السلام بن هيمة وأخوه الحاج إبراهيم، وكانت وفاة الأول سنة ١٢٣٤ عن عدة أولاد من أعيانهم الفقيه العدل السيد محمد المتوفى عن ولده التاجر القائد الأشهر السيد الطيب بن محمد بن هيمة، كان من مشاهير التجار وتولى أمر آسفى وخطة الأمانة بالمرسى والسفارة لألمانيا فى دولة المولى الحسن وكانت وفاته سنة ١٣٠٢.

ولده الفقيه القاضى العلامة أبو عبد الله السيد محمد بن الطيب تولى قضاء آسفى وخطة الحسبة وغيرها، وتوفى سنة ١٣٠٢ عن أولاده الفقيه المحتسب الفاضل السيد عبد الله. ووكيل الغياب السيد عبد الرحمن حفظهما الله، والفقيه العلامة النبيه أبى العلاء السيد إدريس المتوفى سنة ١٣٤٠.

والقائد الأجل الدمث الأخلاق السيد عبد الخالق بن الطيب بن هيمة، تولى أمر آسفى بعد والده وكان من خيار العمال وتوفى سنة ١٣١١ عن ولده الأديب العدل الفاضل السيد عبد السلام أحد عدول المنجرة الآن، وعامل آسفى وطنجة السيد حمزة ابن الطيب بن هيمة، تولى أمر آسفى بعد أخيه، ثم تولى طنجة وتوفى سنة ١٣٥١.

بيت الوزانيين

أوليتهم من وازان من مدشر القشريين ونسبهم على ما عندهم من عرب صبيح أول قادم منهم على آسفى الأستاذان الفاضلان السيد عبد السلام والسيد أحمد ابنا السيد عبد الله بن الحاج.

من أعيانهم الرجل الشهير الطائر الصيت فى الوجاهة والكرم والسيد الحاج عبد الملك بن عبد السلام الوزانى تولى عدة خطط فأحسن إدارتها وتوفى سنة ١٣٣٠ عن عدة أولاد منهم الفقيه العلامة الوجيه القاضى نيابة السيد الحاج عبد السلام ابن الحاج عبد الملك من خيار الناس علمًا وفضلاً ودينًا وولده الفاضل العدل النجيب السيد أحمد من نجباء الأبناء حفظهما الله.

والفقيه الأجل الوجيه الأمثل قائد الربيعة من عبدة السيد الحاج عبد الله ابن عبد الملك أحد العمال الموصوفين بالسيرة الحسنة حفظه الله.

والفقيه البركة أبو عبد الله السيد محمد بن عبد الملك المتوفى سنة ١٣٥١ رحمه الله.

والفاضل الوجيه الحاج الطاهر بن عبد عبد السلام ناظر أوقاف المساجد المتوفى سنة ١٣٤٥ عن ولده الفاضل الفلاح السيد أبى بكر حفظه الله.

والفاضل المثرى الشهير السيد الحاج الطيب بن عبد السلام المتوفى سنة ١٣٤٤ عن ولديه الفقيه الخطيب العدل السيد محمود الفلاح السيد أحمد حفظهما الله.

والفاضل الوجيه العدل الحاج محمد بن أحمد بن عبد الله الوزانى أحد الأعيان تولى العدالة بمرسى الصويرة وتوفى بها سنة ١٣٠٨ عن ولده السيد الحاج أحمد حفظه الله.

بيت الشقوريين

أوليتهم من شقورة مدينة بالأندلس انجلوا عنها بعد استيلاء الإسبان على كامل الأندلس.

من أعيانهم: الناظر الشهير الحاج عبد القادر ابن الحاج عبد الرحمن الشقورى. تولى النظر فى أوقاف المساجد دهرًا طويلاً وتوفى سنة ١٢٣٠ عن سن عالية، ولده الوجيه الناظر الحاج عبد الله بن الحاج عبد القادر تولى عدة خطط كالحسبة والنظر فى الأوقاف والخلافة عن عامل آسفى وتوفى سنة ١٢٥٨ - ولده الوجيه الفاضل السيد محمد ابن الحاج عبد الله أحد الأعيان، تولى النظر فى أحباس المساجد والسور وتوفى سنة ١٢٩٠ عن عدة أولاد فضلاء منهم السيد الحاج أحمد والسيد عبد السلام وغيرهم وفقهم الله.

والفقيه العلامة السيد بناصر بن الحاج عبد الله الشفورى كان أحد أعلام الفقهاء تولى العدالة والفتوى ونيابة القضاء وتوفى سنة ١٣٠٥ عن ولديه الفقيهين السيد محمد المتوفى سنة ١٣٣٨. والسيد عبد الله المتوفى سنة ١٣٣٣

- الأول عن التاجر السيد الطيب والسيد أحمد والسيد محمد والثانى عن السيد عبد القادر والسيد عبد الرحمن وغيرهما، والأستاذ البركة السيد محمد ابن عبد النبى ابن الحاج عبد الله أحد أساتذة القرآن توفى سنة ١٣٢٤ عن عدة أولاد كالفاضل السيد عبد النبى والفلاح الحاج محمد وغيرهم.

والفاضل العدل السيد الحاج أحمد بن عبد الخالق بن أحمد ابن الحاج عبد الله من عدول المنجرة ومن ذوى الأخلاق الفاضلة وفقه الله.

بيت أولاد الركوش

أوليتهم من الأندلس ولا يبعد أن يكونوا من حصن أركش بأحواز إشبيلية خرجوا إثر الكائنة.

من أعيانهم الفقيه العلامة القاضى أبو عبد الله السيد محمد بن على الركوش تولى قضاء آسفى دهراً وتوفى حوالى سنة ١٢١٤.

والفاضل العدل الفرض المثرى أبو عبد الله السيد محمد بن على المتوفى سنة ١١٨٢ عن ولده التاجر الأشهر الحاج الحسن بن محمد بن على كان عقد شركة تجارية مع والده وكان يرحل لبلاد أوروبا لجلب البضائع وغير ذلك وتوفى سنة ١١٩٩.

وأخوه المثرى الحاج عبد الرحمن بن محمد بن على المتوفى سنة ١٢٠٠.

والفاضل المحتسب الحاج محمد ابن الحاج الهاشمى ابن الحاج عبد الرحمن أحد الفضلاء الأعيان تولى حسبة آسفى مدة وتوفى سنة ١٣٢٤ عن

ولديه الفقيه المدرس العدل السيد الحاج الهاشمى والعدل السيد علال وفقهما الله.

ومن فروع هذا البيت: الصانع المجيد فى النجارة الحاج محمد ابن الحاج المكى بن الطيب ابن الحاج عبد القادر الركوش المدعو سطاعش كان أحد النبغاء فى النجارة والنقش والتخريم وقد أودع آثار صنعته فى قبة الشيخ أبى محمد صالح وفى دور الأمراء والقواد وتوفى سنة ١٣٢٩ عن ولده الأديب الفاضل السيد أحمد وغيره حفظهم الله.

بيت أولاد الحكيم

أوليتهم من عبدة من مفاخر هذا البيت بل من مفاخر الإسلام الفقيه العلامة المشارك الصالح السيد البشير بن الطاهر بن الطيب الحكيم المتوفى سنة ١٢٩٦.

وأخوه الفقيه العلامة المفتى أبو العباس السيد أحمد الحكيم المتوفى سنة ١٣٢٩ عن عدة أولاد منهم الأديب السيد عبد السلام حفظهم الله.

والفاضل البركة السيد عبد القادر بن الطاهر الحكيم المتوفى سنة ١٣٤٥ عن عدة أولاد فضلاء كالتاجر المثرى السيد الطيب والسيد البشير والسيد محمد وفقهم الله.

والتاجر الأرض الدين الفاضل السيد الحاج عبد الرحمن بن الطاهر الحكيم أحد الفضلاء الأعيان حفظه الله.

والمرحوم التاجر الفاضل السيد محمد بن الطاهر الحكيم المتوفى سنة ١٣٥٠ عن عدة أولاد أصلحهم الله.

بيت أولاد ابن عبد الخالق

من أعيانهم الفقيه العلامة القاضى السيد عبد الخالق بن إبراهيم الحجام به عرف تولى قضاء آسفى فاتضحت نزاهته وتوفى سنة ١٢٣٤. ولده الفقيه القاضى أبو عبد الله السيد محمد بن عبد الخالق المتوفى سنة ١٢٨٦. ولده العدل الفاضل السيد أحمد المتوفى سنة ١٣٥١ عن ولديه التاجرين الفاضلين السيد محمد والسيد عبد الخالق وفقهما الله.

والأمين العدل السيد أحمد بن الحاج إبراهيم الحجاج كان عدلاً وأمين المستفاد بآسفى وكانت وفاته حوالى سنة ١٢٤٠. والوجيه الأمين العدل السيد محمد بن إبراهيم كان أحد الأمناء وكان موظفًا بالصويرة وبها توفى سنة ١٢٣٤.

ويوجد الآن من ذريته الأستاذ السيد المعطى بن محمد بن محمد بن محمد المذكور حفظه الله.

بيت المطاعيين

أوليتهم من قبيلة أولاد مطاع من أعيانهم الفقيه العدل الواعظ السيد أحمد بن محمد المطاعى كان حيًا سنة ١١٥٧. وأخوه الفقيه العدل السيد العياش بن محمد المطاعى المتوفى قبل التاريخ المذكور.

والفقيه الأعدل السيد أحمد بن أبى جمعة المطاعى المتوفى قبل سنة ١١٦٠. والفقيه العلامة الورع المدرس النفاع السيد عبد الرحمن ابن الحاج الحسن المطاعى المتوفى سنة ١٣٤٧ - وأخوه الفقيه العدل الواعظ السيد أحمد ابن الحاج الحسن المطاعى حفظه الله.

بيت أولاد واعزيز

من أعيانـهم الفقيه البـركة الواعظ المرشد السيـد محمد ابن الحـاج عبد العزيز المدعو واعزيز بن عبيد الجرطى المتوفى سنة ١١٨٦ - ولده الفقيه السيد أحمد المتـوفى حوالى سنة ١٢٢٠ - والأمين الفاضل السيـد أحمد بن الطيب ابن محمد واعزيز أحد أمناء مرسى آسفى سنة ١٢٧٨.

بيت أولاد الكراوى

أوليتـهم من عرب الرحامنة، من أعيـانهم الفقيـه العلامة المفتى السـيد أحمد المدعو حيدة بن عبد الله بن المهدى بن عبد السلام كراوا أحد البعثة التى أرسلها المولى عبد الرحمن لأوروبا لأخذ الهندسة وكانت وفاته سنة ١٢٩٣ - وأخوه الناظر الأجل السـيد المهدى بـن عبد الله كراوا تـولى النظر فى أوقاف المساجد وتوفى سنة ١٣١٦ - والتاجـر الشهير المثرى السيد أحمـد بن محمد ابن الحاج المجوب بن المهـدى كراوا أحد الأعيان المشاهير وذو الـثروة واليسار توفى سنة ١٣٤٢ عن ولديه الشهيرين السيد محـمد خليفة باشا آسفى والسيد الحاج عبد الله أحد مشاهير التجار حفظهما الله.

ومن أعيانـهم التاجر الشهـير السيد عبـد الرحمن بن محـمد ابن الحاج المحجوب أحد أعيان التجار كـان ذا بخت فى التجارة ومعرفة بإدارتها. توفى سنة ١٣٢٨ عن ولديه الأديبين السيد محمد والسيد المهدى وغيرهما.

بيت الباعمرانيين

أوليتهم من قبيلة آيت باعمران حوز طرفانة من سوس الأقصا ثم من آيت سمور ثم من بنى الجزولى ثم من بنى على.

من أعيانهم الفقيه العلامة مفتى الديار الآسفية وحامل راية العلم بها السيد محمد بن على الباعمرانى المدعو السحيمى المتوفى صدر القرن المنصرم.

والفقيه العلامة الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الباعمرانى الاسمورى المتوفى بعد سنة ١٢١٤.

ولده الفقيه المفتى الحائز رئاسة الفتوى أبو عبد الله محمد بن محمد الباعمرانى المتوفى سنة ١٢٧٢.

ولده الفاضل الأمين السيد أحمد بن محمد الباعمرانى تولى الأمانة بمرسى آسفى سنة ١٢٧٣.

ولده الفاضل العدل الدمث الأخلاق السيد الطيب بن أحمد الباعمرانى أحد العدول الفضلاء بارك الله فيه.

بيت أولاد ابن الهوارى

أوليتهم من بنى عروس من جبل العلم. أول قادم منهم على آسفى صدر القرن الماضى السيد محمد العروسى.

من فضلائهم الحاج محمد بن محمد بن الهوارى اسما بن محمد العروسى كان من ذوى الديانة والفضل، وكانت وفاته سنة ١٣٢٨ عن عدة أولاد منهم محتسب آسفى وعامله السيد عبد القادر بن الحاج محمد بن

المتوفى سنة ١٣٤٧ - والفاضل المهندس السيد محمد ثالث ثلاثة بعثهم السلطان المولى الحسن لباريز لتعلم الهندسة وغيرها فكان أنجب تلك الحلبة وتوفى سنة ١٣٣٤.

والفاضل الدين السيد الحسين والتاجر الشهير السيد عبد الرحمن أبناء الحاج محمد المذكور حفظهما الله.

بيت أولاد ميتة

أوليتهم من الأندلس من أعيانهم الأستاذ البركة السيد المحجوب ابن محمد بن الغالى ميتة أنجب عشرة أبناء أقرأهم كتاب الله بنفسه كان من أعيان العشرة الفقيه العدل السيد محمد بن المحجوب تولى القضاء نيابة عن قاضى آسفى وتوفى بعد سنة ١٢٥٧.

والفقيه العلامة المدرس أبو العلاء السيد إدريس بن الحاج بناصر بن محمد بن المحجوب ميتة وفقه الله.

ومن فروع هذا البيت أولاد فينو.

بيت أولاد الدمنى

أوليتهم من نواحى دمنة قلعة كانت على مسير يوم من القصر الكبير.

من أعيانهم الفقيه الوجيه الرئيس الشهير السيد المعطى بن عبد الله الدمنى المتوفى سنة ١٢٦٦.

والعدل الفرض الحيسوبى السيد أحمد بن الحاج الطيب بن المهدى الدمنى المتوفى سنة ١٣٤٨ عن عدة أولاد منهم السيد الطاهر وفقه الله.

والفقيه الفاضل العدل السيد علال بن الغالى الدمنى وأخواه التاجر السيد المعطى وغيرهم وفق الله الجميع.

بيت أولاد حدادو

أوليتهم من تطوان كانوا يترددون لآسفى فى سبيل التجارة ولما كانت وقعتها سنة ١٢٧٦ - انتقلوا إليها واتخذوها داراً.

منهم التاجر الأرضى البركة السيد الحاج المهدى بن محمد بن أحمد حدادود اتجر بأزمير من تركيا وغيرها وأخيراً ألقى عصا التسيار بآسفى وتوفى سنة ١٢٨٢ عن عدة أولاد منهم التاجر الخبير بإدارة التجارة السيد محمد أحد التجار الذين جابوا فى سبيلها الأقطار وركبوا البحار وأخيراً ولاه المولى الحسن خطة الأمانة بعدة مراسى من المغرب وتوفى سنة ١٣٢٨.

والناسك البركة السيد أحمد ابن الحاج المهدى أحد الناسك الفضلاء، توفى سنة ١٣٣٦ عن عدة أولاد منهم الفاضل السيد محمد وغيره أصلحهم الله.

والفاضل الأخير السيد الحاج عبد الكريم بن المهدى أحد الفضلاء الأخيار توفى بالصويرة سنة ١٣٣٠ عن عدة أولاد من أعيانهم السيد محمد وفقهم الله.

بيت أولاد الغماز

أوليتهم من الأندلس من أعيانهم الفاضل الحاج عبد الرحمن بن قدور الأندلسى الآسفى المتوفى سنة ١١٩٩.

ويوجد الآن منهم الفقيه العدل الرضى أبو عبد الله السيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدور الأندلسى أحد العدول المرضيين الآن، وابن عمه الفقيه الكتبى الفاضل الأديب السيد البشير ابن الحاج أحمد ابن الحاج محمد الغماز الأندلسى أحد الفضلاء الأخيار حفظه الله.

بيت أولاد وجان

من أعيانهم عامل آسفى السيد عبد الرحمن وجان كان عامل آسفى سنة ١١٤٧.

والناظر الأجل السيد عبد الرحمن بن العباس وجان، كان متواليًا النظر فى أوقاف المساجد سنة ١١٤٣. ولست أدرى هل الذى قبله أو غيره.

بيت التزنيتيين

من أعيانهم الفقيه العدل عامل آسفى الحاج محمد بن أحمد التزينتى كان متوليًا أمر آسفى سنة ١١٨٨.

والقائد الحسن التزينتى من أهل صدر القرن الثالث عشر.

ويوجد الآن منهم السيد عمر بن المكى التزينتى.

بيت أولاد ابن عزوز

أوليتـهم من آل غيات عـبدة من أعيـانهم الفقيـه العدل الكاتب الأمين السيد محمد ابن الحاج عبد الرحمن عزوز الغياثى ثم الآسفى عامل آسفى ذو السيطرة الحادة المتوفى سنة ١٢٧٢ .

ويوجد الآن منهم التاجران الشهيران السيد عبد الرحمن والسيد التهامى ابنا الحاج أحـمد بن المكى ابن الحـاج عبـد الرحمن بن عـزوز كلاهمـا أحد الأعيان وفقهما الله .

بيت أولاد كوار

أوليتـهم من آيت باعمـران من حفـدة سيدى سليـمان تميت من فـخذ أراوسكم .

أول قادم منهم على آسـفى الإخوان الفـقير بلعـيد والحاج عـبد الله ابنا إبراهيم بن داود بن مبارك بـن الحسن بن محمد وكـتبا شهادة بإقـرارهما بهذا النسب سنة ١١٣١ .

من أعيانهم الرئيـس الشهير الفلاح الحـاج إبراهيم ابن الحاج أحدم ابن الحاج عبد الله المتوفى بعد سنة ١٢٥٦ .

ولده الفاضل الناظـر الفلاح الحاج عـبد القادر بن الحـاج إبراهيم كوار تولى النظر فى أوقاف المساجد فسار سيرة حسنة توفى سنة ١٣١٩ .

ولده الفلاح المثرى الحاج محـمد الغنيمى كوار تولى خطة أبى المواريث وكان أحد الملاكين والفلاحين توفى سنة ١٣٥١ عن ولده التاجـر السيد محمد حفظه الله .

والرئيس الوجيه الحاج عبد الرحمن ابن الحاج المحجوب ابن الحاج إبراهيم كوار تولى وكالة الغياب وخطة المواريث وكان ذا فضل وصدق لهجة رحمه الله.

بيت أولاد دبيلة

أوليتهم من صنهاجة - من أعيانهم الناظر الحاج الهاشمى بن الطيب امشكل به عرف كان متوليًا النظر فى أوقاف السور سنة ١٢٦٣.

والفقيه الواعظ السيد محمد بن الطيب دبيلة كان حيًا سنة ١٢٥٥ - والتاجر الرئيس الوجيه السيد علال بن الحاج محمد بن التهامى دبيلة كان أحد الفضلاء الأعيان تعاطى من العلم ما شاء الله وخطب بالجامع الفوقانى مدة نيابة عن الفقيه أبى زيد المطاعى وتولى قبل ذلك الخلافة عن عامل آسفى، توفى رحمه الله سنة ١٣٥٠ عن ولده السيد محمد أصلحه الله.

بيت التريكيين

من أعيانهم الفقيه العلامة مفتى الصقع أبو عبد الله السيد محمد بن أحمد ابن الحاج الهاشمى ابن الحاج عبد الرحمن بن عبد العزيز التريكى صاحب التأليف والفتاوى المحررة المتوفى سنة ١٣٤٤ رحمه الله عن عدة أولاد من أعيانهم التاجر الشهير السيد محمد والتاجر الأرضى السيد عبد الرحمن والسيد أحمد والسيد الحبيب والسيد إدريس وغيرهم أصلحهم الله.

بيت أولاد ابن جلول

من أعيانهم العدل البركة الحاج محمد ابن الحاج أحمد بن جلول المتوفى سنة ١٢٦٧ .

ولده الفقيه السيد أحمد المتوفى سنة ١٢٧٥ .

والعدل الفاضل السيد أحمد بن جلول المتوفى سنة ١٢٥٥ .

والأمين الشهير السيد حم بن أحمد بن جلول أحد الأعيان الفضلاء كان متوليًا خطة الأمانة بمرسى آسفى حوالى سنة ١٢٦٠ .

بيت أولاد باجدوب

أوليتهم من الأندلس - من أعيانهم الناظر الحاج عبد السلام باجدوب المدعو المغور كان متوليًا النظر فى أوقاف المساجد سنة ١٢١٣ .

ولده الناظر الوجيه السيد أحمد ابن الحاج عبد السلام المتوفى سنة ١٢٣٦ .

ولده الفاضل العدل السيد الطيب باجدوب كان عدلاً سنة ١٢٥٧ .

ويوجد الآن من هذا البيت الصانع المجيد فى النجارة المعلم الجيلالى ابن الحاج محمد بن عبد السلام ابن الحاج أحمد بن عبد السلام باجدوب من خيار الناس حفظه الله .

بيت القليعيين

أوليتهم من أسرة أندلسية - من أعيانهم الفقيه الأستاذ السيد أحمد بن على بن سعيد القليعى الأندلسى الآسفى المتوفى حوالى سنة ١١٥٠.

والفاضل السيد عبد الله القليعى المدعو الكبريت زوج الولية الصالحة السيد رقية أم على المتوفى قبل سنة ١١٨٠.

والفقيه المهندس الحاج عبد القادر بن الحاج علال بن الحاج محمد بن محمد بن على القليعى كان ذا معرفة بالهندسة والحساب رحل للمشرق حوالى منتصف القرن الماضى فلم يوقف له على أثر.

ويوجد الآن من هذه العائلة الحاج محمد بن محمد بن عبد السلام ابن الحاج محمد القليعى وابن عمه السيد محمد ابن الحاج أحمد بن عبد السلام المذكور كلاهما من أهل المروءة والدين كلأهما الله.

بيت المستاريين

أوليتهم من بنى مستارة بجبل العلم قدموا فى صحبة الشريف مولاى إدريس بن التهامى الوزانى صدر القرن الثانى عشر ولهم ذكر فى ظهائرهم بالتعظيم والاحترام.

من أعيانهم الناظر الحاج علال المستارى كان متوليًا النظر فى أوقاف المساجد سنة ١١٧٣ كسنة ٨٣ بعده.

ويوجد الآن من أعيانهم الفقيه النبيل العدل الوجيه السيد عبد السلام ابن الحاج علال بن محمد ابن الحاج علال المستارى من خيار أهل العلم

والفضل أخذ العلم بآسفى عن أهله ورحل لفـاس فأخذ عن أهلها أيضًا وهو الآن فى سلك العدول وفقه الله.

بيت أولاد الراشدى المدعو أهله بأولاد العفو

من أعـيانهم الفـقـيه الأرضى الحـسيـب الأديب الحاج على بن عـزوز الراشدى المتوفى قبل سنة ١١٦٦.

ولده الفقيـه الأنجب الأمين الأجل الحاج محمـد بن على الراشدى أمين المستفاد فى دولة السلطان سيدى محمد ابن عبد الله المتوفى سنة ١١٨٠.

ولده الأمين الوجيه الحـاج عبد الله بن الحاج محـمد بن على الراشدى تولى الأمانة فى محل والده بالكتاب المؤرخ بسنة ١١٨٠ - وكان له ولإخوانه حرمة ووجاهة عند السلطان.

الوجيـه الفاضل السيد مـحمد بن عبـد الله ابن الحاج محمـد كان أحد الأعيان فى دولة المولى عبد الرحمن وله منه ظهير مؤرخ بسنة ١١٥٥ بالتوقير والإجلال.

والفقيه الجليل المدرس التـاجر الحاج محمد بن التهـامى العفو به عرف المتوفى سنة ١٣٢٣.

بيت أولاد مرحبو

أوليتهم من أسرة أندلسية - من أعيانهم الفقيه العدل الموثق المعتنى السيد التهامى بن محمد ابن الحاج قاسم مرحبوا به عرف الأندلسى الآسفى كان حيًا سنة ١١٩١.

والطبيب السيد أحمد مرحبو كان ذا معرفة بالطب توفى صدر هذا القرن.

بيت أولاد ابن عاشور

من أعيانهم عمر بن شوخان أحد البعثة التى أرسلها المولى الحسن لباريز لأخذ الهندسة والحساب والجغرافيا وكان رجلاً فاضلاً ذا جمال بارع رحمه الله.

والفقيه التاجر السيد علال بوعصيدة ابن الحاج محمد بن عاشور أخذ العلم بآسفى ورحل لمراكش ثم تعاطى التجارة إلى أن توفى سنة ١٣٤٧هـ.

بيت أولاد حيدة أهل سوس

من أعيانهم العدل الوجيه السيد أحمد المدعو حيدة ابن الحاج محمد بن عدى كان حيًا عدلاً سنة ١٢٠٨.

والفاضل الكاتب الحسن الخط السيد عبد السلام المدعو عيسمو ابن الحاج محمد بن عبد السلام بن محمد بن حيدة المتوفى سنة ١٣٤٦ عن ولديه التاجر الأرضى الفاضل السيد محمد والأديب السيد إدريس وفقهما الله.

وتوجد عائلة أخرى تعرف بأولاد حيدة وهم من عبدة.

بيت أولاد يعزى الإيلاليين

أوليتهم من إيلالا القبيلة المشهورة حول تارودانت من سوس ولا أعلمهم إلا أنهم هم البعثة التى أرسلها محمد الشيخ بن زيدان لحماية آسفى.

وذلك أن آسفى فى منتصف القرن الحادى عشر قد انتابتها نوائب من أهمها القحط والموت الذريع فضعفت الحامية بها فجعل آل غياث يتخطفون الناس جوانب السور فاستغاث أهل آسفى بالسلطان المذكور، فجاء بنفسه فأدب آل غياث ولما رجع لمراكش أرسل بعثة مؤلفة من مائة رام معها قافلة تحمل ثمانين غرارة من الشعير مؤنة البعثة وكان وصولها يوم الأربعاء ٢٨ شوال ١٠٦٢ فحيث إن أولاد يعزى أهل البستيون من إيلالا. وإيلالا إذ ذاك فى حكومة السلطان المذكور فإنه يغلب على الظن أنهم هم، ومقرهم الحصن المعروف بالبستيون سمى بذلك لبرج كان فيه على شاطئ البحر شمال آسفى وكانت خطتهم أخيراً حراسة البحر ومراقبة ما يظهر من المراكب أو القراصين الأجنبية وكان لم راتب شهرى من مستفاد المرسى. وكانوا تحت نظر والى آسفى وفى دولة السلطان المولى إسماعيل فصلهم عن صاحب آسفى واستعمل عليهم رجلا منهم يقال له بلاوبو جمعة بالكتاب المؤرخ بـ ١١٢٠.

ومن أعيانهم الطيحى السيد محمد بن المؤذن كان أحد المهرة فى إجادة الرمى بالمهراس وغيره حضر مع السلطان المولى عبد الرحمن حصار زاوية الشرادى وأبلى فيها إلا أنه أصيب ببقية كانت فى مهراسه رجعت عليه فحمل لآسفى ومات فى الطريق سنة ١٢٤٤.

ولده السيد عبد القادر المدعو قدور قادة كان أحد الرماة المشهورين ذا دعابة وفكاهة كانت له منزلة عند السلطان والوزراء وتوفى سنة ١٢٨٥ عن

ولده الحاج لعربى قادة كان متوليًا قيادة الطيحية مقام والده وتوفى سنة ١٣١٣ عن ولده الفاضل الحاج المختار بن العربى قادة له إلمام بخطة سلفه ولا يزال بقيد الحياة وفقه الله.

والفاضل الأمين الوديع السيد سلام بن الحاج محمد يعزى أحد المجيدين فى صنعة البناء وكان أمينهم فى القديم ورئيسهم.

ومن قبيل الإيلاليين الأستاذ الناصح السيد محمد بن الهاشمى إيللو، كان أحد الأساتذة المتميزين بأحسن أساليب التعليم الابتدائى توفى حوالى سنة ١٣٣٠.

ولده الفقيه النبيه الأديب السيد أحمد بن محمد إيللوا أحد النجباء المتعلقين بأهداب الطلب بارك الله فيه.

بيت أولاد أخزام

من أعيانهم الحاج أبو زيد بن أحمد أخزام وتولى النظر فى أوقاف المساجد سنة ١٢٩٠ - وتوفى حوالى سنة ١٣٢٠.

والحاج صالح بن أحمد أخزام المتوفى سنة ١٣٣٥.

والسيد دحمان بن محمد أخزام كان من أهل الفضل وسخاوة النفس وفعل المعروف توفى صدر هذا القرن.

ولده العدل الوديع السيد أحمد بن دحمان.

بيت رجراجة

نكتفى عنه بما سطرنا، فى كتاب الياقوتة الوهاجة فى مفاخر رجراجة.

بيت أولاد الغزاوى

أوليتهم من غزاوة القبيلة المعروفة.

من أعيانهم الفقيه الحاج محمد الغزاوى وولده العدل السيد أحمد كان عدلاً سنة ١٢٥٧.

ويوجد الآن من أبنائهم التاجران السيد محمد والسيد عبد السلام ابنا السيد بناصر بن عبد السلام بن أحمد ابن الحاج محمد الغزاوى حفظهما الله.

وتوجد بيوتات أخرى مبسوطة فى الأصل.

الحالة العلمية والأدبية

لم يتأد إلينا العلم بالحالة العلمية بهذا القطر فى صدر الإسلام إلا فى أواخر القرن الخامس الهجرى إلا ما كان من عقبة بن نافع الفاتح العظيم فإنه لما فتح المغرب سنة ٦٢هـ ترك به جماعة من أهل العلم يعلمون القرآن وشرائع الدين منهم شاكر وغيره كما صرح بذلك البكرى.

وساكر رباطه سهير ببلد حمير حوز آسفى.

كما كان الرجال السبعة من رجراجة فى تلك القرون الأولى حاملين راية الإسلام ولم يزل الملوك يبعثون البعثات العلمية لبث الدين والعلم.

نعم كان من أسباب غموض الحالة أمران أحدهما عدم العناية بالتاريخ وثانيهما ابتلاء هذا القطر بداء الطائفة البرغواطية المدعية للنبوءة التى أرغمت الناس على التدين بديانتها الخسيسة التى كانت مجرد شعوذة على الناس ناضلت عنها بالسيف فسفكت الدماء وخربت البلاد حتى أنه كان بين شالة وماسة ٣٠٠ مدينة فأكثر كان نصيبها التخريب والتدمير. وكان ابتداء أمرهم سنة ١٢٤هـ وانتهاؤه سنة ٤٥٤. فكانوا عرقلة لسير العلوم والفنون وسائر مناحى الحياة فلم تكن حياة أهل هذه البلاد مستقرة على حال ولا سائرة على وتيرة واحدة، وحيث كان لأمراء الإسلام معهم مواقف وحروب طاحنة يضعفون لأجلها مرة ويقوون أخرى حتى جاء الله بالدولة المرابطية فكانت بين الفريقين حروب فاصلة انتهت بقطع دابرهم وإراحة البلاد والعباد من شرهم.

الدولة اللمتونية وآثارها فى المعارف

اجتمعت لها مملكة المغرب بجميع أقسامه فى منتصف القرن الخامس الهجرى واستؤصلت شأفتها بالمرة سنة ٥٤١هـ عدة ملوكها خمسة يوسف بن تاشفين توفى سنة ٥٠٠هـ - ولده على بن يوسف بيعته يوم وفاة والده - وفاته سنة ٥٣٧ - تاشفين بن على بيعته يوم وفاة والده - وفاته بوهران سنة ٥٣٩ - إبراهيم بن يوسف بويع بعد وفاة سابقه ثم خلع لعجزه - إسحاق بن على بويع بعد خلع سابقه وعليه كان انقراض دولتهم سنة ٥٤١هـ.

كان يوسف بن تاشفين محبًا للعلم وأهله صادراً عن أمرهم مغدقًا عليهم الإنعام فلا يقطع أمراً دونهم بل رد هو وولده على جميع الأحكام إلى الفقهاء.

قال الشيخ محيى الـدين فى المعجب أنه انقطع إليه من الجزيرة من أهل كل علم فحولـه حتى أشبهت حضـرته حضرة بنى العبـاس فى صدر دولتهم واجتمع له ولولده من أعيان الكتاب وفرسان البـلاغة ما لم يتفق اجتماعه فى عـصر من الأعـصار ولم يكن يقـرب منه ويحظى عنده إلا من علم الفـروع فنفقت فى ذلك الزمان كتب المذهب (المالكى) وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها فكثر ذلك حـتى نسى النظر فى كتاب الله وحـديث رسول الله ﷺ فلم يكن أحد من مشاهير ذلك الزمان يعتنى بهما كل الاعتناء هـ[1].

وقد كانت آسفى فى دولتهم فى طور التأسيس وعلى ما يعلم من القرب من عاصمتـهم فلا غرو ينالها قسط من المعارف لا سيـما وهم الذين عمروها وانتشلوها من وهدة السقوط.

الخليفة	الولاية	الوفاة
يوسف بن تاشفين		٥٠٠
ابنه على	٥٠٠	٣٧
ابنه تاشفين	٥٣٧	٥٣٩
عمه إبراهيم	٥٣٩	ثم خلع
أخوه إسحق	٥٣٩	٥٤١

(١) تبعـيتهم لمذهب مـالك فى ذلك العصر لم يكن عن مـحض تقليد، بل كان عن بصـيرة ومـعرفـة لأقواله المرتكزة على السنة والـكتاب وأقـوال السلف وكونه لم يكن أحـد من مشاهيـر ذلك الزمان يعتنى بالكتاب والسنة - هذا من المبـالغات وإلا فقد كانت جـماعة معتنية بهما ويكفى أن نذكر فى طليعتهم القاضى عياضًا والله الموفق.

الدولة الموحدية وآثارها فى العلوم والمعارف

انتصبت الدولة الموحدية على أنقاض الدولة اللمتونية فى منتصف القرن الخامس الهجرى، وكان انقضاء مدتها سنة ٦٦٧ - وعدة ملوكها ١٣ ملكًا - عبد المؤمن بن على اجتمع له ملك المغرب سنة ٥٤١ - وفاته سنة ٥٥٨ - يوسف بن عبد المؤمن بيعته سنة ٥٥٨. وفاته سنة ٥٨٠ - يعقوب بن يوسف بيعته ٥٨٠ - وفاته سنة ٥٩٥ - محمد الناصر بيعته سنة ٥٩٥ - وفاته سنة ٦١٠ - عبد الواحد بن يوسف بيعته عام ٦٢٠ - يحيى بن محمد الناصر بيعته سنة ٦٢٤ - وفاته سنة ٦٣٣ - إدريس المدعو المأمون بيعته سنة ٦٢٤ - وفاته سنة ٦٢٩ - عبد الواحد الرشيد بيعته سنة ٦٣٠ - وفاته سنة ٦٤٠ - على بن إدريس بيعته سنة ٦٤٠ - واته سنة ٦٤٦ - عمر المرتضى بيعته ٦٤٦ وفاته سنة ٦٦٥ - أبو دبوس إدريس بيعته ٦٦٥ - وفاته سنة ٦٦٧ - وعليه انقرضت دولتهم.

كانت هذه الدولة دولة حضارة وتمدن تقدمت العلوم والمعارف فيها شوطًا بعيدًا وعم الترقى جميع مناحى الحياة فنشطوا المشاريع الحيوية وأغدقوا على العلماء الأرزاق وأسبغوا عليهم الأعام واستجلبوهم لحضرتهم من أقاصى البلاد ونفق سوق العلوم الشرعية والأدبية والفلسفية وكانت مجالسهم منتديات علمية أدبية يتجاذبون فيها سبيل العلم ويطارحون العلماء بأنفسهم أو يستنيبون من يطرح مسائل العلم حتى لم ير المغرب قبلهم ولا بعدهم كعصرهم.

وفى دولتهم تحضرت آسفى وعمرت وسورت بسور متين وبنيت بها المعاهد الدينية والعلمية وانبثق بها روح المعارف والعلوم ونبغ فى دولتهم من علماء آسفى وما إليه الشيخ الإمام أبو محمد صالح الماجرى المتوفى سنة ٦٣١

وأولاده الشيوخ الأئمة تلميذه العلامة النظار الأصولى النحوى أبو الحسن على ابن مسعود الرجراجى مؤلف مناهج التحصيل فيما للأئمة على المدونة من التأويل.

والشيخ الإمام أبو عبد الله سيد محمد أمغار الكبير وأولاده الشيوخ الذين سارت بذكرهم الركبان وصارت زاوية تيط مركز علم ودين تدرس فيها العلوم الشرعية. والإمام المتفنن أبو عبد الله محمد بن شعيب الدكالى الهسكورى نزيل تونس والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن ياسين الرجراجى وغيرهم.

الخليفة	البيعة	الوفاة
عبد المؤمن بن على	٥٤١	٥٥٨
يوسف بن عبد المؤمن	٥٥٨	٥٨٠
يعقوب بن يوسف	٥٨٠	٥٩٥
محمد الناصر بن يعقوب	٥٩٥	٦١٠
يوسف بن محمد الناصر	٦٠٩	٦٢٠
عبد الواحد بن يوسف	٦٢٠	ثم خلع
عبد الله بن يعقوب	٦٢١	٦٢٤
يحيى بن الناصر	٦٢٤	٦٣٣
إدريس المأمون	٦٢٤	٦٢٩
عبد الواحد الرشيد	٦٣٠	٦٤٠

الخليفة	البيعة	الوفاة
على بن إدريس	٦٤٠	٦٤٦
عمر المرتضى	٦٤٦	٦٦٥
أبو دبوس	٦٦٥	٦٦٧

الدولة المرينية وآثارها فى المعارف

استولت هذه الدولة على المغرب الأقصى فى منتصف القرن السابع الهجرى على أنقاض الدولة الموحدية، وبسطت نفوذها على طرف من الأندلس وإذ أقوى سلطانها يمتد إلى المغرب الأوسط تارة والأدنى أخرى وعدة ملوكها ٢٢ ملكًا - يعقوب بن عبد الحق المرينى اجتمعت له مملكة المغرب سنة ٦٦٧ - وفاته سنة ٦٨٤ - يوسف بن يعقوب بيعته سنة ٦٨٥ وفاته سنة ٧٠٦ - عامر بن عبد الله بيعته سنة ٧٠٦ - وفاته سنة ٧٠٨ - سليمان بن عبد الله بيعته سنة ٧٠٨ - وفاته سنة ٧١٠ - عثمان بن يعقوب بيعته سنة ٧١٠ - وفاته سنة ٧٣١ - أبو الحسن عى بن عثمان بيعته سنة ٧٣١ - وفاته سنة ٧٥٢ - أبو عنان فارس بن على بيعته فى حياة والده - وفاته سنة ٧٥٩ - أبى زيان محمد بن أبى عنان بيعته فى حياة والده ثم خلع وخنق - أبو بكر بن أبو عنان بيعته فى حياة والده - وفاته غريقًا بعد سبعة أشهر وعشرين يومًا. إبراهيم بن على بيعته سنة ٧٦٠ - وفاته سنة ٧٦٢ - تاشفين بيعته سنة ٧٦٢ وفاته بعد ثلاثة أشهر. محمد بن يعقوب بيعته بعد سابقة وفاته سنة ٧٦٧ - عبد العزيز بن أبى الحسن بيعته سنة ٧٦٧ - وفاته سنة ٧٧٤ - محمد بن عبد العزيز بيعته سنة ٧٧٤ - خلعه سنة ٧٨٦ - أحمد بن إبراهيم بيعته الأولى

سنة ٧٧٥ - خلعه سنة ٧٨٦ - موسى بن أبى عنان بيعته سنة ٧٨٦ وفته سنة ٧٨٨ - محمد بن أبى العباس بيعته سنة ٧٨٨ خلعه بعد عشرة أشهر - بيعة أحمد بن إبراهيم الثانية سنة ٧٨٩ - وفاته سنة ٧٩٦ - عبد العزيز بن أبى العباس بيعته بعد وفاة والدة وفاته سنة ٧٩٩ - عبد الله بن أبى العباس بيعته سنة ٧٩٩ - وفاته سنة ٨٠ - أبو عسيد بن أبى العباس بيعته سنة ٨٠٠ - وفاته سنة ٨٢٣ - عبد الحق بن أبى السعيد وفاته سنة ٨٦٩ - وعليه انقرضت دولتهم.

كانت دولتهم من أجمل الدول فى التمدن والحضارة انبثق فى دولتهم نور المعارف والعرفان فشيدوا المدارس وعمروا رباع العلم وأوسعوا للعلماء فى الجرابات وأسبغوا عليهم النعم فنضجت العلوم والآداب وأينع ثمارها وبالأخص فى دولة أبى الحسن بن أبى سعيد وولده أبى عنان حيث بلغت الدولة منتهى سطوتها وعظمتها من جميع مناحى الحياة.

فأنشأ أب الحسن المدارس بجميع بلاد المغرب كفاس وتاذا ومكناس وسلا وطنجة وسبتة والدار البيضاء وآأمور وآسفى ومراكش واغمات والقصر الكبير وتلمسان والجزائر وغيرها وكلها مشتملة على المبانى العجيبة والصنائع الغريبج وحبس عليها أعلام الكتب وأجرى عليها المرتبات على الطلبة والقومة والإمام والمؤذن والناظر والشهود والخدام وأرصد لها الأوقاف التى تحفظ أودها وغير ذلك كما نبه عليه ابن مرزوق فى المسند الصحيح الحسن فى مآثر السلطان أبى الحسن.

وأما ولده أبو عنان فكان لا يقصر عن درجة والده فى إنهاض العلم وتخليد الآثار وترقية شئون الحياة كان يجلب العلماء لحضرته ويعقد لهم

مجالس المناظرة فى التفسير والحديث ويحضر بنفسه ويلقى أبحاثًا رائقة ووكل بدور فقهاء حضرته امرأة تتعرف ما يخصهم من غير أن يحسب الفقهاء لذلك أى حساب فتفرغوا لنشر العلم وبثه فعمرت المدارس العلمية والمعاهد الدنيية واستنارت سبل الهدى والرشاد.

وقد بلغت آسفى فى عصرهم فى الحضارة شوطًا بعيدًا الشىء الذى سوغ لابن خلدون فى ذلك الأوان أن يطلق عليها (حاضرة البحر المحيط) وأسست بها المدرسة والمستشفى وهما عنوان الحضارة وروح الحياة وهذان الأثران قد اندثرا باستيلاء البرتغال على هذا البلد.

أما ناحيتها فقد قال الزيانى نقلاً عن السائح القسنطينى أنه وجد بدكالة خمسة وعشرين مدرسة.

وقد نبغ فى دولتهم من علماء هذا القطر الفقيه العلامة الميقاتى أبو زكرياء يحيى بن محمد بن أبى محمد صالح الماجرى الآسفى كان من ذوى المشاركة فى الفنون توفى سنة ٦٨٤ - والفقيه المحدث الأديب الإمام أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبى محمد صالح الماجرى مؤلف المنهاج الواضح فى مآثر آبى محمد صالح - والشيخ المتفنن الرحالة القاضى أبو عبد الله محمد بن سعيد الهنائى قاضى دكالة وآزمور صاحاب التآليف البارعة منها معتمد الناجب فى إيضاح مبهمات ابن الحاجب وكنز الأسرار ولواقح الأفكار فى الجغرافية والهيئة وغيرها توفى أواخر المائة الثامنة - والفقيه الأديب مقيم رسم المارستان بآسفى أبو الضياء منير بن أحمد الهاشمى الجزيرى كان حيًا سنة ٧٦١ - والفقيه الإمام المتفنن أبو عمران موسى بن أبى على الزناتى الآزمورى الدكالى المنشأ والوطن المراكشى النزل والوفاة له شرح

الموطأ والمدونة والمولد النبوى توفى بمراكش سنة ٧٠٢، والفقيه المحدث الرحالة الأديب المؤرخ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن معاوية الآزمورى مؤلف شرح الشفا المسمى إيضاح اللبس والخفا عن ألفاظ الشفا المتوفى بعد سنة ٨٠٨ والشيخ الإمام الورع المرشد أبو زيد عبد الرحمن بن إلياس الرجراجى المدعو بأبى زيد وإلياس صاحب كتاب الرسالة فى تعداد نعم الله على العباد وإرشادة إلى القيام بشكرها - والإمام الأصولى المقرئ أبو على حسين بن طلحة الرجراجى الشوشاوى ذو التآليف النافعة منها كتاب الفوائد الجيلة على الآيات الجليلة فى علوم القرآن، وتنبيه العطشان على مورد الظمآن فى رسم القرآن، ورفع النقاب عن تنقيح الشهاب يعنى تنقيح الفراقى وغير ذلك من آثاره الجليلة، وكانت وفاته آخر المائة التاسعة.

الخليفة	البيعة	الوفاة
يعقوب بن عبد الحق	٦٦٧	٦٨٤
يوسف بن يعقوب	٦٨٥	٧٠٦
عامر بن عبد الله	٧٠٦	٧٠٨
سليمان بن عبد الله	٧٠٨	٧١٠
أبو سعيد عثمان بن يعقوب	٧١٠	٧٣١
أبو الحسن على بن أبى سعيد	٧٣١	٧٥٢
أبو عنان بن أبى الحسن	فى حياة والده	٧٥٩
أبو زيان بن أبى عنان	فى حياة والده	٧٥٩

الخليفة	البيعة	الوفاة
أبو بكر بن أبى عنان	فى حياة والده	٧٥٩
إبراهيم بن على	٧٦٠	٧٦٢
تاشفين	٧٦٢	٧٦٢
محمد بن يعقوب	٧٦٢	٧٦٧
عبد العزيز بن أبى الحسن	٧٦٧	٧٧٤
أبو العباس بن إبراهيم	٧٧٥	خلع ٧٨٦
موسى بن أبى عنان	٧٨٦	خلع ٧٨٨
محمد بن أبى العباس	٧٨٨	خلع ٧٨٨
أبو زيان بن أبى الفضل	٧٨٨	٧٨٨
أبو العباس السابق	٧٨٩	٧٩٦
عبد العزيز بن أبى العباس	٧٩٦	٧٩٩
عبد الله بن أبى العباس	٧٩٩	٨٠٠
أبو سعيد بن أبى العباس	٨٠٠	٨٢٣
عبد الحق بن أبى سعيد		٨٦٩

الدولة الوطاسية وآثارها

هذه الدولة فرع عن المرينيـة وهم وزراؤها فلما هدمت المرينية واعـتراها الخلل انتـصب وزراؤها الوطاسـيون على أنقـاضـها فكانـوا مثـال الانحطاط

والتقهقر إذ فى دولتهم دهى المغرب بالبرتغال فاستولى على جل شواطئه زيادة على ما حل بالأمة المغربية من نزاع وشـقاق وفساد فى الأخلاق والدين فكان المغرب فى ضحضاح من الفتن داخليًا وخـارجيًا وخصوصًا هذا القطر الآسفى الذى انتصب عليه البـرتغاليون فطمسوا مـحسانه وهدموا معـالمه فلم يكن فيه كبيـر أثر فى العلوم - وزاد الطين بلة عدة العناية بالتاريخ عـدد ملوكهم أربعة - محمـد الشيخ بن أبى زكرياء الوطاسى بيعـته سنة ٨٧٦ وفاته سنة ٩١٠ - محمد بن محمد الشيخ المدعو البرتغالى بيعته سنة ٩١٠ - وفاته سنة ٩٣١ - أبو حسون على بن محمـد الشيخ بيعته سنة ٩٣١ - ثم خلع ثم رد للملك - وفاته سنة ٩٦١ - أحمد بن محمد الشيخ آخر سنة ٩٣١ - وأسر فى حروب السعديين سنة ٩٥٦ - وانقرضت دولتهم الضعـيفة الأنفاس بموت أبى حسون سنة ٩٦١.

الخليفة	البيعة	الوفاة
محمد بن الشيخ	٨٧٦	٩١٠
ابنه محمد	٩١٠	٩٣١
أخوه على	٩٣١	٩٦١
ابن أخيه أحمد	٩٣١	أسر ٩٥٦

الدولة السعدية وآثارها فى العلوم والآداب

امتد سلطانها على سوس الأقصا صدر القرن العاشر ونشأ تدريجًا حتى صفا لها المغرب سنة ٩١ - وتقلص ظلها بالمرة سنة ١٠٦٩ - عدة ملوكها ١١

ملكًا - أبو العباس أحمد بن محمد القائم السعدى الحسنى بيعته سنة ٩١٨، ثم خلع سنة ٩٥١ - محمد المهدى المدعو الشيخ بيعته سنة ٩٥١، وفاته سنة ٩٦٤ - الغالب عبد الله بيعته سنة ٩٦٤، وفاته سنة ٩٨١ - محمد بن عبد الله بيعته سنة ٩٨١، خلع بعد ثلاث سنين - عبد الملك بيعته سنة ٩٨٣ - وفاته سنة ٩٨٦ - أحمد المنصور بيعته سنة ٩٨٦، وفاته سنة ١٠١٢ - زيدان بيعته سنة ١٠١٢، وفاته سنة ١٠٣٧ - عبد الملك بن زيدان بيعته سنة ١٠٣٧ - وفاته سنة ١٠٤٠ - الوليد بن زيدان بيعته سنة ١٠٤٠، وفاته سنة ١٠٤٥ - محمد الشيخ بن زيدان بيعته سنة ١٠٤٥ وفاته سنة ١٠٥٦ - أبو العباس بيعته سنة ١٠٥٦، وفاته سنة ١٠٦٩، وعليه انقرضت دولتهم.

هذه الدولة قد تداركت أمر المغرب وطهرت أرجاءه وأعادت الملك لنصابه لكن لا على نسبة حالته السالفة.

وكان واسطة عقدهم أحمد المنصور نضحت فى دولته العلوم والمعارف وازدهرت رياضها وأينع ثمارها فقرب العلماء وأغدق عليهم الأنعام فكان عصره من أزهر العصور، ألفت فيه التآليف وصنفت لأجله التصانيف من مختلف الفنون والتفسير والحديث والفقه والنحو والتاريخ والآداب وكان جل كتابه ووزرائه وأرباب أعماله أدباء له معهم مساجلات ومطارحات إلا أنه بالأسف كانت تلك النهضة قصيرة العمر إذ بموت المنصور طمس أولاده ما كان من محاسن وهدموا ماله من مآثر وصبوا على المغرب داء التفرق واشقاق فظل المغرب ميدان فتن وتطاحن على الرياسة أتت على الأخضر واليابس حتى جاء بالسلطان المولى الرشيد فرد المياه لمجاريها وأثبت الأمور فى نصابها.

كان السعديون قد استخلصوا آسفى وما إليه من مخالب البرتغال

وعمروه بأهله وغيرهم وشيدوا به المعالم الدينية ولعرفانية ورقوه من جميع مناحيه الحيوية.

وقد نبغ فى دولتهم من علماء هذا القطر جماعة كالفقيه العلامة أبى موسى بن محمد الماجرى الآسفى أحد أفراد الأئمة ومن ذوى الوجاهة والرئاسة وحفيده الخطيب الإمام أبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبى موسى المتوفى سنة ١٠٧١ - والعلامة الصدر الخطيب أبى عبد الله محمد بن إبراهيم الماجرى الآسفى والفقيه العلم المنيز أبى الحسن على بن إبراهيم الآسفى التوفى سنة ١٠٥٣ - والعلامة الكبير أبى العباس أحمد بن عبد الرحمن الآسفى المتوفى سنة ١٠٥٣ - وأبى الحسن على بن منصور الشيظمى أحد قواد المنصور الفقيه المتفنن الأديب البارع ذى النظم الرائق والنثر الفائق - وأبى العباس أحمد بن سليمان الشيظمى أحد شعراء المنصور وكتابه له مقطعات شعرية كان حيًا سنة ٩٩٩.

الخليفة	البيعة	الوفاة
أبو العباس أحمد الحسنى	٩١٨	خلع ٩٥١
محمد المهدى	٩٥١	٩٦٤
الغالب عبد الله	٩٦٤	٩٨١
محمد بن عبد الله	٩٨١	خلع
عبد الملك	٩٨٣	٩٨٦
أحمد المنصور	٩٨٦	١٠١٢
زيدان	١٠١٢	١٠٣٧

الخليفة	البيعة	الوفاة
عبد الملك زيدان	١٠٣٧	١٠٤٠
الوليد بن زيدان	١٠٤٠	١٠٤٥
محمد الشيخ	١٠٤٥	١٠٥٦
أبو العباس	١٠٥٦	١٠٦٩

الدولة العلوية وآثارها فى المعارف

ثبت الملك فى نصابها سنة ١٠٧٦ إلى الآن خلد الله ملكها وأدام عزها بعز الإسلام عدة ملوكها ١٨ ملكًا - المولى الرشيد ابن الشريف العلوى الحسنى بيعته الأولى سنة ١٠٧٥، وتم له الملك تدريجًا، وفاته سنة ١٠٨٢ - المولى إسماعيل بن الشريف الحسنى بيعته سنة ١٠٨٢، وفاته سنة ١١٣٩ - ولده أبو العباس أحمد الذهبى بيعته سنة ١١٣٩، خلعه سنة ١١٤٠ ثم أعيد وتوفى سنة ١١٤١ - عبد الملك بن إسماعيل بيعته ١١٤٠ - وفاته سنة ١١٤١ - المولى عبد الله بن إسماعيل بيعته ١١٤١، ثم خلع ورد نحو خمس مرت، وفاته سنة ١١٧١ - أبو الحسن على بن إسماعيل بيعته سنة ١١٤٧ ثم خلع - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بويع بعد خلع أخيه ثم خلع سنة ١١٥١ - المولى المستضىء بويع بعد خلع أخيه ثم خلع سنة ١١٥١ - المولى المستضىء بويع بعد خلع أخيه ثم اضطربت أموره - زين العابدين بيعته سنة ١١٥٣، خلعه بعد خمسة أشهر - المولى محمد بن عبد الله بيعته سنة ١١٧١، وفاته سنة ١٢٠٤ - المولى اليزيد بيعته سنة ١٢٠٤، وفاته سنة ١٢٠٦ - أبو الربيع المولى سليمان بيعته بعد أخيه، وفاته سنة ١٢٣٨ - المولى

عبد الرحمن بن هشام بيعته بعد عمه، وفاته سنة ١٢٧٦ - المولى محمد بن عبد الرحمن بيعته بعد والده، وفاته سنة ١٢٩٠ - المولى الحسن بن محمد بيعته بعد والده - وفاته سنة ١٣١١ - المولى عبد العزيز بن الحسن بيعته بعد والده، خلعه سنة ١٣٢٥ - المولى عبد الحفيظ بن الحسن بيعته بعد أخيه، تخليه سنة ١٣٣٠ - المولى يوسف بن الحسن بيعته بعد أخيه وفاته سنة ١٣٤٦ - سلطان عصرنا أبو عبد الله سيدى محمد بن يوسف بيعته بعد والده المقدس أيده الله ووفقه وقدس سلفه.

هذه الدولة وجدت المغرب فى القرن الحادى عشر يعانى من الفتن ألوانًا ومن الأمراض الفتاكة به صنوفًا حيث انتصب كل رئيس على قمة جبل أو فى مدينة، ودعا لنفسه وحارب من خالفه فكان ذلك العصر عصر فوضى وفتن وأهوال كادت تذهب العلم بالضروريات فضلاً عن الكماليات حتى جاء الله بالسلطان الرشيد فأخذ العصا بيد من حديد وضرب بها على أيدى أولئك الدعاة فجمع الله به الشمل بعد التفريق ورتق به الفتق بعد التمزيق وتلاه السلطان المولى إسماعيل والمولى محمد بن عبد الله والمولى سليمان والمولى عبد الرحمن فمن بعدهم حاشا فترات كانت تخلل هذه المدة كأواسط القرن الثانى عشر حيث تنازع أولاد المولى إسماعيل على الملك ولعب عبيد الجيش فى ذلك دورًا خطيرًا نشأ عنه تأخر محسوس.

وإلا فقد كان ملوك هذه الدولة ينشطون الحركة العلمية ويسنون لأهلها الجوائز ويرفعون شأن العلم فكان أدنى ما يعامل به قارئى القرآن أو الضارب من العلم بأدنى سهم أن يعظم ويحترم ولا يعامل بما تعامل الرعيّة من أداء المغارم وكان للحكومة بآسفى وضواحيه مدارس علمية منها ما هو من تأسيس

الدولة ومنها مـا هو من تأسيس أمـرائها وقوادها ورؤسـاء الزوايا فكان القواد والأمراء غالبهم يرون من الفخر تشييـد المدارس العلمية والقرآنية على نفقاتهم وكانت كل زاوية من واجـبه الدينى مدرسـة علمية قرآنيـة على نفقاتهـا أيضًا والدولة تعاملها بالإجلال والتوقير أو إسناد الجوائز.

الخليفة	البيعة	الوفاة
المولى الشيد بن الشريف	١٠٧٥	١٠٨٢
أخوه أبو الفداء إسماعيل	١٠٨٢	١١٣٩
ابنه أحمد الذهبى	١١٣٩	١١٤١
أخوه عبد الملك	١١٤٠	١١٤١
أخوه المولى عبد الله	١١٤١	١١٧١
أخوه على	١١٤٧	خلع
أخوه محمد		خلع ١١٥١
أخوه المستضىء		خلع
أخوه زين العابدين	١١٥٣	خلع
المولى محمد بن عبد الله	١١٧١	١٢٠٤
ابنه اليزيد	١٢٠٤	١٢٠٦
أخوه أبو الربيع	١٢٠٦	١٢٣٨
ابن أخيه المولى عبد الرحمن	١٢٣٨	١٢٧٦
ابنه المولى محمد	١٢٧٦	١٢٩٠

الخليفة	البيعة	الوفاة
ابنه المولى الحسن	١٢٩٠	١٣١١
ابنه المولى عبد العزيز	١٣١١	خلع ١٣٢٥
أخوه المولى عبد الحفيظ	١٣٢٥	تخليه ١٣٣٠
أخوه المقدس مولانا يوسف	١٣٣٠	١٣٤٦
ابنه سلطاننا سيدى محمد نصره الله وأيده	١٣٤٦	

المدارس العلمية بآسفى

فى الدولة الإسماعيلية تأسست بآسفى مدرسة علمية سنة ١١٠٥ كما رأيته بخط القاضى بوخريص وكان قاضى آسفى أبى محمد عبد الله وعامله العربى أمزاج مشرفين عليها حالة البناء وكان موقعها قرب المسجد الكبير.

وهذه المدرسة جددها السلطان سيدى محمد بن عبد الله وقد اندثرت فلم يبق لها أثر.

وقد تأسست مدرسة أخرى سنة ١٢١٣ تحت رئاسة الرئيس أبى زيد عبد الرحمن بن ناصر العبدى بإشراف عامله على آسفى القائد محمد بن الكاهية وهى الموجودة الآن بسماط العدول حذاء المسجد الكبير، وقد كنت ظننت أن هذه المدرسة هى السابقة حتى ظفرت بدفتر صائر الأحباس لسنة ١٢١٦ فما بعده، فإذا النفقة من إدارة الأحباس كانت تجرى على المدرسة الجديدة والقديمة فعلمت أنها غيرها وأن الاندثار إنما يسرع للقديمة دون الجديد غالبًا.

وفى دولة السلطان المولى يوسف فتحت عدة مدارس ابتدائية على النهج العصرى إحداها لأولاد المسلمين يتعلمون فيها لقرآن ومبادئ العربية واللغة الفرنساوية وأخرى للفرنساويين فقط وأخرى لليهود.

المكاتب القرآنية

يوجد من المكاتب القرآنية بآسفى ما بين الأربعين إلى الخمسين مكتبًا لكنها فى عصرنا صارت قليلة الجدوى لكونها مقتصرة على حفظ القرآن مجردًا وهو تقصير كبير؛ لأن المقصود من القرآن هو معرفة معانيه وأسراره الدينية والدنيوية والكونية ولا يتهيأ ذلك إلا بمعرفة مبادئ العربية واللغة والأدب العربى فإنه المفتاح لكنوز القرآن، فن أدخلنا على هذه المكاتب إصلاحات بإدخال هذه العلوم العربية فإنا نكون قد حافظنا على القرآن العظيم وظفرنا بكنوزه المخبأة فيه، وإلا فقد عصينا الله ورسوله وجنينا على أبنائنا جناية لا تغتفر بجمودنا على لفظ القرآن فقط حتى يشب الصبى ويدخل طور الرجول ولا علم لديه فيتشتت عليه عقله للتفكير فى أمور أخرى تدعوه إليها طبيعة الشباب وبلوغ حد الرجولة فيصير أمرهم إلى شقاء ويبعثون جهالاً بما انطوى عليه نحن لا ننكر فضيلة تلاوية الكتاب العزيز ولكن ليست التلاوة هى المقصودة منه ولا هى الضالة المنشودة بواسطته.

بل يجب علينا أن نؤدب أبناءنا ونهذب أخلاقهم ونغذى أفكارهم بالعلوم اللسانية جاعلين القرآن العظيم أولها ويكون ذلك تدريجيًا بنظام يكفل النجاح ولا يتهيأ ذلك أيضًا إلا بتعدد الأساتذة فى المكاتب ليقوم كل واحد بقسط من تلك العلوم وأن نأخذ من لم تكن فيه قابلية للعلم بتعليم الصنائع

والحرف النافعة وغيرها من العلوم الدنيوية التى لا حياة للأمم والشعوب إلا بها، وإذا لم نقتد بالكتاب والسنة وكل منهما يدعو لطرح الجمود والخمول - وللبروز لميادين الحياة المادية والأدبية - فهلا اقتدينا بالأمم الراقية فى نهضتها الفكرية وحركتها الحيوية مما لا يمس بشعائر ديننا - فالعلم هو سعادة الأمم والشعوب والجهل داؤها وشقاوتها نسأل الله أن يوفق هذه الأمة إلى ما فيه رشادها.

خزائن الكتب العامة

خزانة الجامع الأعظم

أوليتها - هذه الخزانة وليدة القرن العاشر فما بعده لأن البرتغال لما استولى على آسفى لم يبق لها آثارًا ماديًا ولا أدبيًا وما لم يدخل بأيديهم أكلته يد الفوضى والاختلاس وبعثرته يد الإهمال والإفبال زيادة على عبث سيول الأمطار بكثير من الكتب فلو كان سهم واحد لاتقتيته ولكنه سهم وثان وثالث.

كان ابتداء تأسيسها فى الدولة السعدية بدليل وجود جزء من مشارق عياض فيها وعليه تحبيس القائد عبد الله سنة ١٠٠٣، وكانت فى فاتح القرن الثانى عشر يشترى لها الكتب من وفر الأوقاف. ولما جاء دور السلطان سيدى محمد بن عبد الله اعتنى بها وحبس عليها مائة وسبعة وعشرين كتابًا، ثم تلاه أحد أركان دولته وهو القائد عبد الرحمن بن ناصر العبدى فأوقف عليها مائة وأربعة عشر كتابًا، وحبس عليه السلطان أبو الربيع عشرين كتابًا كما حبس غيرهم كتبًا كالفقيه أبى العباس أحمد بن يعيش الخلفى العامرى والفقيه أبى

عبد الله السيد محمد الزيدى البعيرى والفقيه السيد محمد بن المكى بن هيمة الآسفى وغيرهم، وقد وقفت على إحصائها صدر القرن الثالث عشر فكانت مائتين وثلاثة وثمانين كتابًا بعدما اختلست منها كتب عديدة فى دار قيمها إذ ذاك. وتبلغ الآن نحو الأربعمائة.

توجد فيها كتب التفسير والقراءات والحديث والفقه والعربية واللغة والأصلين والسيرة النبوية والبيان والتوقيت والمنطق والتاريخ والسياس والتصوف وغير ذلك.

وأغرب ما فيها سيرة الحافظ الشامى المسماة سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد بخط مشرقى تجزئة عشرة يوجد منها ستة فقط وسيرة الكلاعى المسماة بالاكتفاء فى سيرة النبى والثلاثة الخلفاء فى تجزئة ستة ينقصها الأخير، وتوجد بشرح الإمام أبى عبد الله سيدى محمد بن عبد السلام بنانى المسمى مغانى الوفاء فى ستة أجزاء ضخام فقد منها الأول والسادس، وكتاب مفاخر الإسلام وانتشار أمر النبى عليه السلام لأبى الحسن على بن مخلوف المكى بخط مغربى تجزئة ثلاثة فى مجلد واحد، وكتاب عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير للحافظ ابن سيد الناس اليعمرى بخط جميل مغربى.

حالتها الماضية

قد امتدت إليها يد الاختلاس فانتهبت الشىء الكثير الطيب منها تفسير ابن جزى والثعالبى والصفاقسى ولسان الميزان للحافظ والنجم الثاقب فيما للأولياء من مفاخر المناقب وكتاب المشاهير والأعيان وصحيح البخارى فى ٢٨

جزءًا مـزخرفة بالذهب والعشـرون التى من تحبيس أبى الربيع وغـير ذلك زد على ذلك أنها بوجـودها فى المسجد الذى هو فى مجرد سـيول الأمطار فطالما عبـثت بتلك الكتب وأفسدتهـا إفسادًا فاحـشًا ولما تفضى عن ذلك - القـومة عليها ونقلوها لمحلاتهم الخصوصية كانت المفسدة مثلها أو أشد حيث صار من لم يتق الله يأخـذ منها مـا شاء، ولقـد رأيت بخط القاضى بوخـريص أنه لما توفى قيمها صدر القرن الماضى الفقيـه السيد أحمد واعزيز وكانت بداره فأخذ المختلسون جملة كتب وأزالوا من فهـرستها ما يخص تلك الكتب، وهذا رمز لما وراءه.

كمـا أن نظامهـا أيضًا مـختل ومضـيع لكثيـر من الكتب وذلك أن من استعار كـتابًا غايته أن يضع خط يده فى دفتـر عند القيم ويذهب بالكتاب من غير تحديد أجل ولا مطالبة من القيم أو غيره ولو طال الأمد حتى أنه كثيرًا ما يموت المستعير فيبيع ورثته الكتاب أو يضيعونه.

حالتها الحاضرة

قد وقع الالتفات إليها فى الجـملة ووقع لبحث عن الكتب المستعارة فرد إليهـا البعض وضـاع بعض آخر، ثم نقلت لبـيت خاص بالمدرسـة القديمة لما أصلحت - وقـد جلبت إليـها آلة لقـتل السـوس الذى كان أيضًـا من أعظم آفاتها.

خزانة الزاوية الدرقاوية

يوجد بهـا مائة وأربعـون وعشرون كـتابًا فى مخـتلف الفنون وهى من تحبيس الفقيه أبى العلاء السيد إدريس بن هيمة الآسفى المتوفى سنة ١٣٤٠.

خزانة الزاوية القادرية

يوجد بها ثلاثة وتسعون مجلداً من تحبيس المحسنين.

خزانة الزاوية التجانية

يوجد فيها أربعة وثلاثون كتـابًا، وقد قيل أن هذه الخزائن ستضاف إلى خزانة الجامع الأعظـم ويجعل لها نظام خاص وتفـتح فى وجوه الزوار، وقد نبغ فى هذه الدولة من علمـاء هذا القطر جماعـة كالفقيـه الفلكى أبى الطيب السيد عـبد الله بن ساسى الآسفى صـاحب الكوكب اللامع فى العمل بدوائر المطالع الذى فرغ منه سنة ١١١٢ - وولده الفقيه الميقاتى السيد الطيب ابن عبد الله بن ساسى مـؤلف رياض الأزهار فى علم وقت الليل والنهار كـان موقت السلطان سيدى محمـد بن بعد الله وله ألف هذه الرسالة على عرض مراكش وفرغ منها سنة ١١٩٥.

والفقيـه العلامة الفلكى القاضى الأديب أبى عـبد الله السيد مـحمد بن عبد العزيز الآسفى مؤلف كتاب إرشـاد السائل إلى معرفة جهة القبلة بالدلائل فرغ منه سنة ١١٤٢ برسم تلميذه السيـد الطيب المذكور وله غيره من المؤلفات والمقطوعات الشعـرية فى الحساب والفلك والفقه والأدب - والفقـيه القاضى

العلامة أبى حفص عمر بن مبارك الزيدى مؤلف كتاب الكوكب السانى فى النسب الكتانى.

والعلامة الأديب السيد التهامى الفاروقى صاحب كتاب الأقمار فى مناقب الأخيار وشارح بانت سعاد المتوفى سنة ١١٩٥ - والفقيه الإمام الميقاتى السيد الطاهر بن إبراهيم الحسنى المتوفى سنة ١٢١٤ - والإمم المفتى البارع أبى البعباس السيد أحمد بن محمد الأندلسى ثم الآسفى المدعو بابن المقدم المتوفى سنة ١٢٣٩ - والفقيه العلامة القاضى العدل أبى محمد بعد الخالق ابن إبراهيم المتوفى سنة ١٢٣٤ - والفقيه الميقاتى الحيسوبى أبى إسحاق السيد إبراهيم بن الطاهر الحسنى المتوفى سنة ١٢٦٤ - والفقيه الإمام مجدد حركة العلم بهذه البلاد السيد البشير بن الطاهر الحكيم الآسفى المتوفى سنة ١٢٩٦ - والإمام المحدث الرحالة السيد الطاهر بن محمد الحفيد المتوفى سنة ١٢٩٩ - والفقيه العلامة القاضى الكاتب البارع أبى عبد الله السيد محمد ابن الطيب ابن هيمة المتوفى سنة ١٣٠٠ - والعلامة الورع النفاع البركة أبى زيد السيد عبد الرحمن بن الحسن المطاعى المتوفى سنة ١٣٤٧ - والعلامة الأكتب الرحالة أبى العباس السيد أحمد بن على الصويرى الآسفى المتوفى سنة ١٣٣٥ شارح الهمزية والبردة وغيرهما - والفقيه الأديب مفتى الصقع أبى عبد الله السيد محمد بن أحمد التريكى المتوفى سنة ١٣٤٥ صاحب كتاب إرشاد النبيه إلى معانى التنبيه أى تنبيه ابن عباد على الحكم وكتاب دلالة المؤدبين على نكتة المتعلمين فى التعليم الابتدائى.

الحالة العلمية فى الدور الأخير

فى الدور الأخير قد تدهورت الحالة العلمية والأدبية تدهوراً مريعًا وتكدرت مشاربها تكدراً فاحشًا فأدبر الناس عن العلم وأقبلوا على الشهوات فخليت رباع العلم وقلت أشياعه وأنصاره، وسبب ذلك انحلال رابطة الأمة الإسلامية فى دينها ودنياها وأخلاقها حتى بلغ التضعضع بها أقصى درجة وتلونت لها المصائب وتعددت عليها النكبات فلم يزل ذلك السم يسرى فى جسمها شيئًا فشيئًا حتى الدور الأخير فسقطت بيد خاصتها من العلماء والولاة.

أما هذا الجنوب المغربى فإنه فى الدور الأخير وبالخصوص الدور العزيزى والفيظى عندما تقلص ظل السلطة - قد منى بعمال مستبدين فانصبوا على الرعية يرهقونها ظلمًا وجوراً ويمطرونها نهبًا وعسفًا فسفكت الدماء بسبب وبلا سبب.

فى ذلك الحين كانت البقية الباقية فى الزوايا والرباطات التى كانت تعامل من الملوك والأمة بالإجلال فانقض كثير من جبابرة السوء على تلك الزوايا وبالأخص من كانت فيه رائحة وجاهة فأوسعوها نهبًا وعسفًا وليس فى وسعى أن أصف ذلك العصر عصر الفوضى والهدم والتخريب لا أعاده الله.

أما الحاضرة فإنها والحمد لله فى الدولة اليوسفية والمحدية قد آبت إلى رشدها وظهرت فيها حركة مباركة تشعر بمستقبل حسن وأما البادية فلا تزال حالتها سيئة الجهل فاش ورسوم الدين ضائعة والأخلاق فاسدة نطلب الله التوفيه لما فيه رضاه.

الأخلاق الفاضلة

أهل هذا القطر وخصوصًا آسفى كانوا موصوفين بكثير من الأخلاق الفاضلة والشيم الشريفة وفيهم يقول الإمام أبو حفص سيدى عمر بن عبد الله الفاسى:

لله دركم بنى آسفى ... فنزيلكم يشفى من الأسف

حان الرحيل بعيد ما ألفت ... نفسى بوسلكم فيها أسفى

أخلاقكم كالعطر فى نفس ... ووجوهكم كالبدر فى شرف

وفيهم أيضًا يقول تلميذه الأديب العلامة سيدى محمد بن طاهر الهوارى:

أهلا بأهل آسفى ... من كل خل منصف

أكرم بهم من معشر ... حازوا الجمال اليوسفى

سادوا الأنام كرما ... فمثلهم فلتعرف

إن كثتهم نلت المنى ... من غير ما تعرف

أو انتجعت جودهم ... فلك ما لم يوصف

بلدتهم طيبة ... تقضى بنفى الأسف

بحران فيها التقيا ... والعذب سؤل المعتف

قاضيهم الشيخ الإمام ... الألمعى المقتفى

سلسل عزوز الذى ... قد حل أوج الشرف

اتحفنا من شعره بتحف وطرف
ضمنه مدخ الإمام اللوذعى اليوسفى
جزاء عنا ربه خير جزائه الوفى

والقاضى المذكور هو العلامة أبو عبد الله السيد محمد بن عبد العزيز المدعو بابن عزوز قاضى آسفى أواسط القرن الثانى عشر فإنه لما ورد أبو حفص الفاسى وابن طاهر صحبة الإمام أبى العباس سيدى أحمد بن عبد الله الغربى الدكالى ثم الرباطى والفقيه السيد الهاشمى اشكلانط امتدحهم القاضى الآسفى بأبيات من الشعر فأجابه ابن طاهر بذلك، وأبيات القاضى هى قوله:

يا مرحبا بالمنصف الماجد الخل الصفى
البارع المتصف بالعلم والود الوفى
فكم وكم من نكت أودعها فى صحف
الناظم الناثر من للعارفين يقتفى
كمثل شيخنا أبى العباس خير الخلف
يالله من بدر سما فى أفق بيت الشرف
فبحره الكامل من دائرة المؤتلف
حجته أنتهجها شكل قضايا السلف
فمذ وفيت آسفى أميط عنا أسفى
لا سيما إذ معكم لؤلؤة فى صدف

نجل الهمام المرتضى سبط الإمام اليوسفى

فاس به قد أشرقت أنوارها فى شرف

ذاك أبو حفص الذى ضاهى الإمام النسفى

فى علمه ولو ردا لغار منه السلف

سعيكم ملتمس من فضلك السر الخفى

يا هاشمى أن لى ودا لك بالوعد فى

وما ألطف قول الوزير الأديب سيدى محمد بن إدريس العمراوى فى أهل آسفى.

إن لم تعاشر أناسًا خيموا آسفى، فقل على عمرى قد ضاع وآسفى وهذه الأخلاق كانت هى الغالبة ثم تبدلت الأحوال ضرورة تبدل أحوال الأمة الإسلامية سياسيًا وأدبيًا وأخلاقيًا - فذهبت التعاليم النبوية والإرشادات السنية لتى اهتدت بها الأمة فى سيرها حتى بلغت بحبوحة السعادة وتبوأت مكانة المجد والشرف.

أجل لما فقدنا التعاليم القرآنية والتربية النبوية وحورب من يقرأ التفسير أو السنة وصار القرآن يقصد رسمه فقط لا معناه، والسنة من يقرؤها للتبرك فقط لا العمل - فقدنا الشرف وأخطأنا طريق السعادة المنشودة لكل عاقل وما أحسن قول أمير الشعراء أحمد شوقى رحمه الله:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

بل حصر النبى ﷺ غاية بعثته للبشر فى إتمام مكارم الأخلاق، فقال:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1] وهذا يرشدنا إلى أن الأخلاق قد انطوى فيها جميع أعمال البر سواء كانت أوصافًا أو أعمالاً فالأخلاق فى الأمة بمنزلة الروح فإذا فقدتها الأمة فقد فقدت الروح وصارت جثة هامدة طعمة سائغة لغيرها - فيجب علينا الاعتناء بتربية أبنائنا تربية صحيحة بأن الصبى مثل جوهرة مكنونة قابلة لكل ما ينقش فيها فيعود الصبى السجايا الخيرية واللام الحسن وإتيان الفعل الجميل ومعاملة غيره بالتوقير والإجلال وأن يختار له من الصبيان الرفقاء ذوى التربية الحسنة والأخلاق المعتدلة وينهى عن السجايا الخبيثة من قول وفعل ويصان عن رفقة الصبيان ذوى الذعارة والأخلاق الرديئة فإن الطباع تسرق الطباع ولا يطلق له العنان فى المأكولات والمشروبات والملبوسات فإنه من المفسدات.

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة

فكثيراً ما يحتمل من الصبى سوء خلقه ويهمل لصغره فيشب على الأخلاق المذمومة فيعظم شرره ويجل خطره ولا يكون ضرره قاصراً على نفسه بل يصيب أسرته وأمته فيهدم مالها من شرف ويهين مالها من مجد - لأن الفرد قوام الأسر والشعوب منه تتكون فصلاحها منوط بصلاحه وفسادها منوط بفساده.

وإذا ميز الصبى اليمين من الشمال يجب أن يسلم لمؤدب ناصح عارف بطرف من علوم الشريعة وآدابها وأخلاقها فيأخذه بآدابها ويسلك به المسلم الذى سطرناه سابقًا فى نهج التعليم.

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد والبيهقى والحاكم وغيرهم عن أبى هريرة.

ويتعهـده المؤدب بتعويده الخصـال الحسنة كالصبـر والحلم وكظم الغيظ والسخاء والسماحة والنصيحة والوفاء بالعهد والثبات على المبدأ الحسن والقيام بأوامر الدين - كمـا يأخذه بترك أضدادها كـالكبر والعجب والحسـد والخيانة والسرقة والكذب والغش والغيبة وغير ذلك من الأمراض الفردية والاجتماعية فلا يسامـحه فى ارتكاب شىء منها سائـراً فى ذلك بلين ورفق غير مسـتعمل للعنف بل لا يأخذه بالعنف إلا بعد ارتكاب وسـائل اللين ولم يرجع عن غيه فبزجر بالفعل من غير مبـالغة تؤدى إلى نفوره وكسر حدته وتميت منه النخوة والعزة الـتى يتفـاضل بها الرجـال بل يقتـصر على القـدر المحتاج تـدريجًا. وبتعاهـده من الوجهة الصحـيحة برياضة بدنه أحـيانًا، فقد عقـد الغزالى فى الإحيـاء فصلاً لرياضـة الصبيان - مـنه قوله ينبغى أن يأخـذه بحظ وافر من الرياضة البـدنية فإن ذلك يقوى جـسمه ويملؤه نشاطًا ويعـود فى بعض النهار المشى والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل.

وقـال فى محل آخـر ينبغى أن يـؤذن له بعد الانصـراف من المكتب أن يلعب لعبًا جـميلاً يستريح إليه من تعب التـعلم بحيث لا يتعب فى اللعب، فإن منع الصـبى من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائمًا يميت قلبـه ويبطل ذكاءه وينغص عليـه العيش حـتى يطلب الحيلة فى الخـلاص منه اهـ، بل يجب أن يكون ذلك التعهد شاملاً بجميع مناحى حـياته البدنية والروحية مصحوبًا ذلك إلى حين بلوغه عضواً عاملاً فى مجتمع أمـته ساعيًا فى إسعادها وبانيًا صرح مجدها.

ويجب أن تكون كذلك العناية بتربية الأنثى تربية شرعية دينية بأن تغذى أفكارها بما يعنيهـا من العلم الضرورى لدينها ودنياها من غـير توسع ويسلك

بها المسلك السابق ويزاد عليه علم تدبير المنزل وجميع الشئون المنزلية وتربية الأبناء وتهذيبهم لأن الأ هى المدرسة الأولى للبنين وهى أساس الأسرة فإن كانت عالمة بما يهم الحياة وما تدعو إليه ضرورتها فإن الولد بل الأمة تسعد بها وإن كانت جاهلة فإن الولد يشقى بها وتشقى به أمته، وما أحسن قول شاعر النيل حافظ إبراهيم رحمه الله:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

فبالعناية بالتربية تسعد الأمم والشعوب وبسوء التربية تشقى الأسر والشعوب وتجهل طريق حياتها ويكون نصيبها الموت المعنوى نسأل الله الوفيق لما فيه رضاه.

الحالة العمرانية والاقتصادية

الصناعات[1]

يوجد بآسفى من الصناعات والحرف ما تتوقف عليه ضروريات العمران، ففيها البناء على أحسن منوال وكذلك النجارة والنقاشة والتخريم والصباغة والدباغة والخرازة والدادة والخياطة والحياكة وصناعة الخزف

(١) الصناعات من أغزر موارد الرزق وأهم الأمور الاجتماعية لها فى الإسلام المقام الأول إذ هى من الفروض التى تأثم الأمة بتركها وقد حض القرآن على السعى فى غيرها آية، وكذلك السنة النبوية ومن كلام سيدنا محمد ﷺ فى الحض على العمل - إن الله يحب العبد المؤمن المحترف - أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور خير ما أكل العبد كسب العامل إذا نصح - فمن كان خاليًا من العمل والسعى فهو جاهل بحكمة الدخول للميدان الحيوى وعضو أشل فى جسم الأمة. وما أحسن قول الإمام الراغب: من تعطل وتبطل انسلخ من الإنسانية بل من الحيوانية وصار من جنس الموتى اهـ.

والفخار، وهذه الصناعة أعنى الفخا من أكبر مميزات آسفى فلقد حازت فيه أجمل ذكر وأجل إكبار بوجود تربتها الطيبة فسارت بذكر أوانيها الركبان وزينت بها المتاحف والبيوت، وكان لها فى معارض الصناعات الأهلية أجمل التفات وأكبر اعتبار فترى الناس من أهليين وأوروبيين يتهافتون على أوانيها الخزفية فما شئت من خوابى وبرادات وغيرها من أوانى البيوت فى أشكال بديعة وأساليب متنوعة تجذب القلوب وتلفت الأنظار.

وهى من الصناعات القديمة بآسفى صرح بعض المؤرخين الإفرنجيين بأنها وجدت بآسفى منذ الفينيقيين قبل الميلاد المسيحى بقرون.

وقد هب على هذه الصناعة كغيرها ريح الكساد والتأخر لكن الحكومة أخذت بضبعها فأوفدت لها من ذوى المعرفة من رسم للناس طريق رقيها وتحسينها فارتقت عن حضيضها وتبوأت مقامًا كادت تفوق فيه أختها فى هذه الصناعة وهى فاس الشهيرة بصناعة الخزف.

وأما الحياكة فلها فيها التقدم والتفوق فقد قال عنها ابن الخطيب أنها بلد موصوف برقيه ثياب الصوف - فلنساء ناحيتها الدكالية من التفنن فى نسج الثياب الرقيقة وغيرها من الأكسية والبرانيس ما يوقع فى النفوس أكبر تأثير فى جذب القلوب إليها والتجمل بها فى أفضل الأيام، ولها فى معارض الصناعات الوطنية أجمل ذكر وأحسن التفات من الأهالى والأوروباويين، لكن قد تقهقرت هذه الصناعة بإقبال الأهالى على اقتناء الثياب الأجنبية حتى أنه بآسفى قد تعطلب نحو ستين دكانًا للحلكة على كونها من أجمل الألبسة وأحسنها وأكثرها دفئًا للبدن.

مع أن الواجب يقضى على كل عاقل بإبقاء ثروة البلاد فيه بأن لا

نشتـرى شيئًا أجـنبيًا مهـما كان من الحـسن ما دام نظيره أو مـا نكتفى به عنه يوجد ببلادنا إلا من دولة تقبل منتوجات بلادنا.

فالإقـبال على الأمـور الأجنبية دون الأهليـة فيه مـوت البلاد والعـباد بالقضاء على ثروتها.

فالمغـرب يعانى ضـروبًا من الكوارث ويئن بغـير ما نـوع من الأمراض الفتاكة ويجتاز دوراً عظيمًا من أدوار حيـاته من أهمها الأزمة الحالية فهو على ضآلة موارده لعدم اهتداء أهله لاستثـمار كنوزه تجد أبناءه يعزفن عن منتوجاته إلى منتوجـات أجنبيـة فكان فعلهم هذا ضربة لازب عـلى اقتصـاديات البلاد وقضـاء على حـياة هذه الأمـة بيد أبنائهـا الذين لا يحفظون لـها حـرمة ولا يحفظون لها بين ثنايا صـدورهم ذمة، وطالما أرضعتهم ثدى نعمـتها وأغدقت عليهم من خيراتها.

ولقـد نصح الأهالى المقيم العـام هنرى بونسـوا فى بعض خطبه بفـاس وعزلهم عن إقبالهم على الأمور الأجنبية وطلب منهم أن يمدوا له يد امساعدة باقتصـارهم على مصنوعات بلادهم - وكذلك م كوديـر المراقب المدنى الكبير لدائرة عبدة وآسفى فى مقابلة بعض لصناع من أهل آسفى حيث أمرهم بإتقان مصنـوعاتهم وعدم تـعديها إلى الأجـنبية كـاليابانيـة وغيـرها، ونحن نشكر حضرتهما على تمحيص هذه النصيحة.

لا أريد أن أحمل مسئولية هذه المسألة على عواتق الذين يشترون الأمور الأجنبية فقط، بل كذلك هى ملقـاة على عواتق صناعنا وتجارنا الذين غالبهم يرتكبون الغش فى مصوعاتهم فلا يعيرونها أدنى التفات من الإتقان والإحكام وكثيـراً ما صار مطروقًا عندهم إذ أليم أحدهم على شىء من عـدم الاكتراث

بصنعته - أن هـذا سواقى (سوقى) معتـذراً عن سوء فعله ومعـبراً عن خبث طويته كـأن السوق ليس بأهل للمصنوعـات الحسنة وكأنه لا يشـتريه منه أبناء جنسه - وما السق إلا معـرض يتجلى فيه مقدار الأمة ومنـه تتبين منزلتها بين الأمم - وما هو إلا ميدان تتسابق فيه الأفراد لأداء واجباتهم الاجتماعية بإتقان مصنوعاتهم وتقديمها برهانًا على خدمتهم للهيئة الاجتماعية.

ولجـهلهم بهذه الـقيـقة صـاروا يسـتعـملون الغش والكذب فى نفـاق بضائعـهم مع أنه مبخس لهـا ومعرض صاحـبها لسخط الله ورسـوله والأمة وسائر بنى الإنسان - وقد قال صاحب الرسالة الإسلامية صلوات الله عليه - من غـشنا فليس منا[1] - ليس منا من غش مـسلمًـا أو ما كـره[2] - إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه[3] - إن الله يحب من العامل إذا عمل أ يحـسن - إن أطيب الكسب كـسب التجـار الذين إذا حـدثوا لم يكذبوا وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفـوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يطروا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا وإذا كان لهم لهم يعسروا.

الحالة التجارية[4]

آسفى منفذ المحصولات الواردة مـن سهول الحوز ومراكش وهى المرسى الوحيـد الجنوبى للواردات من هذه النواحى وبالأخص واردات الحـبوب على

---

(١) رواه البخارى وغيره.

(٢) رواه الرافعى عن على.

(٣) رواه البيهقى مع التالين له أيضًا.

(٤) التجارة إحدى منابيع الثروة وأغزر مواد المعـاش لذلك فسح الإسلام لها كنفه وأوسع لها مجاله وحض عليـها. قال الله تعالى فى وصف الذين يرحلون فى سبـيلها فى الكتاب=

اختلاف أنواعها، وما كانت عمارة آسفى إلا على كونه مرسى مراكش وخصوبة أرضه القليلة النظير، كما أنه مقصد البواخر التجارية من أوروبا وغيرها.

وكانت تجارة آسفى مع أوروبا حسنة من قديم حتى أنه لما احتله البرتغال قصدته البواخر التجارية فى حالة الهدنة مع المسلمين، ثم انقطعت الصلة برهة من الزمان ريثما ثبت الملك فى نصاب السعديين، ثم عادت العلائق لأحسن حالاتها فكانت فى الدولة السعدية تتردد إليها تجارة فرنسا وإنجلترا والبرتغال - وفى سنة ٩٨٤هـ موافق ١٥٧٧م عين هنرى سلطان فرنسا قنصلاً عامًا بالمغرب فاستقر بآسفى وكان نفوذه ممتدًا على من بالمغرب من تجار أوروبا وغيرهم.

وكانت بآسفى أيضًا معاهدتان تجاريتان بين الملوك السعديين وفرنسا. الأولى سنة ١٠٤٠هـ موافق سنة ١٦٣١ - والثانية سنة ١٠٤٤هـ موافق سنة ١٦٣٥م ودام الحال على ذلك فى الدولة السعدية والعلوية حتى أسس السلطان سيدى محمد بن عبد الله مرسى الصويرة سرح منها الوسق للتجار وعطل الوسق من أكادير وآسفى ريثما اشتهرت الصويرة وعرفت. ويقول بعض مؤرخى الإفرنج أن آسفى استمرت على ذلك إلى سنة ١٢٦٠هـ ثم سرح منها الوسق وتسربت إليها تجارة فرنسا وإنجلترا.

=العزيز: «وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله» ولما تخرج الصحابة من مباشرة التجارة فى أيام مناسك الحج رفع الله عنهم ذلك بقوله فى كتابه: «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم» وقد جاءت السنة بالحض عليها ونبذ الكسل والبطالة حتى أن صاحب الشريعة الإسلامية تجر بنفسه واتجر أصحابه وكانوا يرحلون إليها للشام وغيره برًا وبحرًا لأن دين الإسلام دين عمل وسعى، وليس بدين موت وبطالة واتكال على الغير.

ويظهر أن هذا القـول ليس على إطلاقه فقد كـانت آسفى مسرحًـا منها الوسق صدر القرن الثالث عشر فى رئاسة القـائد السيد عبد الرحمن بن ناصر العبدى، حيث كان مستبدًا بمرساه.

ولآسفى خـطوط بحرية عديـدة تربطه بأوروبا وترده كثـير من البـواخر خصوصًا فيما بين غرتى مارس وأكتـوبر، ففى هذه الأشهر السبعة تكون فيها البواخـر بكثرة وفى غـيرها يكون فى الوسق صعـوبة لهيـجان البحـر وتكسر أمواجه فلا تستطيع البواخر أن تقترب من سواحله.

ولذلك اهتمت الحكومة بإصـلاح ميناه فأسندت أمره لكمبـانية شنيدر، وبالفعل باشـرت بناء حوض كبيـر ترسو فيه لبـواخر التجارية بكل سـهولة، ويمنع تكسر الأمواج. وكـان ابتداء العمل فيـه بتاريخ ٢٠ مارس سنة ١٩٢٣م موافق ٤ شعبان سنة ١٣٤١هـ، وقد كادت الأعمال فيه أن تنجز ويتيسر النقل والوسق منه فى جميع فصول السنة.

وبفور الفراغ منه يجد الحال السمة الحديدية التى تصل آسفى بمراكش قد فرغ منها حيث إنها مشروع فى مدها وإذ ذاك يدخل آسفى فى طور جديد من العمران لا سيما بالنظر إلى مناجم الفوسفاط التى عـثر عليها بناحيته وسيرفع له رصفا مخصوصًا من هذه المرسى.

وقـد تأسـست به منذ دولة السلطـان المولى يوسف بنوك فـرنسـاوية وإنجليـزية وشركـات تجارية أجنبـية وهـذه الشركـات هى التى تدير الشئـون التاجـرية، أما المسلمـون الوطنيون فإنهم لا يزالون جـاهلين بقوانين التـجارة وأساليبها الـعصرية، حيث لم يؤلفوا شركات ولم يستـعن بعضهم ببعض فى القيام بأعبائها والفرد من حيث هو عـاجز عن القيام بذلك كما يجب - فعلى

مواطنينا أن يؤلفوا شـركات وأن يجعلوا الصدق والأمانة والثـقة رائدهم حتى يبلغوا من ذلك مناهم فإن المال حياة البلاد ولا تقوم أى مصلحة إلا به فعليهم أن يأخذوا بالأساليب العصرية وأن يقتدوا بالأمم الحية الناهضة فى ذلك.

نعم أن الأزمة الاقتصـادية العالمية قد خيمت على سـوق التاجرة وأعان على ذلك تعاطى المـعاملات الربوية الشىء الذى تعـتبره الشـريعة الإسلامـية أعظم هادم للثـروة وماحق للبـركـة منها، وقـد كان ذلك كـذلك فارتفـعت البركـات ومحقت الماليـة محقًـا فترى الفـلاح أو التاجر الأهليين إذا احـتاج أحـدهما يأتى للمـرابين فـيأخـذ منهم الدراهم على شـرط النصف أو الثلث والمغرب بطبيعة أرضه زراعى قبل كـل شىء فربما جاح العام من قابل، فيؤدى ذلك الفلاح أصل المال فيضطره المرابى إلى مضاعفة الباقى عليه للسنة القابلة، وربما يؤدى فى السنة القابلة الأصل الثانى فيضاعف عليه الباقى حتى إن كثيراً من المرابين وخـصوصًا اليـهود، هذا شـغلهم وديدنهم وقد اطلعت الحـكومة ببلادنا آسفى على كثير من هؤلاء المرابين فنكلت بهم فشكرا لها على ذلك.

ولقد اهتم السلطان المقدس المولى يوسف بهذه المسألة فأصدر أمره بعدم إمضاء هذه البـيوعات والمعامـلات، واهتمت كذلك وزارة العدليـة فأصدرت منشوراً بهت فـيه القضاة والعـدول لإيقاف تيار هذا السـيل الجارف الذى أتى على الحرث والنسل، وكان من أعظم أسباب الأزمـة الاقتصادية ولكن الكثير منهم يتسابقـون للشهادة على المعاملات الربوية رغـبة فى تلك الأجرة التى لا تسمن ولا تـغنى من جوع ولا عليـهم بعد ما نالـوا ذلك النصيب التـافه فى الجناية التى يجنونها على أنفسهم وعلى بنى ملتهم بمخالفة أمر الله ورسوله.

ولا ننكر أن فى هذه الطائـفة التى تمثـل الإسلام رجـالاً تقـر بهم عين

الإسلام لإسدائهم أجل الخدمات للصالح العام، ولكنهم من القلة بحيث لا نسبة بينهم وبين أصحاب الشخصيات الذين يرضون شهواتهم ويشقون بنى الإنسان ونص المقصود من المنشور.

لا يخفى على كل أحد ما يحدث من الأضرار الفادحة والمصائب المتنوعة التى تلحق أهل البادية والمدن من سكان هذه المملكة السعيدة بسبب تعاطى البيوع الفاسدة والمعاملات الربوية التى جاء الشرع المطهر بالنهى عنها وتحريمها تحريمًا مطلقًا، ولذلك فقد أصدر المخزن (السلطان) الشريف ظهيراً شريفًا مؤرخًا فى ٢١ صفر سنة ١٣٤٥ موافق ٣١ أغسطس سنة ١٩٢٦ نشر بالجريدة الرسمية عدد ٧٢٦ - الصادر ١٣ ربيع الأول ١٣٤٥ موافق ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٦ كما هو معلوم بمنعها ومقاومتها بما يمكن من الشدة، وبناء على ذلك فها نحن نلفت نظركم إلى هذه المسألة المهمة، ونبين لكم ما يتعين عليكم سلوكه فى تحرير الرسوم المختلفة التى تؤول إلى المعاملات الربوية كيفما كان نوعها حتى تنحسم مادتها ويزول ضررها عن العام والخاص وإليكم البيان.

إذا حضر لدى العدول متعاقدان بقصد إقامة رسم معاملة بسلعة أو بيع أو إقالة أو بيع سلم أو رهن فإنه يتعين على القاضى مع العدول بأن ينظروا بكل تدبر وإمعان فى تلك المعاملة وما اشتملت عليه واحتف بها من الغرر فإن كل سائغة شرعًا إذن فيها، وإن عثر على شائبة قرض ربوى فيها تدل على ذلك، امتنع القاضى امتناعًا كليًا من إعطاء الإذن فى إقامة الرسم المذكور.

وكذلك العدول يتيعن عليهم أن لا يقدموا بأى وجه من الوجوه كان على كتب هذه الرسوم أو تلقى هذه الشهادات، وإذا لم يحصل العلم بما ذكر

أعلاه إلا بعد كتابة الرسم فيتعين على القاضى حينئذ أن ينبذه ويرفض أداءه والخطاب عليه رفضًا كليًا مبينًا العلة الموجبة لعدم قبوله.

وإذا طلب أحد إقامة رسم فيتعين على العدول أن ينصوا بكل صراحة بحيث لا تحتمل لبسًا ولا غموضًا أنه إذا لم تكن صابة فى ذلك العام أو لم تحصل غلة بحيث لم يوجد الشىء المسلم فيه فإن رب الدين وهو المسلم (كسرًا) يكون بالخيار فى أخذ رأس ماله ناضًا بدون زيادة عليه أو التأخير إلى العام المقبل.

فما على القضاة إلا أن يمدوا يد المساعدة للناس فيما يرجع لما ذكر بصفة كونهم حكامًا شرعيين وعلى كل قاض يأن يجمع عدوله ويخبرهم بهذا المنشور ويفهمهم فيما اشتمل عليه حرفا حرفًا ليكون من سائر ما تضمنه على بال ويحرضهم على اتباعه وعدم الخروج عنه بحال والله الموفق للصواب.

حرر برباط الفتح بوزارة العدلية الشريفة فى رابع عشر شعبان عام ١٣٤٥ موافقاً سابع عشر أبريل سنة ١٩٢٧م.

الحالة الزراعية[1]

آسفى وقطرها بلاد زراعية فلاحية قبل كل شىء، وقد خصها الله تعالى

(١) الفلاحة من أجل موارد الرزق وأعظم عناصر الثروة وقد أعارها الإسلام جانبًا عظيمًا من الاهتمام يتفق منزلتها فجاء القرآن بالتنويه بها وكان صاحب الشريعة الإسلامية صلوات الله عليه يعطى الأرض على شطر ما يخرج نها بل وغرس الشجر بيده - ومن كلماته فيها - احرثوا فإن الحرث مبارك، اطلبوا الرزق فى خبايا الأرض وما من أهل بيت بالمدينة من المهاجرين والأنصار إلا كانوا يعقدون الشركات الزراعية والغراسية حتى بلغت فى الدولة الإسلامية مبلغًا عظيمًا وكتب المسلمون فى مهنتها التآليف النفعة.

بكونها على انفساح رقعتها بسائط واسعة الأطراف وسهولاً فسيحة الأكناف مع طيب التربة وكرم البقعة فهى أشرف أراضى المغرب وأطيبها وبالأخص دكالة وعبدة وأحسنها وأحسن تراب عبدة الربيعة.

ولقد قال ابن الخطيب القسنطينى يصف دكالة عندما دخل إليها سنة ٧٦٣ هى أرض مستوية طولها مسيرة أربعة أيام، وكذلك عرضها وبلغت أزواج حراثتها زمان ورودى عليها عشرة آلاف زوج وبعض حيوان فيها من إنسان وغيره زائد على مثله فى قدره وليس بها نهر ولا عين إلا آبار طيبة دخلها القاضى أبو بكر بن العربى بعد رجوعه من العراق وعجب من قلة مائها وكثرة خيرها، وقال رأيتها أنبتت ثانى يوم المطر اهـ.

وقال ناقلاً عنه أبو القاسم الزيانى فى كتاب الترجمانة الكبرى - دكالة طولها وعرضها خمس مراحل وليس بها أنهار ولا عيون إلا الآبار العذبة وليس بها شعاب ولا خندق ولا جبال إلا البسائط والزروع والضروع وبها زيادة على عشرة آلاف قرية عامرة غير مدن السواحل ومدينتها العظمى بوسطها دخلها القاضى أبو بكر بن العربى وتعجب من قلة مائها وكثرة ثمارها ورخص أسعارها وطيب زروعها وضروعها، وقد بلغ عدد سككها أزيد من مائة ألف سكة اهـ[1].

وعلى الجملة فهذا الإقليم الجنوبى للمغرب هو أخصب أراضى المغرب، ولقد قال عنه السائح العراقى أبو القاسم بن حوقل لما دخله سنة ٣٤٠هـ

(١) لا تافى بين القول الأول عشرة آلاف والثانى مائة ألف بحمل الأول على نوع خاص من الأزراج أو ناحية واحدة من دكالة والثانى على الجميع أو أن ذلك يختلف باختلاف الأزمان.

وتعرض لذكر إقليم أغمات فقال هو رستاق عظيم ومن ورائه إلى ناحية البحر المحيط والسوس الأقصى وليس بالمغرب أجمع بلد أكبر ولا ناحية أوفر خيراً منها ولا أرفه ولا أجمع لفنون المآكل والمشارب منها وبها الأترج والجوز والنخل وقصب السكر والسمسم والقنب وسائر البقول التى لا تكاد تجتمع فى غيرها هـ.

الحالة المائية

الماء النبع بآسفى وضواحيه قليل، وإنما يحفرون ماجلا تعرف بالنطافى يخزنون بها الماء وقت نزول الأمطار ويتخذون الآبار والسواقى منها العذبة وغير العذبة القدر الذى تحصل به الكفاية فى الضروريات.

نعم هو غير كاف للكماليات ولا مناسب لثروة هذه البلاد الزراعية التى تحتاج إلى غزارة المياه بإجراء السواقى واتخاذ السدود، وغير ذلك لأن الماء هو روح العمران ومنبع الثروة.

وقد كان للملوك الأقدمين اهتمام زائد بهذا القطر وقد رفع إليه السلطان يعقوب المنصور ساقية عظيمة فى الإتقان من الوادى الأخضر بتساوت ولا تزل تحفظ اسم الساقية اليعقوبية ويوجد أثرها فى بلاد الرحامنة إلى أرض دكالة الحمراء (عبدة) حيث اتخذ لها حوضًا كبيرًا بموضع زرول جنوب آسفى توزع منه المياه على الأجنة والفدادين - وزرول كان حصنًا قديمًا على مقربة من سبت جزولة فى وطن بنى ماكر من سهل جبلهم وكان فى فاتح عصرنا لا تزال آثاره بادية منها هذا السد الذى تخزن فيه المياه وهو عبارة عن صهريج كبير، وكان حوله مخازن كثيرة منحوتة فى الأرض لخزن الحبوب كما أدرك به

أهل عصرنا صومعة إسلامية ثم اضمحل ذلك ونقلت أنقاضه إلى البلاد المجاورة له.

وكانت هذه الناحية غنية بكثرة الأجنة والأشجار المتنوعة، فقد مر عليها ابن الخطيب السلماني سنة ٧٦١ - وأثنى عليها حيث قال بتنا بسور بنى ماكر تحت خصب وأمنة ومن الغد سلكنا وطن بنى ماكر وهو كثير العمران متعدد الديار والأشجار سقية من نطاف عزبة تختزن بها بركة الأمطار فيقع بها الاجتزاء إلى زمن المطر وبها كثير من الصالحين وأولى الخير وأرباب التلاوة وربما ألقى بها ضدهم اهـ.

وقد كانت إلى فاتح عصرنا هذا الهجرى لا تزال بهذه الجهة أجنة وبساتين عديدة للغلل والفواكه إلا أنها لاختلال الأمن صارت اليوم كأنها صحراء.

وقد اعتنت الحكومة فى عصرنا بهذه المسألة فوقع الكشف عن عيون ماء شمال آسفى فرفع فى السواقى إلى آسفى حيث وزع على الشوارع العامة سنة ١٣٤٣هـ، وهو وإن لم يكن صالحًا للشرب فقد قام بواجب مهم من الحياة.

كما وقع العثور أخيرًا على عين ماء بجنان الزيتون شرق آسفى وأصعد بآلات ميكانيكية وجلب للمدينة حيث جعل الناس يشترونه ويدخلونه للدور الخاصة وهو ماء عذب.

أما الضواحى فقد اتخذت ماجلا كبيرة فى الطرق العامة والأسواق وكان الفراغ من جلها سنة ١٣٤٥هـ، حيث وزع منها المياه على الأهالى المجاورين لها وغيرهم فى إبان المصيف، كما أنها أوفدت بعثة فنية للبحث عن أماكن الماء بأرض عبدة وبالفعل باشرت ذلك سنة ١٣٥٠هـ، ولا تزال الهمة مبذولة فى هذه المسألة التى هى روح العمران ومنبع الثروة.

الأودية

يوجد بهذا القطر عـدة أودية أقربها لآسفى آثنان وهما اللذان تجـد بهما دكالة من الجنوب والشـمال - أحدهما أم الربيع من جـهة الشمال منبـعه من الجبل الأطلس من بلاد صنهاجـة على مسيرة أكثر من يوم من قصـبة خنيفرة وينحدر هناك وسط قبـائ صنهاجة ويمر بقصبة خنيـفرة ثم تادلة وبنى موسى حيث يلتقى به واديان يضمان إليه وهمـا وادى العبيد والآخر وادى تساوت ثم إلى البحر المحيط عند مدينة آزمـور وهو واد عظيم من أكبر أودية المغرب وقد كان قديمًا يزرع عليه قصب السكر والقطـن وغير ذلك من الغلل النافعة وترفع منه السواقى إلى البلاد المجاورة لها من أرض دكالة.

وقد اتخذت الحكومة فى عصرنا عليه معملاً عظيمًا الكهرباء بلغت قوته الكهربائية معدل ٦٠ قولت وفرغ منه سنة ١٣٤٦هـ ومن ذلك الحين والأسلاك الكهربائيـة تمد إلى مد المغرب وسيـوزع على معامل الصناعـة وسكك الحديد وغير ذلك - وموقعه على بعد ٣٢ ميلا من مدينة آزمور.

ثانيها وادى تانسـيفت على طرف دكالة الحمـراء من الجنوب ومنبعه من الأطلس حيث تصب فيه عيون وأودية، ثم يمر بمراكش على نحو ساعة فتسقى منها أجنتها ونخيلها ثم بشوشـاوة فيلتقى بواديها، ثم يصب فى البحر المحيط على بعد ٣٨ كيلو متر من آسفى وأكثـر ما تكون قوته فى فصل الشتاء بحيث يمتنع أحيانًا عبوره، أما فى الصيف فـيقل ماؤه وربما جف بالمرة لكثرة ما تحمل منه السواقى بمراكش وغيره.

وعلى هذا الوادى بشوشاوة كانت مزارع قـصب السكر ومعامل عصره، وكانت الدولة السعـدية توسقه لبلاد أوروبا من آسفى. وقد ذكـر اليفرنى فى

كتاب النزهة عند تعداده مآثر أحمد المنصور أنه أحدث بمراكش وحاحة وشاوة معاصر السكر. قال الفشتالى وكان ابتداء ذلك والده أبو عبد الله محمد الشيخ المهدى فكثر السكر فى أيامه بالبلاد المغربية حتى لم تكن له قيمة، وكان يشترى منه الرخام من النصارى هـ.

(وادى حاحة) منبعه من الأطلس فينحدر إلى سهول حاحة ويمر على قصبة الصويرة القديمة حيث ينصب فى المحيط جنوب الصويرة الجديدة على مقربة منها.

وعلى هذا الوادى لدى الصويرة القديمة كانت مزارع قصب السكر والمعامل المعدة لتقطيره، حيث كان يوسق أيضًا لأوروبا من مرسى آسفى.

الغابات

يوجد بالناحية الجنوبية عن آسفى غابات متعددة أهمها غابة أركان الشهير بزيته الشهى الذى يكاد يستغنى به عن غيره، ولما تكلم أبو عبيد البكرى فى المسالك على السوس وأغمات وسواحلها قال بها شجر الهلجان (أركان) لا يكون إلا هناك يستخرج من حبه زيت طيب كثير النفع، وذلك أنهم ينون ثمره فتعلفه الماشية، ثم يعمدون إلى عجمه فيطحن ويطبخ ويستخرج منه دهنه فيكادون يستغنون به عن جميع الزيوت لكثرتها عندهم هـ.

وقال فى موضع آخر وبالسوس زيت الهرجان (أركا) شجره يشبه شجر الكمثرى إلا أنه لا يفوت إليه وأغصانه نابتة من أصله لا ساق له (طويلاً)

وهى شوكاء وثمرها يشبه الأجاص فيجمع ويترك حتى يذبل ثم يوضع على النار فى مقلى فيستخرج دهنه (أى بعد طحنه ولته) وطعمه يشبه طعم القمح المقلو وهو جيد محمود الغذاء يسخن الكلا ويدر البول اهـ.

وقال ابن خلدون هو زيت شريف طيب اللون والرائحة والطعم يبعث منه العمال إلى دار الملك فى هداياهم فيطرفون اهـ.

وكانت هذه الغابات متصلة بآسفى من جهة الجنوب حتى كانت شعبة النطافى يمشى الماشى فى ظل الأشجار مسافة طويلة فلا يرى الشمس إلا أنه بالأسف قد أسرف الناس فى قطعها تارة وحرقها أخرى للتوسع فى الحراثة وغير ذلك، وقد تداركت الحكومة ذلك فمنعت التصرف فيها إلا بقوانين مسنونة - وهذه الجهة الجنوبية وبالأخص ما وراء وادى تانسيفت لم تكن قديمًا أرض فلاحة وزراعة وكانت الحبوب ترد عليها من دكالة لأنها بطبيعة الحال أرض غابات وغراسة وغلل وفى الأيام الأخيرة لما كثرت فيها الفلاحة تناقصت الغابات.

كما أن الجهة الشمالية والشرقية عن آسفى الغالب عليها الزراعة - وكانت غابات الرتم والجندل على الشواطئ البحرية من آسفى إلى تيط والجديدة وانحدرت مع أم الربيع إلى الجبل الأخضر وسهله.

وقد ذكر الإدريسى فى كتاب نزهة الشتاق الذى فرغ منه سنة ٥٤٩ أن جنوب وادى أم الربيع يجاز منه إلى غيضة كبيرة من الطرفاء والأنشام وكثير العليق وهى غابة كبيرة ملتفة والأسود بها كثيرة، وربما أضرت بالمار غير أن أهل تلك الناحية لا يهابونها وقد تمهروا فى مقاتلها بأنفسهم من غير سلاح، وإنما يلقون أكسيتهم على أذرعهم ويمسكون معهم قتات من شوك السدرة

وسكاكينهم بأيديهم لا غير، ولقد لقيت منهم الأسد هنالك نكايات فلا مهابة لها عندهم بل تخاف ضرهم وتجتنب طرقهم وربما هجمت على الضعفاء من الناس اهـ، وهذه الغابة لا يزال أثرها شمال الوادى لكنه ضئيل.

وأما غابة الجبل الأخضر وسهله فقد قال الحسن بن الوزان أنها غابة هائلة، وفى غابة السهل منه الغزلان والظربان، وكان الغزلان عل أشكال وفيها الأروى والذيب والحجل وأنواع الطير، وقد نزل عليها السلطان محمد الوطاسى سنة ٩٢١هـ، فاصطاد بها وحكى لنا أنه لم يقع بها اصطياد منذ مائة سنة هـ، وقد صارت غابة السهل الآن أرضًا حراثية وبها شجر قليل.

وأما الجهة الشرقية كأرض حمير والرحامنة فقد كانت غاباتها معمورة بالسدر ونحو وتوجد فيها الغزلان وأنواع الوحش ولأجل ذلك كانت قبيلة حمير من أمهر الناس فى الرماية وإجادة الركوب والفروسية لأن الصيد جل شغلهم ومورد رزقهم مع قيامهم على تنمية الأنعام من المواشى، ولم تكن أرضهم فى القديم فلاحية ثم لما ضعفت الغابات كثرت الفلاحة.

وذلك أن رياضة النفوس على اقتناص الصيد والتمرس بصيده مما يحفظ على الناس إجادة الرمى والفروسية فكانت هذه القبيل بمنزلة مدرسة حربية يأتيها الناس لأخذ الرماية والركوب ولهم فى ذلك قوانين مسنونة وشيوخ يرجع إليهم فيها.

وأول شيوخهم فيها الإخوان والشهيران أبو الحسن السيد على ابن ناصر وأخوه السيد سعيد كانا قد تمرسا بصيد الوحش بإشارة شيخهما أبى العباس سيدى أحمد بن موسى فى طريقهم إلى حج بيت الله الحرام فكانا من أعرف الناس بها، فاتصل ذلك فى بنيهم وقبيلتهم حتى كان السلطان المولى إسماعيل يرسل عبيده ليتعلموا الرماية عندهم.

المعادن

معدن الفوسفاط

يوجد معدن الفـوسفاط قرب بحيرة زيمة بين آسـفى ومراكش على بعد ٨٤ كيلو متر مـن آسفى وهو فى الدرجة الثانية بالنسبـة لمعدن خريبكة. طوله ٧٥ كيلو متر فى عرض ١٥ كيلو متـر بالحد الأوسط، ويليه فى الدرجة معدن شيشاوة - كما وجد أيضًا بمسكالة وإيمينتانون.

معدن الرصاص

وقع العثور أيضًـآ بهذه الناحية على معـدن الرصاص سنة ١٣٤٦ موافق سنة ١٩٢٨م، وقد اسـتخرج منه صـاحب الرخصـة فى استخـراج الرصاص والنحاس سـبيولكى ٥٠ طنًا من نوع الرصاص المسـمى بالفرنسية سـيدوذيت وخمـسين طنًا من النوع المسمى مالاشـيت هو حجر أخـضر جمـيل يصقلونه بسهولة.

معدن البوطاس

وقع الكشف عن هذا المعـدن بزيمة وقدرت مـادته بـ٩٥ فى المائة. وهو يضاهى فيما قيل ما وجد بالألزاس.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب	٥
تمهيد	٧
نسب الأمة البربرية	٩
سبب انخراط بر بن قيس فى سلك البربر	١١
تأييد غزوه المغرب بالآثار	١٥
المصامدة بالجنوب المغربى	١٩
مواطن مصامدة السهل	٢٠
مشاهير بيوتاتها - بيت آمغار	٢١
بيت البوعنانيين الحسنيين	٢٢
بيت المشترائيين	٢٣
بيت صنهاجة	٢٤
بيت بنى دغوغ - بيت رجراجة	٢٥
بيت بنى ماكر	٢٦
رجراجة	٢٨
حاحة - جزولة وهشتوكة	٣٣
مصامدة جبل درة (الأطلس)	٣٤
هرغة - تينمل	٣٥
هنتانة - كدميوة وسكسيوة - وريكة	٣٦
موجة العرب الداخلة للمغرب الأقصى فى القرن السادس	٣٦
مواطن هؤلاء العرب على التفصيل	٣٨

الموضوع	الصفحة
عبدة بالصحراء - عبدة بالحجاز	٤٠
عرب حمير - الشياظمة	٤١
أولاد مطاوع أخوة الحرث	٤١
أولاد وليم - عرب السراغنة	٤٢
عرب الشاوية أهل تامسنا - عرب الخلط	٤٢
عرب تادلا	٤٣
عرب بنو جابر - عرب المعقل القحطانية	٤٣
قبيلة الثراردة - قبيلة الرحامنة	٤٦
المدن والمراسى بهذا القطر الجنوبى المصمودى	٤٧
قصبة إيِّر	٤٧
قصبة الوليدية	٤٨
مدينة الغربية	٤٩
مدينة تينطنفطر (تيط)	٥٢
مدينة ثغر الجديدة	٥٤
مساجدها	٥٧
مدينة آزمور	٥٨
قصبة أبى الأعوان	٦٠
الصويرة التى على وادى تانسيفت	٦١
قصبة ابن حميدوش	٦١
الصويرة الجديدة	٦٢
الصويرة القديمة	٦٤

الموضوع	الصفحة
مرسى أكادير	٦٤
حصن فوتنى - مدينة تزنيت	٦٥
مدينة تارودانت	٦٦
عاصمة مراكش الشهيرة	٦٨
القسم الأول فى تاريخ آسفى التأسيسى	٧٥
ضبط لفظ آسفى	٧٨
وجه تسمية المدينة باسفى	٧٩
آسفى وأطوار تأسيسه قبل الإسلام وبعده	٨٣
آسفى فى الإسلام	٨٨
آسفى وتخريب البرغواطيين	٨٨
آسفى والمرابطين اللمتونيين	٨٩
آسفى والموحدين	٨٩
آسفى والمرينيين	٩٠
آسفى والبرتغاليين	٩٠
آسفى فى الدولة السعدية	٩٣
آسفى والدولة العلوية	٩٤
آسفى فى العصر الحاضر	٩٥
مساجد آسفى	٩٥
نبذة عن تاريخ الديانات	٩٥
ديانة قدماء المغرب	٩٦
الديانة الإسلامية	٩٧

الموضوع	الصفحة
المسجد الجامع الكبير	٩٨
مسجد أفنان المدعو الفوقانى	١٠٢
مسجد القصبة العليا	١٠٣
مسجد رباط آسفى	١٠٤
مسجد الشريف سيدى الحاج التهامى	١٠٦
مسجد خارج باب الشعبة	١٠٦
الزوايا والرباطات	١٠٦
زاوية الشيخ محيى الدين أبى محمد عبد القادر الجيلانى الحسنى	١١٣
زاوية الشيخ أبى عبد الله محمد بن ناصر الدرعى	١١٣
زاوية الشيخ المولى عبد الله الوزانى	١١٤
الزاوية المنسوبة للشيخ المولى العربى الدرقاوى	١١٤
الزاوية المصلوحية	١١٤
الزاوية المنسوبة للشيخ المولى أحمد التجانى	١١٥
الزاوية المنسوبة للشيخ أبى عبد الله السيد محمد بن عيسى	١١٥
الزاوية المنسوبة للشيخ أبى الحسن على بن حمدوش	١١٦
زاوية الشيخ أبى عبد الله السيد محمد بن سليمان الجزولى	١١٧
الزاوية البدوية	١١٨
المستشفيات المعبر عنها قديمًا بالمارستانات	١١٨
الآثار الخيرية والملاجئ	١١٩
محل الطيور الساقطة	١٢٠
أوقاف المساجد والمدارس	١٢٠

الموضوع	الصفحة
أوقاف السور والمحارس	١٢١
أوقاف الغرباء	١٢١
الآثار القديمة	١٢١
مشاهير بيوتات آسفى	١٢٤
بيت الشرفاء الوزانيين	١٢٤
بيت الشرفاء أولاد الناظر	١٢٥
بيت الشرفاء الآمغاريين	١٢٦
بيت الشرفاء الوحيديين	١٢٧
بيت الشرفاء أولاد مولاى الحاج	١٢٨
بيت الشرفاء البوعنانيين	١٢٨
بيت الشرفاء أولاد مولاى التهامى كديمات	١٢٨
بيت أولاد ابن المدنى	١٢٩
بيت بنى القاضى أولاد ابن حمُّ	١٢٩
بيت الشرفاء الدرقاويين	١٢٩
بيت الشرفاء أولاد أعطار	١٣٠
بيت الشيخ أبى محمد صالح الماجرى	١٣١
بيت أولاد ابن الكاهية	١٣١
بيت أولاد ابن هيمة	١٣٢
بيت الوزانيين	١٣٣
بيت الشقوريين	١٣٤
بيت أولاد الركوش	١٣٥

الموضوع	الصفحة
بيت أولاد الحكيم	١٣٦
بيت أولاد ابن عبد الخالق	١٣٧
بيت المطاعيين	١٣٧
بيت أولاد واعزيز	١٣٨
بيت أولاد الكراوى	١٣٨
بيت الباعمرانيين	١٣٩
بيت أولاد ابن الهوارى	١٣٩
بيت أولاد ميتة	١٤٠
بيت أولاد الدمنى	١٤٠
بيت أولاد حدادو	١٤١
بيت أولاد الغماز	١٤٢
بيت أولاد وجان	١٤٢
بيت التزنيتيين	١٤٢
بيت أولاد ابن عزوز	١٤٣
بيت أولاد كوار	١٤٣
بيت أولاد دبيلة	١٤٤
بيت التربكيين	١٤٤
بيت أولاد ابن جلول	١٤٥
بيت أولاد باجدوب	١٤٥
بيت القليعيين	١٤٦
بيت المستاريين	١٤٦

الموضوع	الصفحة
بيت أولاد الراشدى المدعو أهله بأولاد العفو	١٤٧
بيت أولاد مرحبو	١٤٧
بيت أولاد ابن عاشور	١٤٨
بيت أولاد حيدة أهل سوس	١٤٨
بيت أولاد يعزى الإيلاليين	١٤٩
بيت أولاد أخزام	١٥٠
بيت رجراجة	١٥١
بيت أولاد الغزاوى	١٥١
الحالة العلمية والأدبية	١٥١
الدولة اللمتونية وآثارها فى المعارف	١٥٢
الدولة الموحدية وآثارها فى العلوم والمعارف	١٥٤
الدولة المرينية وآثارها فى المعارف	١٥٦
الدولة الوطاسية وآثارها	١٦٠
الدولة السعدية وآثارها فى العلوم والآداب	١٦١
الدولة العلوية وآثارها فى المعارف	١٦٤
المدارس العلمية بآسفى	١٦٧
خزائن الكتب العامة	١٦٩
خزانة الجامع الأعظم	١٦٩
خزانة الزاوية الدرقاوية	١٧٢
خزانة الزاوية القادرية	١٧٢
خزانة الزاوية التجانية	١٧٢

الموضوع	الصفحة
الحالة العلمية فى الدور الأخير	١٧٤
الأخلاق الفاضلة	١٧٥
الحالة العمرانية والاقتصادية	١٨٠
الصناعات	١٨٠
الحالة التجارية	١٨٣
الحالة الزراعية	١٨٨
الحالة المائية	١٩٠
الأودية	١٩٢
الغابات	١٩٣
المعادن	١٩٦
معدن الفوسفاط	١٩٦
معدن الرصاص	١٩٦
معدن البوطاس	١٩٦
بحيرة زيمة	١٩٧